الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
Emir Abdelkader University of Islamic sciences Constantine



Faculty:	Literatures and Islamic Civilization	الآداب والحضارة الإسلامية	كلية:
Departement:	History	التاريخ	قسم:



تاريخ بلدان المغرب الحديث
القرن (16م-19م)

History of the Modern Maghreb Contries(16th-19th)Centuries

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة:	ثالثة تاريخ عام
Academic Pedagogical Publication Addressed to:	Third, general history

السداسي: الخامس	
Semester: Fifth	

Domain:	Humanities and social sciences	العلوم الإنسانية والاجتماعية	الميدان:
Field or subfield:	Humanities sciences	العلوم الإنسانية	الشعبة:
Specialization:	history	التاريخ	التخصص:

Submitted by: Latreche Hanane إعداد الأستاذ(ة): د. لطرش حنان

السنة الجامعية (Current Academic Year): 1447هـ/1448هـ – 2025م/2026م

مقدمة:

يُعدّ تاريخ المغرب العربي خلال العهد الحديث، الممتد من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، من أهم الحقب التاريخية التي شكّلت ملامح التحولات الكبرى التي عرفتها المنطقة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فقد تزامنت هذه المرحلة مع تغيرات عميقة في موازين القوى الإقليمية والدولية، أبرزها سقوط الأندلس، وصعود الدولة العثمانية، وبداية التوسع الأوروبي في حوض البحر المتوسط والسواحل الإفريقية، وهو ما أفرز واقعًا جديدًا أثّر بشكل مباشر في مسار تطور بلدان المغرب العربي.

و يُعنى مقياس *تاريخ المغرب خلال العهد الحديث (القرنان 16–19م)* بدراسة مرحلة مفصلية في تاريخ بلدان المغرب العربي، اتسمت بتحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية عميقة، في سياق داخلي متأزم وضغوط خارجية متزايدة. فقد شهدت المنطقة، أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، ضعفًا سياسيًا وعسكريًا للدول المغاربية، المرينيون في فاس وبنوزيان في تلمسان"، وبنو حفص في تونس ما أدى إلى تفككها ودخولها في صراعات داخلية، هيأت المجال للأطماع الإسبانية والبرتغالية عقب سقوط غرناطة سنة 1492م.

وتزامن هذا الوضع مع صعود أوروبا في عصر النهضة والكشوف الجغرافية، حيث اتخذ التوسع الأوروبي طابعًا دينيًا واستراتيجيًا واقتصاديًا، تُرجم عمليًا باحتلال عدد من المراكز الساحلية المغاربية. حيث بادر البرتغاليون والاسبان باحتلال مختلف المركز الساحلية بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والادنى.

وفي المقابل، عرف المغرب العربي تحولات سياسية كبرى، تمثلت في قيام الدولة السعدية ثم العلوية بالمغرب الأقصى، وإلحاق الجزائر وتونس وطرابلس بالدولة العثمانية، مع استمرار التفاعل بين السلطة المركزية والقوى المحلية.

كما يتناول المقياس تطور الأوضاع الاقتصادية القائمة على الزراعة والرعي والتجارة الصحراوية مع افريقيا جنوب الصحراء و التبادل التجاري البحري مع اروبا، إلى جانب دراسة البنية الاجتماعية والثقافية التي اتسمت بوحدة المرجعية المذهبية، وانتشار الزوايا والطرق الصوفية، ودورها في التنظيم الاجتماعي والديني.

وقد نُظمت محاور المقياس في ستة محاور رئيسة تضم أربع عشرة محاضرة، راعينا فيها التدرج الزمني والتبسيط المنهجي كما يلي:

فالمحور الأول معنون: **سقوط غرناطة وأوضاع الدول المغاربية أواخر القرن 15م ومطلع القرن16م يتضمن**

-سقوط غرناطة وانعكاساته على الدّول المغاربية.

-أوضاع الدّول المغاربية في أواخر القرن15 ومطلع القرن 16م

والمحور الثّاني بعنوان المدّ العثماني في المتوسّط و ظروف الحاق طرابلس

وتونس بالدّولة العثمانية تضمّن:

-المدّ العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط.

-ظروف إلحاق الدّول المغاربية(طرابلس، تونس) بالدّولة العثمانية.

أما المحور الثّالث :تطور انظمة الحكم في المغرب الاقصى، وتونس،

و طرابلس تضمّن:

-تطوّر نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السّعديين والعلويين

-تطور نظام الحكم في تونس

-تطور نظام الحكم في طرابلس

والمحور الرابع :علاقات الأقطار المغاربية الخارجية تضمّن:

-علاقات الأقطار المغاربية الخارجية بالمشرق العربي.

-علاقات الأقطار المغاربية الخارجية إفريقيا.

-علاقات الأقطار المغاربية الخارجية بأروبا

والمحور الخامس :الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثّقافية في بلدان المغرب

تضمن:

-الحياة الاجتماعية في بلدان المغرب الحديث

-الحياة الاقتصادية في بلدان المغرب الحديث

-العلاقات الثّقافية بين البلدان المغاربية

المحور السادس: الاستعمار الأوروبي للبلدان المغاربية

وقد حاولنا من خلال هذا التّقسيم لمحاور المقياس تقديم المادّة العلمية والخبرية

في قالب بسيط غير معقّد راعينا التّرتيب الكرو ولوجي للأحداث

ويهدف هذا المقياس إلى تمكين الطالب من فهم مظاهر الاستمرارية والتغير في تاريخ المغرب العربي خلال العصر الحديث، وتحليل أنظمة الحكم وبنى الدولة، وبدراسة المجتمع المغاربي وبنياته التقليدية، من قبائل وزوايا وأعيان حضر، وبالتحولات الثقافية والفكرية التي عرفتها المنطقة وتتبع مسار العلاقات المغاربية–الأوروبية، وصولًا إلى التمهيد لفهم التحولات الكبرى التي سبقت الاحتلال الأوروبي المباشر، بالاعتماد على مصادر تاريخية متنوعة ومنهجية نقدية علمية. تشمل كتب الرحلات، والمصادر المحلية، إلى جانب الدراسات الحديثة، قصد تمكين الطالب من اكتساب منهجية تحليل تاريخي نقدي، وفهم أعمق لمسارات تطور بلدان المغرب العربي في العصر الحديث.

المحاضرة 1: سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغربية

مقدمة

مع بداية العصر الحديث، ظهرت عدة دول أوروبية طامحة للزعامة، أهمها **إسبانيا الهابسبورجية** التي ولدت بعد توحيد التاجين لمملكتي أراغون وقشتالة، و**البرتغال** التي حققت وحدتها القومية واستقلالها المبكر.و يُعَدُّ سقوط غرناطة سنة 1492م من أبرز الأحداث المفصلية في تاريخ الإسلام والأندلس، بل وفي تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب. فقد مثّل هذا السقوط النهاية الرسمية لثمانية قرون من الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث عاشت الأندلس خلالها مرحلةً من الازدهار الحضاري والسياسي، كان لها أثر بالغ في تاريخ أوروبا والعالم الإسلامي على حد سواء.

ولعل دراسة سقوط غرناطة لا تقتصر على الجانب العسكري أو السياسي فحسب، بل تشمل كذلك الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية، لأنها جميعًا شكلت منظومة متكاملة من العوامل التي قادت إلى تلك النهاية المأساوية. كما أنّ الحدث لم يكن نهايةً لحضارة فقط، بل بدايةً لمرحلة جديدة اتسمت بالاضطهاد الديني والثقافي للمسلمين الذين عُرفوا لاحقًا باسم "الموريسكيين."

ويكتسب هذا الموضوع أهميته من كونه حلقةً مفصلية تفسر طبيعة الصراع بين العالمين الإسلامي والمسيحي في القرون الوسطى، وتكشف عن مدى التداخل بين العوامل الداخلية للأندلس (ضعف الدولة، الصراعات بين أمراء بني الأحمر) والعوامل الخارجية (صعود الممالك المسيحية في الشمال وتوحيد قشتالة وأراغون).

وقد عبّر المقري التلمساني عن مأساوية هذا السقوط بقوله: *"وانقضى أمر الإسلام بالأندلس، واستبدّ الكفرةُ بملكها، وأخرجوا المسلمين من ديارهم، فما بقي لهم فيها موضع قدم، ولا مكان ظل"[1]. هذه الكلمات الموجزة تلخص حجم الكارثة التي لحقت بالمسلمين بعد نهاية غرناطة. من هذا المنطلق، تطرح الإشكالية الرئيسية:

كيف كانت أوضاع إسبانيا والبرتغال؟

والإشكالات الفرعية:[2]

- ما العوامل التي ساهمت في ظهور كل منهما؟
- كيف استولت الدولتان على الزعامة وسقطت غرناطة؟
- ماذا فعلت إسبانيا بالموريسكيين؟
- وهل لها علاقة بالتحرشات الإسبانية والبرتغالية بسواحل المغرب؟

---

[1]- المقري التلمساني، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب*، تحقيق: إحسان عباس، ج7، بيروت: دار صادر، 1968، ص 349.

[2] – علي محمد الصلابي، **صفحات مشرقة في التاريخ الاسلامي**، ج2، دار الحوزي ط1، القاهرة مصر 2007، ص205.

إذن، تهدف هذه المحاضرة إلى تناول ظروف وأسباب سقوط غرناطة، مرورًا بالأحداث العسكرية والسياسية، وصولًا إلى النتائج المترتبة عنه والتي الت على العالم الإسلامي والمسيحي خاصة الدول المغاربية،.

أولا – أوضاع أوروبا قبيل القرن 16

عانت أوروبا خلال العصور الوسطى من الإقطاعية وسيطرة الكنيسة والبابوية، مع تراجع للحضارة المدنية. ومع بداية العصر الحديث، ظهرت بوادر **انفتاح على العالم الخارجي** واستغلال منجزات الشعوب الأخرى تميزت بانطلاقة فكرية جديدة كشفت عن كنوز التراث الإنساني وذلك باعتمادها على:.

1–.النهضة الأوروبية[1]: عرفت حركة النهضة باسم

حركة الاحياء (Renaissance) وقد ساعدت على بعث الحضارة الأوروبية الحديثة[2] من خلال:

- اتصالات ثقافية بين أوروبا الغربية والحضارة الإسلامية.
- ظهور شخصيات علمية متميزة أطلقت حركة البحث والتطوير.
- انتقال عدد كبير من العلماء الإغريق إلى إيطاليا.
- اختراع الطباعة، ما ساهم في نشر المعرفة.
- جمع المخطوطات الإغريقية واللاتينية وإحياء الثقافة الإغريقية.
- ظهور اللغات الأوروبية الحديثة على حساب اللاتينية.
- الاهتمام بالتاريخ والآثار ودراسة النقد التاريخي.
- الكشوفات الجغرافية ودوافعها الاقتصادية والدينية والثقافية.

2– الأوضاع الفكرية والثقافية

ظهور **الإنسانية والتحرر الفكري**، وازدهار الجامعات، وحركة ترجمة التراث الإغريقي واللاتيني، واهتمام باللغات القومية.

3–الأوضاع الدينية

انطلاق **الإصلاح الديني** على يد مارتن لوثر وجون كالفن، مما أدى إلى تقليص سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على حياة الإنسان الأوروبي.

4–نتائج النهضة الأوروبية

- **سياسية** :ظهور الدول القومية ومبدأ التوازن الدولي.
- **دينية** :انقسام أوروبا بين كاثوليك وبروتستانت.

---

[1]–النهضة الاروبية: في مفهومها التاريخي تعني حركة التجديد والبعث والإحياء للحضارة الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) فهي كلمة ذات مدلولات واسعة تضم التغييرات التي طرأت على المجتمع الأوربي من تبدلات في حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والفنية

[2]– عبد الفتاح حسن ابو عبلة، **تاريخ اروبا الحديث والمعاصر**، ج1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2011، ص، ص 25، 26

اقتصادية واجتماعية :الثورة التجارية وتحول مركز التجارة من المتوسط إلى الأطلسي، مما أضر العالم الإسلامي اقتصاديًا.

ثانيا – أوضاع إسبانيا والبرتغال وسقوط غرناطة

1–حركة الاسترداد:

بدأت حركة الاسترداد في 718 م في معركة "كوفادونجا" وفيها انهزم ابن علقمة اللخمي من طرف قوات بلايه وانتهت بتأسيس اولى الامارات المسيحية في شمال الاندلس انكفأ المسلمون بالأندلس التي كانت تشغل معظم اجزاء اسبانيا باستثناء بعض المناطق الشمالية الغربية مثل منطقة "غاليسيا" وهكذا بدأت الممالك تنمو وتتسع ومن هذه المناطق تنبت نواة إسبانيا المسيحية وتنبت معها حركة المقاومة الاسبانية التي أخذت في النمو والاتساع حتى سيطرت على جميع المناطق الشمالية الغربية التي اصبحت تعرف بمملكة "ليون"، وأحاطت نفسها بسلسلة من القلاع والحصون لحماية نفسها من هجمات المسلمين [1].

2–أوضاع إسبانيا والبرتغال

***إسبانيا** [2]:لقد كانت إسبانيا قديما تابعة إلى اليونان ليستولي عليها بعد ذلك القرطاجيون في سنة 1133هـ قبل الميلاد ثم احتلها الرومانيون لتبقى تابعة لهم لمدة خمسة قرون، كما امتدت أيادي العرب في شبه الجزيرة العربية عن طريق "موسى بن نصير" و"طارق بن زياد"، ليحكم العرب إسبانيا ما يقارب 4 قرون حيث لم يكن هناك نزعات قومية بل تابعة ومخلصة للكنيسة الكاثوليكية الاسبانية، ليتم تأسيس أو إنشاء الإمبراطورية على يد "فيردينا ند" و"إيزابيلا"، وذلك عن طريق زواج مصلحي سياسي أدي إلا توحيد قشتالة وأرغوان سنة 1465م، لتظهر إسبانيا في شكل دولة عَظيمة خاصة بعد القضاء على الحكم الإسلامي في الاندلس والاستيلاء على غرناطة 1492م لتصل إسبانيا أوجها في عصر الاب فيليب الثاني ليضم إليها البرتغال مع ممتلكاتها الخارجية[3] ويعود ظهور إسبانيا الى عدة عوامل داخلية وخارجية أهمها:

_ المصاهرة التي تمت بين اكبر مقاطعتين اسبانيتين وهي قشتالة واراجون فكان على عرش الاولى ايزابيلا والثانية الامير فرديناند الثاني سنة "1469م"

_نجاح حكامها في طرد البقية من العرب عن جنوبها وسقوط غرناطة وبذلك انتهى اخر عهد للعرب فيها [4].

_ اكتشاف كولومبوس في عام 1492 م للعالم الجديد فقد كان هذا العالم نقطة تحول هامة في تاريخ اسبانيا [5].

***لبرتغال[6]**:

---

(1)–حسن علي الشطاط، **نهاية الوجود العربي في الاندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 86.

(2)–تقع في جنوب غرب اروبا، في شبه الجزيرة الايبيرية. يحدها من الجنوب والشرق البحر الابيض المتوسط باستثناء الحدود البرية الصغيرة مع اقليم ما وراء البحار البريطاني وجبل طارق، حيث يحدها من الشمال فرنسا واندورا وخليج يسكاي والى الشمال الغربي والغرب المحيط الاطلسي والبرتغال حسن علي الشطاط، **المرجع نفسه**، ص 60

(3)–أسماء بلايلي، " التحرشات الاسبانية، _قراءة في الدوافع والنتائج"، **مجلة روافد البحوث والدراسات**، ع2، جامعة أدرار، 2017

(4)–أسعد حومد، **مجلة العرب في الاندلس**، ط2، المؤسسة العربية للطابعة والنشر، بيروت، 1988، ص 124.

(5)–الطاهر أحمد مكي، **دراسات اندلسية**، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987، ص 270.

(6)–في جنوب غرب أوروبا في شبه الجزيرة الايبيرية، هي اقصى دول أوروبا باتجاه الغرب ويحدها المحيط الاطلسي الى الغرب والجنوب، واسبانيا من الشمال والشرق.

ويرجع ظهور دولة البرتغال إلى عدة عوامل منها:

-في عام 1095 كانت البرتغال اقطاعية حدودية من مملكة ليون اراضيها بعيدة عن مراكز الحضارة الأروبية والتي تتضمن بشكل كبير الجبال والاراضي البرية والغابات.

_ اسمها مشتق من الميناء الصغير "بورتوس كال ". ويمكن تقسيم مراحل التاريخ البرتغالي الى عدة فترات مهمة منها:

*بين عامي 1095 و1279 تأسست المملكة البرتغالية. وتمددت حتى وصلت الى حدودها القارية الحالية.

*بين عامي 1279 و1415 تعزز الحكم الملكي تدريجيا برغم من مقاومة الكنيسة والنبلاء ومملكات قشتالة المنافسة منها: في سنة 1415 بدأت فترة الحملات الصليبية والاكتشافات، وذلك عن طريق اكتشاف المحيط الهندي نحو الهند[1]

* من 1499 الى 1580 اسس البرتغاليون امبراطورية امتدت من البرازيل غربا الى جزر الملوك شرقا ووصلت الى قمة ازدهارها الى ان ظهرت فترة السقوط السريع.

* حكم الملوك الاسبان البرتغال من 1581 إلى 1640.

*الحدث الرئيسي من عام 1640 الى 1755 كان الاستقلال عن اسبانيا واعادة الحكم الملكي البرتغالي. حيث حققت وحدتها القومية واستقلالها المبكر، وبدأت توسعها البحري الاستعماري. _عندما نالت البرتغال استقلالها كانت الزراعة عندها متدهورة بسبب عدم وفرة الايدي العاملة.

استغلال ثروات البرازيل في انتاج محصول وفير من الذهب في ق 17 [2].

_الكشف عن بعض الجزر في المحيط الاطلسي وهي: جزر ماديرا وازور والكناري

_اكتشاف البرتغاللين عام 1460 جزر خليج الراس الاخضر ورسموا خرائط في السنغال وغامبيا. (كشوفات بقيادة هنري الملاح 1460 /1394)

_ اكتشاف برثلميودياز عند رحلته الى الهند جزر الرجاء الصالح

_ نجاح الرحالة فاسكو دي جاما في اكتشاف طريق الى الهند دورانا حول جنوبي افريقيا [3].

2-سقوط غرناطة[4]

كما انا ارخبيلي جزر الازور وماديرا في المحيط الاطلسي هي ايضا جزء من البرتغال محمود شاكر، **الكشوف الجغرافية ودوافعها _ حقيقتها**، ط2، المكتب الاسلامي، 1988، بيروت، ص، 23.

[1]-محمود شاكر، **المرجع نفسه**، ص 24.

[2]-فيشر هر، **أصول التاريخ الاروبي الحديث**، ترجمة زينب عصمت راشد واخرون، دار الحكمة، 2001، 153.

[3]-محمود شاكر، **المرجع السابق**، ص، 133.

[4]-نعتبر غرناطة من أهم قلاع الخلافة الاسلامية في الاندلس وكانت اخرهم في السقوط حيث دام حكم المسلمين بالاندلس ما يقارب ثمانية قرون حوالي 782 سنة ونحو 3700معركة بين العرب والاسبان من يوم دخولها الى يوم خروجها عبد الكريم فيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج3، ط1، القاهرة 2006، ص227

آخر الحصون الإسلامية في الأندلس استسلم عام 1492م بعد **حرب السنوات العشر (1482–1492)** بقيادة فرديناندو وإيزابيلا، بعد مقاومة قادها القائد موسى أبي غسان.

أولا– لأوضاع العامة في الأندلس قبل سقوط غرناطة

قبل سقوط غرناطة سنة 1492م، كانت الأندلس تعيش مرحلة حرجة من تاريخها، على الصعيدين السياسي والاجتماعي. فقد شهدت مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية صراعات داخلية كبيرة بين أمراء بني الأحمر، الذين كانوا يحكمون الإمارة. هذه الانقسامات الداخلية أضعفت قدرة الدولة على مواجهة التوسع العسكري للممالك المسيحية في الشمال، خصوصًا مملكة قشتالة ومملكة أراغون بعد توحيدهما من خلال زواج الملك فرديناند والملكة إيزابيلا.

1–الوضع السياسي

على المستوى السياسي، كانت مملكة غرناطة تعتمد على شبكة من التحالفات مع القبائل والدوائر الحاكمة المحلية، لكنها لم تكن قادرة على توحيد الصفوف ضد الضغوط المسيحية. وبالإضافة إلى ذلك، شهدت الإمارة نزاعات متكررة على السلطة بين أفراد العائلة الحاكمة، ما أضعف القدرة الدفاعية للمدينة وأدى إلى فقدان الانضباط العسكري.

2–الوضع الاجتماعي والاقتصادي

اقتصاديًا، كانت الأندلس قد عانت من التدهور نتيجة الحروب المستمرة وفقدان الأراضي الزراعية الخصبة، بالإضافة إلى استنزاف الموارد في الدفاع عن الحدود. أما اجتماعيًا، فقد انعكست هذه الأزمات في تفكك النسيج الاجتماعي، وظهور طبقات فقيرة واسعة بين السكان المسلمين، الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة مباشرة مع الغزاة المسيحيين، مع تراجع الدعم من باقي الممالك الإسلامية خارج شبه الجزيرة.

3–الوضع الديني

دينيًا، كان المسلمون في الأندلس يعيشون في بيئة متوترة، حيث حاولت الكنيسة المسيحية نشر نفوذها تدريجيًا، مما زاد من الضغوط على السكان المسلمين. وقد حاول حكام غرناطة الحفاظ على التوازن بين المطالب الدينية الداخلية والتفاوض مع الممالك المسيحية، إلا أن هذه الجهود كانت محدودة النتائج أمام قوة التحالف المسيحي المتنامي[1].

خلاصة

يمكن القول إن سقوط غرناطة لم يكن نتيجة هجوم عسكري وحسب، بل نتيجة تراكم مشكلات سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية، جعلت من الصعوبة بمكان صد الزحف المسيحي وتقديم مقاومة فعالة.

[1]–عبد الرحمن الغافقي، ***تاريخ الأندلس: من الفتح إلى السقوط***، القاهرة: دار الفكر العربي، 1975، ص 412 وماريا لويز، *Granada: The Last Muslim Kingdom in Spain*، London: Routledge، 2000، p. 55

ثانيا: أحداث سقوط غرناطة:

بعد الهزيمة في موقعة طريف وفي النصوص الاسبانية " **Batalla Del Rio Salado** " التي انزلها الفونسو الحادي عشروحلفاؤة من الاروغنيين بجيش اسلامي ضخم لبني مرين اشتركت فيه قوات بني الاحمر وقوات من بني وطاس (فرع من بني مرين)في 24ربيع الثاني 740هـ/30سبتمبر1339م تعتبر اخر الوقائع الاسلامية الكبرى في الاندلس فعلى اثرها استولى الاسبان على مدينة طريف واعقبو ذلك بالاستيلاء على جبل طارق فقطعوا على بني مرين[1]، وبقية أهل المغرب الطريق لعون غرناطة وأصبح مصيرها مسألة وقت[2]، وكان سقوط غرناطة في 2ربيع الاول 897هـ/2يناير 1492م بعد ان عمرت مملكة غرناطة حوالي 268سنة هجرية[3]، فكانت معركة السنوات العشر (1482-1492م)التي شنها الملك فرديناندو الكاثوليكي والملكة ايزابيلا صاحبا عرش مملكتي قشتالة واراغون تؤيدها بالمال والسلاح والرجال كل من المسيحية في اروبا اطاعة للأمر الصادر عن الباب الذي فرض على المسيحيين ضريبة دعاها "ضريبة الصليب" وبعد حروب ووقائع كانت سجالا تغلبت العزيمة الاسبانية والقوة المسيحية على عوامل الانهيار والاضمحلال التي سادت المسلمين؛ وما أغنى عنهم في اخر أيامهم جهاد القائد البطل "موسى أبي غسان" الذي وقف ضد الاستسلام[4]، فمملكة غرناطة لم تستسلم دون مقاومة ويقول عن ذلك المؤرخ الانجليزي واشنطن ارفن" ان هذه الحرب (حرب تحطيم مملكة غرناطة) حقبة عظيمة الشأن في تاريخ الدهر بما تخللها من باهر الثبات والاصرار فان النكبات توالت فيها على المغارب (اهل الاندلس) مدة عشر سنوات دون انقطاع فأخذت مدائنهم الواحدة بعد الاخرى وفنيت رجالاتهم قتلا واسرا وقاتلوا عن كل مدينة وبلدة وحصن وبرج بل عن كل صخرة كأنما هم ينتظرون الفتح ولم يجدوا مكانا تثبت فيه أقدامهم ولا جدار يمكنهم رمي السهام من ورائه الا واعتصموا به ينازعون العدو وطنهم المحبوب حتى لم يبقى لهم عاصمتهم مقطوعا عنها كل مدد ؛غير طامعة في أدنى غوث تنزل على أسوارها امة بقضها وقضيضها لم يزالو يدافعون عنها كأنما هم يترقبون معجزة يرسلها الله في حقهم" ولما ضاق عليهم الحصار وبنى ملكي قشتالة واراغون مدينة كاملة تجاه مدينتهم اشعارا لهم بأنهم لن يرجعوا عنها ابدا لم يبق لهم سوى أمرين اثنين الاستسلام أو الهلاك المحقق في معركة انقاذ الشرف.

وقد استسلموا بسبب تضييق الخناق على غرناطة ونتيجة خوفهم من فضيحة النساء وانتهاك حرمة البنات وتشتت الشمل وفقد المال قرروا الاستسلام ورضوا أن يكونوا من رعايا الدولة الاسبانية مقابل اعترافها بحماية دينهم واحترامها لعقائدهم وعوائدهم ؛والمحافظة على أموالهم وممتلكاتهم وحرية من أراد الانتقال بماله وأهله الى بلاد المغرب[5]، وتم تسليم القصور الملكية والابراج على يد الوزير ابن كماشة الذي ندبه عبد الله للقيام بهذه المهمة، وقد نصت معاهدة تسليم غرناطة

---

(1) -حسين مؤنس، **اطلس التاريخ الاسلامي**، ط1 الزهراء للإعلام العربي، القاهرة مصر1987، ص183.

(2)-**المرجع نفسه**، ص183.

(3)-**المرجع نفسه**، ص190.

(4)-احمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492_1792**، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،.ص37.

(5)-أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص38

على 67 شرط أهمها المادة السابعة التي نصت على ما يلي" الاشخاص الذين يرغبون في العبور الى العودة (أراضي المغرب) تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوما من تاريخه على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم حسب رغبة المبحرين ليحملوا احرارا وطوع ارادتهم الى المكان الذي يرغبون النزول اليه فيما وراء البحر(أرض المغرب) خاصة الموانئ التي كانت ترسو بها تلك السفن أما الاشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الاعوام شريطة أن يقدموا طلباتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوما وينقلون برعاية تامة الى الميناء الذي يرغبون بالنزول فيه ولا يترتب على من يريد العبور الى العدوة – خلال الأعوام الثلاثة هذه–اجر أو نفقة أما الذين يرغبون في العبور بعد انتهاء الأعوام الثلاثة فعليهم دفع دوبلة واحدة فقط عن كل شخص أما الذين لا يتمكنون ن من بيع أملاكهم الموزعة في جميع أنحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم فيحق لهم تفويض أي شخص من أجل تحصيل حقوقهم وليقوموا مقامهم ويتولون بعد ذلك ارسال هذه الحقوق لأصحابها أينما كانوا وبدون أية عوائق"[1].

وبعد عقد أبو عبد الله المعاهدة مع الاسبان يذكر بعض المؤرخين الاسبان أن عبد الله محمد الاحمر سلطان غرناطة قال لعدوه الاسباني الظافر يومها ما نصه:"... اليك أيها السيد هذا الخاتم ومفاتيح هذه الجنة وهما كل ما بقي من أثر المسلمين في اسبانيا وقد أصبحت أنت الان سيد هذا التراث وهذه الديار وهذه الاشخاص وهكذا أراد الله فكن رحيما وعادلا في انتصارك..." وبعد تسليم غرناطة خرج ملكها ابو عبد الله محمد يبكي وينوح وأمه تقول له "...ابك مثل النساء ملكا لم تدافع عنه دفاع الرجال..."[2] وانسحب الى جبال البشرات معاهدة تسليم غرناطة نصّت على حماية الدين الإسلامي مؤقتاً، وإمكانية انتقال السكان إلى المغرب.

- لاحقًا، فرضت **محاكم التفتيش** التنصير الإجباري للمورسكيين وصدرت مراسيم بمنع اللغة العربية، وتحويل المساجد إلى كنائس، وإحراق المخطوطات.

1.2– الأحداث العسكرية لسقوط غرناطة (1482–1492)

شهدت الفترة الممتدة من 1482 إلى 1492م سلسلة من الحملات العسكرية التي قادتها جيوش الملك فرديناند والملكة إيزابيلا على غرناطة. هذه الحملات كانت محكمة التخطيط، إذ ركزت على قطع الممرات الحيوية، ومحاصرة المدن القريبة من العاصمة، وفرض حصار مستمر على غرناطة نفسها.

1–بداية الحملة العسكرية (1482–1486)

بدأت العمليات العسكرية بهجوم على مدينة سالوبريا والمناطق المحيطة بها، والتي كانت نقاطًا استراتيجية تتيح الوصول إلى قلب مملكة غرناطة. استخدمت القوات المسيحية تكتيكات الحصار والضغط النفسي على السكان المحليين، مع تعزيز سيطرتها على الموارد الحيوية كالأنهار والطرق التجارية.

2–تطورات الحرب (1487–1491)

---

[1]–عبد الواحد دنون طه، خليل إبراهيم السامرائي، ناطق صالح مطلوب، **تاريخ المغرب العربي**، ط1، دار **المدار الإسلامي**، بنغازي ليبيا 2004، ص408.

[2]–أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص39.

خلال هذه المرحلة، كثفت جيوش قشتالة من هجماتها على المدن الصغيرة والقرى المحيطة، مستغلة الانقسامات الداخلية في مملكة غرناطة بين أمراء بني الأحمر. وقد لجأ بعض الحكام المحليين إلى التسليم مقابل ضمان حياتهم وممتلكاتهم، ما أضعف الدفاع عن العاصمة تدريجيًا.[1]

3- حصار غرناطة (1491-1492)

أخيرًا، بدأ حصار غرناطة نفسه في 1491م، واستمر نحو عشرة أشهر. استخدمت القوات المسيحية استراتيجيات متعددة تشمل الحصار الكامل للمدينة، وقطع خطوط الإمداد، وإغراء السكان المسلمين بالاستسلام مقابل ضمان حياتهم وحقوقهم. هذه التكتيكات أدت إلى استنزاف الموارد الغذائية ونفاد الذخائر، ما أجبر الحاكم محمد الثاني على التفاوض مع الملكين فرديناند وإيزابيلا.[2]

4-الاستسلام النهائي

في 2 يناير 1492م، وقع محمد الثاني على وثيقة الاستسلام المعروفة بـ *اتفاقية غرناطة*، التي نصت على ضمان حرية الدين للمسلمين، وحماية ممتلكاتهم، وحقهم في مغادرة المدينة إذا رغبوا. وبذلك انتهى آخر معقل مسلم في شبه الجزيرة الإيبيرية بعد أكثر من سبعة قرون من الوجود الإسلامي في الأندلس.[3]بعد السقوط، بدأ فرض سياسة الديانة المسيحية على السكان المسلمين، وأُجبر العديد منهم على اعتناق المسيحية أو الرحيل عن الأندلس، فيما تم تهجير اليهود لاحقاً.

ثالثا- الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية بعد السقوط

1- التحولات الاقتصادية

بعد سقوط غرناطة، خضعت الأراضي الزراعية للإدارة المسيحية الجديدة، وتم فرض نظام ضريبي صارم على السكان المسلمين، مما أدى إلى تراجع الإنتاج الزراعي في بعض المناطق. كما تم الاستيلاء على الأملاك الخاصة للنبلاء المسلمين، وتحويلها إلى أيدي مسيحية[4]

2.-التغيرات الاجتماعية

فرضت سياسة التهجير والاعتناق المسيحي تغييرات ديموغرافية كبيرة. فقد هاجر العديد من المسلمين إلى شمال إفريقيا، بينما أُجبر آخرون على العيش كـ"موريسكيين (Muslims converted to Christianity) "تحت رقابة صارمة[5]..

3-التأثير الثقافي والفكري

1.3- آثار السقوط على التراث الثقافي

---

(1)- Hugh Kennedy ،***Muslim Spain and Portugal: A Political History of al-Andalus*** ،London: Longman ،1996 ،p. 281.

(2) - L. P. Harvey ،***Islamic Spain ،1250-1500*** ،**Chicago**: University of Chicago Press ،1990 ،pp. 320-325.

(3)- عبد الله القاسمي، ***سقوط غرناطة والنهضة الإسبانية***، بيروت: دار المعارف، 1985، ص 102.

(4) - Harvey ،L.P. ،op.cit. ،pp. 82-85

(5)-Kamen ،Henry. ***Empire: How Spain Became a World Power ،1492-1763***. London: HarperCollins ،2003 ،pp. 40-42.

مع رحيل المسلمين، فقدت إسبانيا جزءاً كبيراً من التراث المعماري، العلمي والأدبي الأندلسي. إلا أن العديد من المعالم، مثل قصر الحمراء، ظل شاهداً على الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في الأندلس[1].

2.3- التأثير على الفكر الأوروبي

سقوط غرناطة عزز من روح الاستكشاف والتوسع الأوروبي، إذ أعاد الانتصار المسيحي إشعال طموحات التوسع البحري، بما ساهم لاحقاً في اكتشاف العالم الجديد في نفس السنة، 1492، مع رحلة كريستوفر كولومبوس[2].

رابعا-العلاقات بين المسلمين والمسيحيين بعد السقوط

1. سياسة المسيحية تجاه المسلمين

تم فرض قوانين صارمة ضد المسلمين في الأندلس، بما في ذلك حرمانهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وإغلاق المساجد، وتحويل المدارس الدينية إلى مدارس مسيحية[3]. وما كاد الملك الاندلسي يغادر غرناطة ومن معه من الرجال والنساء الاحرار حتى قلب الاسبان للمسلمين ظهر المحن وأظهروا حقيقة ما كان يضمرون[4]، واجتهد الاساقفة في تنصير المسلمين الذين عرفوا بعد ذلك الموركسيين (**Losmoriscos**) أي المسلمين الصغار وثار المسلمين مرارا وصدرت قرارات بتخييرهم بين التنصير أو مغادرة البلاد في سنة 1603و1609م[5]، وقد استغرقت المحنة ما يزيد عن قرن من 1493-1610م ؛ انشئوا خلالها محاكم التفتيش[6]. وقد وصف العلامة المحقق محمد عبد الله عنان حالهم في كتابه دولة الاسلام في الاندلس قائلا: "...لقد كان مصير مسلمي الاندلس بعد فقد دولتهم وزوال ممتلكاتهم من أروع ما عرفت الامم الكريمة المغلوبة وكانت مأساة من أبلغ ماسي التاريخ تلك هي ماساة الموركسيين (**Les Moriscos**) والعرب الصاغر المتنصرين... "[7]

***محاكم التفتيش:**

عد 9سنوات من سقوط غرناطة وفي سنة 1501م أصدر الملكان فرديناندو الخامس وايزابيلا امرا كان خلاصته أنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة (المسلمين) فانه يحظر وجود المسلمين فيها، فاذا كان بعضهم فانه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم خوفا من أن يتأخر تنصيرهم أو بأولئك الدين تنصروا لئلا يفسدوا ايمانهم ويعاقب المخالفون بالموت أو بمصادرة الاموال[8]، وقد كلفت ملكة اسبانيا أحد كهنتها بمراقبة المسلمين الذين كانوا لا يزالون في المدن والقرى الاسبانية فسارع لتلبية الامر الملكي؛ وقد لاحظ أن ثمة صلة بين المسلمين المتنصرين والقران وكتب الحديث والفقه واللغة والادب العربية والاندلسية، فأمر بجمع الكتب والمخطوطات في كومة كبيرة وأشعل فيها النار على مرأى من الناس ثم أقيم

---

(1) -. Menocal ،M.R. ،op.cit. ،pp. 330-335
(2)-. Kamen ،H. ،op.cit. ،pp. 45-47
(3) - Harvey ،L.P. ،op.cit. ،pp. 88-90.

(4) – أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص43.

(5) – حسين مؤنس، أطلس التاريخ الاسلامي، م**رجع سابق**، ص190.

(6) – أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص44، 45..

(7) –نجيب زينب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ج3، تقديم أحمد بن سودة، دار الامير ط1، بيروت لبنان1995، ص219.

(8) – راغب السرجاني، **قصة الاندلس من الفتح الى السقوط**، ط1 مؤسسة اقرأ لنشر والتوزيع، مصر 2010، ص 694.

ديوان التفتيش في اسبانيا الذي أتم فرض عملية التنصير على المسلمين بقوة؛ فتعرضوا لتعديب والقتل والحرق[1]، كما نشط ديوان التحقيق الاسباني (la inquisicion) أو "الديوان المقدس" أو "ديوان التفتيش" كما اشتهر، يدعمه العرش والكنيسة في ارتكاب الفظائع ضد المورسكيين (المسلمين المتنصرين) كما أن أعضاء محاكم التفتيش كانوا يتمتعون بحصانة خارقة وسلطان مطلق لذلك داع التعسف وسوء استعمال السلطة والقبض على الاثرياء وانتشارالرشوة[2]، كما صدرت عشرات من القرارات التي تحول بين هؤلاء المسلمين ودينهم ولغتهم وعاداتهم وثقافتهم ؛ كاصدر أمر ملكي يوم 22 ربيع الاول 9هـ/20يونيو 1511م يلزم جميع السكان الدين تنصروا حديثا أن يسلموا سائر الكتب العربية التي لديهم قفد أحرق أحد القساوسة الاسبان ثمانين الف كتاب من المخطوطات، ويقول أحد مؤرخي اروبا وهو لورانط "...ان الاسبان قتلوا من المسلمين نحو الثلاثة ملايين في ظرف 139سنة، كما احرقوا من مخطوطات الكتب العربية عام 1499م ما يقارب من المليون كتاب..."[3]

ثم تتابعت المراسيم والاوامر الملكية التي منعت التخاطب باللغة العربية وانتهت بفرض التنصير الاجباري على المسلمين، فحمل ذلك كثيرا منهم على قبول التنصير ملاذا للنجاة، واثر آخرون الموت وفر اخرون بدينهم

وقد انشأت محاكم التفتيش للبحث عن المسلمين الذين ادعوا النصرانية واخفوا الاسلام وكانوا اذا وجدوا رجلا يدعي النصرانية ويخفي اسلامه ويجدون في بيته مصحفا أو وجدوه يصلي ولا يشرب خمرا اقاموا عليه الحدود؛ كمل كانوا يلقون بهم في السجون ويعذبونهم بطرق شنيعة حيث يملئون بطونهم بالماء حتى الاختناق ؛ويضعون في أجسامهم أسياخا محمية؛ ويسحقون عظامهم بالات ضاغطة؛ كما كانوا يمزقون الارجل ويفسقون الفك، ولهم توابيت مغلقة بها مسامير حديدية تنغرس في جسم المعذب تدريجيا ؛ وأيضا أحواضا يقيد فيها الرجل ثم يسقط عليه الماء قطرة قطرة حتى يملا الحوض ويموت[4]، كما كانوا يقومون بدفنهم أحياء ويجلدونهم بسياط من حديد شائك كما يقطعون اللسان بالات خاصة.

وقد صور جنود نابليون هذه الآلات وعبروا عنها في كتاباتهم وعبروا عن شناعتها وبأنهم كانوا يصابون بالغثيان والقيئ بل والاغماء عند تخيل أن هذه الآلات كان يعذب بها البشر[5].

وفي 12 مارس 1524م صدر مرسوم اخر يحتم تنصير المسلمين ومن يعارض دلك يخرج من اسبانيا أو يعاقب، وأن تحول المساجد الى كنائس ويحظر الختان والاستحمام والاغتسال وهدمت الحمامات كما حظر ارتداء الملابس العربية[6]، ويعتبر كل موريسكي قد امتدح دين محمد قد عاد الى الاسلام ويجب على كل نصراني أن يبلغ عن ذلك [7].

---

(1) –نجيب زينب، **النوسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ص225.

(2) – **المصدر نفسه**، ص222

(3) – عبد الكريم فيلالي، **مرجع سابق**، ص146.

(4) – راغب السرجاني، **مرجع سابق**، ص697.

(5) – **المرجع نفسه**، ص 698.

(6) – راغب السرجاني، **المرجع السابق**، ص44،، حمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص 44.

(7) –نجيب زينب، **الموسوعة**، **المصدر السابق**، ص 226.

2. المقاومة الشعبية

على الرغم من السياسات القاسية، استمرت بعض الجماعات في ممارسة المقاومة السلمية والدينية، والاحتفاظ بعاداتها ولغتها في السر، وهو ما ساهم لاحقاً في ظهور حركات المقاومة الثقافية في شمال إفريقيا[1].

خامسا– التأثيرات على شمال إفريقيا بعد سقوط غرناطة

1.الهجرة واللجوء

بعد سقوط غرناطة، هاجر آلاف المسلمين واليهود إلى شمال إفريقيا، خصوصاً إلى المغرب والجزائر وتونس. هذه الهجرات أدت إلى زيادة الكثافة السكانية وظهور نشاط اقتصادي وثقافي ملحوظ، حيث نقل المهاجرون معهم مهاراتهم الزراعية والصناعية والعلمية[2]. وقد استمرت موجات الهجرة من الأندلس إلى شمال إفريقيا، ما أسهم في نشر الثقافة الأندلسية وتعزيز التواصل بين الأندلس والمغرب والجزائر وتونس[3].

2.التأثير على النظم السياسية

استفادت بعض الإمارات والممالك في شمال إفريقيا من خبرة المهاجرين في الإدارة والحرب، مما ساعد على تطوير قدراتها العسكرية والسياسية[4].

سادسا–تأثير سقوط غرناطة على أوروبا

1. تعزيز القوة الإسبانية

سقوط غرناطة منح إسبانيا الثقة والقدرة على التوسع خارج أوروبا، ما أسهم في تشكيل الإمبراطورية الإسبانية التي امتدت إلى الأمريكتين[5]. كما شكل سقوط غرناطة نقطة تحول تاريخية: بالنسبة لإسبانيا، كان بداية عصر إمبراطوري؛ وللمسلمين، بداية فترة تهجير وتشتت ثقافي[6]

2.انتشار الأفكار والتبادل الثقافي

رغم الطابع العسكري والسياسي للسقوط، فإن الأوروبيين استفادوا من المعارف العلمية والزراعية التي نقلها المهاجرون المسلمون واليهود، ما ساهم في نهضة علمية محدودة قبل النهضة الأوروبية

3.التحرشات الإسبانية والبرتغالية بسواحل المغرب

باكتشاف امريكا سنة 1492م والخروج المبكر لإسبانيا والبرتغال الى العالم الخارجي[7]، والاستيلاء على طريق التوابل ومصادرها بالشرق الاقصى جعلا كل من اسبانيا والبرتغال تفكران في الاستيلاء على العالم؛ وقد ازداد التنافس بينهم على البحر المتوسط وكاد أن يقع الصدام بينهما لولا تدخل البابا في الموضوع وعقد معاهدة توردسلاس وقد **وقعت البرتغال**

---

(1) - Menocal ،M.R. ،**op.cit**. ،pp. 340-342.
(2) - Abun-Nasr ،J.M. ***A History of the Maghrib in the Islamic Period***. Cambridge: Cambridge University Press ،1987 ،pp. 245-248.
(3) - Harvey ،L.P**.** ،**op.cit**. ،pp. 115-118.
(4) - Harvey ،L.P. ،**op.cit**. ،pp. 100-103.
(5) -. Kamen ،H**.** ،**op.cit**. ،pp. 55-57..
(6) - Abun-Nasr ،J.M**.** ،**op.cit**. ،pp. 255-258
(7) –عبدد الكريم فيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب الكبير**، ج3، ط1، القاهرة 2006، ص245.وأحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص28.

واسبانيا اتفاقا سنة 1494 تعرف باسم " « Trodisillas" بحضور البابا قضت: ان تستولي البرتغال على كل المكتشفات شرقي الخط الوهمي يرسم بطول المحيط الاطلسي على بعد 370 ميلا غربي جزر الراس الاخضر في حين يكون لاسبانيا ما يقع غربي هذا الخط [1]، وبذلك انفصلت اسبانيا والبرتغال عن بعضهما البعض واصبحت مملكة البرتغال تبني نفسها مما تكسبه من اراضي المسلمون[2]؛ تلتها معاهدة أخرى بين الاسبان والبرتغال عام 1509م في مدينة "فيلافرنكا" تقضي بأن يكون المغرب الاقصى للبرتغال ولاسبانيا المغرب الاوسط وقد انطلقتا بالفتك بالإنسانية في كل من اسيا وافريقيا واسيا[3].

كما كانت دوافع التحرشات الاسبانية والبرتغالية على السواحل المغاربية متعددة بين دوافع دينية وسياسية واقتصادية، فقد كانت حرب الاسترداد المسيحي في شبه الجزيرة الايبيرية تجري على أشدها من قبل الممالك المسيحية ضد البقية الباقية من الوجود الإسلامي في الأندلس ؛فالتطورات السياسية بالإضافة لتطورات الاجتماعية والاقتصادية والدينية التي استجدت في الغرب الأوربي في القرن 14م كما أشرنا سابقا، والتي تمثلت في ازدياد شعور الولاء لدى الشعوب الأوروبية للوطن الكبير ومساندة تلك الشعوب لملوكها على حساب أمراء الإقطاع وإحساس تلك الشعوب بأن الملكية القوية هي التي باستطاعتها توفير الأمن الداخلي وحماية المواطنين من المظالم التي يتعرضون لها من أمراء الإقطاع، كل هذا أدى إلى دخول الحركة الصليبية الغربية في طور جديد هدف أن يحل العالم المسيحي (اسبانيا والبرتغال) محل العالم الإسلامي وإنهاء دوره نهائيا ؛وذلك بإحلال دينه مكان الدين الإسلامي وكذا تجارته[4].

فمن المعروف تاريخيا أن المسلمين في الشرق وخاصة دولة الممالك الجراكسة في مصر والشام كانت تلعب دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، وأدى ذلك الى ثرائها ثراء شديدا كما تقدم ذكره؛ مما زاد الاحقاد الصليبية على المسلمين ورغبتهم في ضرب المسلمين اقتصاديا وذلك بالعمل على تطوير القوة الاقتصادية لبلادهم ومن ثم القوة العسكرية والحربية.

لهذا ازدادت رغبة البرتغاليين ومن بعدهم الاسبان في كشف طريق بحري جديد يربطهم مباشرة بالهند وبلاد الشرق الأقصى ليتم لهم السيطرة التامة على التجارة العالمية بين الشرق والغرب.

ولم يكن العامل الاقتصادي بالإضافة للعامل الديني هما المحركان الوحيدان للاستعمار الايبري لبلدان المغرب الإسلامي؛فالعامل السياسي الذي دفع كل من اسبانيا والبرتغال الى ملاحقة الموريسكيين في الشمال الافريقي وبلاد المغرب عامة والقضاء عليهم وضمان عدم معاودة مهاجمة السواحل الايبرية أو القيام بأية مؤامرات ضد الوجود المسيحي داخل شبه الجزيرة ؛هذا الى جانب رغبتهم في الانتقام من بلدان الشمال الافريقي التي كانت تعد منذ اوائل القرن 16 مراكز الغارات

---

(1) – الهريدي فريغلي علي يتسن، **تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر الكشوف والاستعمار والاستقلال**، دار العلم والايمان للنشر، الاسكندرية، 2008، ص، ص، 70.71.72

(2)–أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص241

(3)–**المرجع نفسه**، ص241

(4)–أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق** ص254.

البحرية ضد السفن والسواحل الاروبية [1].

ومنه يمكننا القول أن القرن السادس عشر كان نقلة نوعية في تاريخ اروبا شكلت ثورة في كل الميادين تغيير وجه لأوروبا على إثرها واستيقظت بفضل أحداث تلك الفترة يقظة لم تنم بعدها وان القرن 16 يعتبر الحلقة التي ربطت تاريخ اوروبا قديمة بمعاصرة واهدت لأروبا السيادة على العالم. ومنه يمكن تلخيص الدوافع في النقاط التالية:

أ–الأسباب الدينية: تتمثل فيما يلي:

_ نشر المسيحية وتنصير المسلمين الاندلسيين خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492

_ تعمير بلاد المغرب بمن يتنصر من المسلمين واليهود او ابعادهم عن اراضيهم وملاحقتهم وتجنب اسبانيا والبرتغال خطرهم.

_ سعي الملكة ايزابيلا في تحقيق امنيتها المتمثلة في فتح افريقيا وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين المسيحي ضد الكفار. ومباركة البابا الكسندر السادس سنة 1494 غزو السواحل المغربية[2].

ب –الأسباب السياسية والعسكرية:تتمثل في:

توسيع اسبانيا والبرتغال لملكيهما وتحقيق سيادتهما على حوض البحر الابيض المتوسط والتي لا تتم الا باحتلال سواحل المغرب تمهيدا لخلق امبراطورية مترامية الاطراف _ كما سعى كل من الاسبان والبرتغال الى اقامة قواعد عسكرية امامية على شواطئ بلاد المغرب وفي بقية بلدان شمال افريقيا للحيلولة دون اتصال الاندلسيين بالمغاربة ومساعدتهم لهم ووضع حد للأضرار التي كانت تلحق بالشواطئ الاسبانية والبرتغالية [3].

ج–الأسباب الاقتصادية: تتمثل في:

القضاء على تجارة المسلمين بالسيطرة على المراكز التجارية في شمال افريقيا واحتلال المناطق التي كانت اقاليمها تتميز بغناها بثروات الطبيعية والحيوانية[4].

د–اجتماعية:

-البحث عن المال للإسكان فائض السكان.

_ نتيجة الامراض والأوبئة المنتشرة آنذاك أدت الى البحث عن الادوية خارج البلاد.

_البحث عن تحسين ظروف العمل[5].

---

[1]-**المرجع السابق**، ص76.

[2]-بحري احمد، **الجزائر في عهد الدايات، دراسة الحياة الاجتماعية ابان الحقبة العثمانية**، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013، ص41 ؛ عبد الحميد البطريق، **تيارات سياسية المعاصرة _1815/ 1960**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974، ص 68.

[3]-جون وولف، **الجزائر واروبا 1500_1830**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 26، ينظر أيضا: عبد الله عبد الرزاق وآخرون، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2002، ص، 50

[4]-جوون وولف، **المصدر السابق**، ص 30.

[5]-عبد الحميد البطريق، **تيارات سياسية المعاصرة _1815/ 1960**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974، **ص** 69.

1-التحرش البرتغالي على المغرب الأقصى:

بدأت البرتغال تحتل أجزاء من السواحل المغربية بدأ من احتلال مدينة سبتة سنة 1415 التي حاصرها المغاربة لإرجاعها مدة 3 سنوات بدون جدوى تحت حكم افونسو الخامس.

احتلت البرتغال القصر الصغير في 1458، طنجة ما بين 1460 الى غاية 1464 واصيلا 1471 وبفضل هذه الانجازات تم تلقيب "ألفونسو الخامس " بلقب الافريقي[1].

وقعت البرتغال واسبانيا اتفاقا سنة 1494 يعرف باسم " « Tordesillas" بحضور البابا قضت: أن تستولي البرتغال على كل المكتشفات شرقي الخط الوهمي يرسم بطول المحيط الاطلسي على بعد 370 ميلا غربي جزر الرأس الاخضر في حين يكون لاسبانيا ما يقع غربي هذا الخط [2].

بدأ البرتغاليين مع ازدياد قوتهم الاقتصادية الى جانب قوتهم البحرية التحرش بالسواحل المغاربية مع بداية القرن 16م؛ خاصة بعد نشاط حركة الكشوف الجغرافية على السواحل الغربية لإفريقيا مما اتاح لهم في وقت مبكر احتلال بعض الثغور الأطلسية للمغرب الاقصى[3]، وقد كان يحركهم في بداية الأمر التعصب الصليبي والذي تطور بسبب الفتوحات المتواصلة في شرق القارة الأوروبية على يد القوة الجديدة في العالم الإسلامي وهم الأتراك العثمانيون، لذلك كان هدف البرتغاليون الرئيسي هو ضرب المسلمين في كل مكان وبكل وسيلة والذليل على هذه النزعة الصليبية هو قيام الامير هنري الملاح* بن يوحنا الأول ملك البرتغال(1394-1460م) بإضفاء شرعية الكنيسة على جميع فتوحاته من البابا نيقولا الخامس حيث قال "...إن سرورنا العظيم اذ نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال إذ يرسم خطى والده العظيم الملك يوحنا، وإذ تلهمه الغيرة التي تملك الأنفس كجندي باسل من جنود المسيح ؛قد رفع اسم الله الى أقاصي البلاد وأبعادها عن مجال علمنا، كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الفارين من أعداء الله وأعداء المسيح مثل العرب الكفرة...".

هكذا نجد أن الدافع الديني كان المحرك لحملات الكشوفات الجغرافية كما سبق وأشرنا الى جانب الحملات الاستعمارية التي أراد من خلالها البرتغاليين اضعاف العالم الاسلامي وسلب تجارته، ولقد بدأ الأمير هنري الملقب بالملاح في تحقيق

---

(1)-كريم عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، جمعية المؤرخين، الرباط، 2006، ص، 140

(2)-الهريدي فريغلي علي يتسن، **تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق**، ص، ص 70، 72.

(3)- أحمد توفيق المدني، **دخائر المغرب العربي**، دار النفائس، الاردن2001، ط1، ص215.

(*) -هنري الملاح (1394م-1460م) ابن الملك البرتغالي خوان الأول هو أول من فكر في تأسيس مدرسة بحرية لتعليم الملاحة في لشبونة وكان غرضه من ذلك اشتراكه في الحملة التي أعدها لاحتلال مدينة سبتة 1415م ذلك أنها كانت تتمتع بموقع استراتجي لإشرافها على الطريق البحرية بين جنوب اروبا وشمالها الغربي عبر مضيق جبل طارق كما أنها كانت قاعدة للقرصنة المغربية يهددون منها اروبا وشمالها لغربي عبر مضيق جبل طارق كما أنها كانت قاعدة للقرصنة المغربية يهددون منها السفن الاروبية الى جانب توفرها على الذهب.

مخططه للاستيلاء على ميناء سبتة[**] 818هـ/1415م[1].

كما استجاب الفونس الخامس ملك البرتغال لدعوة البابا الى حرب صليبية ضد القوى الإسلامية لثغور المغاربية عقب فتح القسطنطينية 875هـ/1453م، حيث نجح في الاستيلاء على القصر الصغير[***] 1458م كما استولى على أصيلا وطنجة في اوت 1471م؛ وقد سقط هذا الميناء في أيديهم دون مقاومة تذكر بسبب الخلافات الداخلية وطنجة وبذلك حصلوا على الطرف الغربي من المضيق، واستمروا في احتلال مدن المغرب الاقصى منها ازمور 1464م والعرائش 1471م ؛ومند ذلك الحين أصبح ملك البرتغال يلقب بملك البرتغال والاقاليم البرتغالية فيما وراء البحار ؛كما استولى البرتغاليون بعدها على معظم ثغور المغرب الاقصى المظلمة على المحيط الاطلسي.[2] ولم تبقى بعيدة عن الاحتلال الا تطوان بقيادة قائد حاميتها المن درس وكذلك مدينة شفشاون بسبب مقاومة استمرت حتى عام 1471م بقيادة الشريف العلمي علي بن راشد.

وكانت الاستراتيجية التي اتبعها البرتغاليون هي السيطرة على المدن الساحلية ثم التوسع باتجاه مدن المغرب الاوسط فاتجهوا الى وهران عام 1483م توجهوا بعدها الى مراكش وقد تصدت لهم الدولة السعدية ونجحوا في تحرير موانئ مراكش ففي عام 1541م هاجم السلطان محمد الهادي قلعة سانت كروز في اقليم العيون الصحراوي الحالي واستولى عليها بعد أن دحر البرتغاليون وتمكن بأقل من عشرين سنة من تحرير كل المدن ماعدا سبتة وطنجة ومازاغان.

فالإمبراطورية البرتغالية حملت بدور فنائها في داخلها؛ فمع انتقالها الى حكم الملك فليب بعد توحيد التاجين اسبانيا والبرتغال أهمل فليب الثاني المستعمرات البرتغالية كما أهملت الاراضي الزراعية داخل البرتغال بسبب الهجرة الى العالم الجديد ومنه يمكننا القول أن عظمة البرتغال كانت تخفي وراءها بؤسا وتعاسة داخل البلاد.

2.التحرشات الاسبانية على المغارب:

لقد استعمل الاسبان طريقتين رئيسيتين في فرض سيطرتهم على المدن الساحلية للمغرب الاوسط وهما:

أ-احتلال المرسى الكبير:

مع بداية القرن 16 كان الاسبان على استعداد لمواجهة شواطئ المغرب الاوسط فقد جهز الكاردينال "اكزمينيس" في سنة 1505 م اسطولا يتكون من 134 سفينة على متنها 5000 جندي تحت قيادة الدون دييغو فرديناندين.

انطلقت هذه الحملة في يوم 29 اوت 1505 من ميناء مالقا باتجاه المرسى التي وصلته.

في 11 سبتمبر بالرغم من المقاومة من طرف المسلمين، إلا أن الاسبان استطاعوا احتلال المرسى الكبير بعد حصار

[**]-تتمتع سبتة بموقع استراتجي لاشرافها على طريق البحرية بين جنوب اروبا وشمالها الغربي عبر مضيق جبل طارق كما انها قاعدة للقرصنة المغربية يهددون منها السفن الاروبية الى جانب وفرتها على الذهب.محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **تاريخ المغرب الحديث"المغرب الاقصى –ليبيا"**، حقوق النشر والتأليف محفوظة جامعة دمشق، ص22.

[1]-نمير طه ياسين، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفكر، عمان، الاردن، ط1، 2010، ص96.

[***]-القصر الصغير الواقع بين سبة وطنجة.

[2]-أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان (المرابطية والموحدية)**، تح:جعفر الناصري، محمد الناصري، (د.ط)، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954،

دام 50 يوما ودخلوه في 23 اكتوبر 1505 م واتخذوا منه ميناءا لإرساء سفنهم وبوابة لاحتلال موانئ أخرى [1].

وبعد محاولة الاسبان غزو مدينة وهران مرة ثانية بعد الهزيمة النكراء التي تعرضوا اليها سابقا في شهر جوان 1507 نظموا حملة اخرى بقيادة بيدرو نفارو مكونة من 33 مركبة بحرية و51 زورقا صغيرا تحمل 15 الف جندي، فانطلقت هذه الحملة في 15 ماي 1509 ووصلت في 17 ماي لكنهم هذه المرة تمكنوا من دخول مدينة وهران، بالرغم من مقاومة المسلمين، وهكذا استمر التوسع الاسباني في المغرب الاوسط ليشمل كل من بجاية والمرسى الكبير ووهران ما جعلهم يسيطرون على الساحل الشمالي [2]، وكانت هذه وسيلة ضغط ليجعلوا السكان يدخلون تحت وصاية الاسبان خوفا من الهزيمة والدمار والخراب عن طريق امضاء اتفاقيات مع الاسبان يلتزمون فيها بدفع الجزية والاعتراف بالحماية الاسبانية.

اذن مع بداية القرن 16 كانت جل سواحل المغرب الاوسط تحت السيطرة الاسبانية وكانت اسبانيا تتأهب للانتقال للمرحلة الثانية الا وهي التوسع في المناطق الداخلية [3].

ب-**الغزو الاسباني ببجاية:** أخذ الاسبان يتحرشون ضد مدينة بجاية التي كانت تخضع للأمير الحفصي عبد الرحمان وهي تابعة لقسنطينة حيث شنوا حملة عليه في 5 جانفي 1510م فاحتلوها رغم مقاومة السكان غير أن الفارق في الامكانيات جعل الافضلية للإسبان فتمكنوا من النزول في البر، وهدا جعل الوضع أكثر خطورة مما جعل السكان يقومون بإجلاء الاطفال والنساء وارسالهم الى مدينة جيجل.

كما احتلوا عنابة في العام نفسه وطرابلس الغرب، ولكنهم فشلوا في احتلال جزيرة جربة وقرطاج التونسية حيث أعلن السلطان الحفصي بتونس على قبول دفع الاتاوة المالية للاسبان.

ج-**خضوع مدينة الجزائر:**

بعد خضوع بجاية ؛ خشي أهالي مدينة الجزائر أن يصيبهم ما أصاب أهالي بجاية ووهران[4] فقرروا ارسال وفد الى بجاية لتفاوض مع الاسبان لانهم علموا أنهم سيكونون الهدف الموالي برئاسة سالم التومي للاجتماع مع قائد الحملة "بيدرو نافارو"، و بعدها ذهب الوفد الجزائري الى اسبانيا ووقعوا على اتفاقية تضمن لهم تنازل الجزائريين على أكبر جزرهم الصخرية للإسبان لكي يقيموا عليها قلعة تحرس سفنهم التجارية في 1511م[5].

د- **الغزو الاسباني للمغرب الأدنى "تونس وطرابلس":**

1-كانت تونس تحت الحكم الحفصي؛ وقد بلغت أوج قوتها في عهد السلطان ابو فارس(1394م-1434م) وابو

---

[1]-نجيب دكاني، **الوجود الاسباني على السواحل الجزائرية ورد فعل الجزائري جلال القرن 16**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ العثماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،، تحت إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2002، ص25.

[2]-زراولة العالية، علو شريفة، **دور البرتغال والاسبان في الكشوفات الجغرافية وآثارها على الحركة الاستعمارية في الوطن العربي**، مذكرة ماستر، إشراف نجيب دكاني، جامعة الجزائر، 2017، ص، ص 93، 94.

[3]-احمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492_1792**، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص -ص 164- 165.

[4]-محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، (1512-1543)**، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 115.

[5]-**المرجع السابق**، ص115

عمر عثمان(1435م-1488م)وبعد موتهما بدأت الاوضاع تتدهور وقد تزامن ذلك مع قدوم الاسبان الى السواحل المغاربية من جهة والاتراك من جهة الثانية؛ حيث تمكن الاسبان من دخول تونس 1535بعد أن كانت تحت السيطرة العثمانية عام 1534م.

2-طرابلس الغرب: بعد سقوط الموحدين والمرنيين كانت طرابلس في كثير من الاحيان تتبع الدولة الحفصية ؛وقد تخلصوا من حكمهم في النصف الثاني من القرن 15م، حيث لاحقت اسبانيا المسلمين وقامت بالغارة على طرابلس في 1510م واحتلتها بعد مقاومة شديدة غير أن الاسبان وبسبب الخطر الذي كان يتصاعد ضدها من البحارة المسلمين سواء من جربة أو غرب المتوسط قبلت بعرض فرسان القديس يوحنا بتمليكهم طرابلس مقابل استمرار مقاتلة المسلمين لصالح الاسبان وكان ذلك تحت رعاية البابا وتحت ضغطه والحاحه، وهكذا تم احتلال طرابلس من قبل فرسان القديس يوحنا سنة 1535م وظلوا فيها حتى 1551م أين تم طردهم من قبل العثمانيين[1].

وهكذا مع مطلع القرن 16كان البرتغاليون والاسبان قد احتلو العديد من المدن والمراسي الساحلية من المغاربة وقد نتج عن هذه الاحداث طرد الاف المسلمين من الاندلس وتشريدهم الى مختلف الثغور المغاربية [2].

الخاتمة

سقوط غرناطة عام 1492 لم يكن مجرد حدث عسكري أو سياسي، بل كان بداية تحول تاريخي كبير أثر على أوروبا وشمال إفريقيا على المستويين الديموغرافي والثقافي. الأحداث أعادت تشكيل الهوية الدينية والثقافية، وأدت إلى موجات تهجير هامة. كما أسهمت في تعزيز الطموحات الاستعمارية الأوروبية، وأكدت أهمية الوحدة الداخلية وقدرة الشعوب على الحفاظ على هويتها الثقافية والدينية رغم التهديدات الخارجية.

[1]-محمد قجي، ابراهيم حلمي الغوري، **اطلس التاريخ الحديث**، دار النشر الشرق العربي الاصدار الاول2006، ص 42.

[2]-علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار القكر، دمشق 2001، ص153.


غيجون
سانتاندير
لاكورونيا
أفيليس
أبيط (بلباو)
أندورا
فيغو
ليونة
البـــرانـــس
أرض الوليد
سرقسطة
برشلونة
شلمنقة
طاراغونة
البرتغال
بحر البالبار
مدريد
جزر البالبار
بلنسية
أليكانت
قرطبة
قرطاجنة
هولبة
إشبيلية
البحر الأبيض المتوسط
مالقة
قادس
جبل طارق
مضيق جبل طارق
البحر الأطلسي
(بريطانيا)
سبتة (إسبانيا)
مليلة (إسبانيا)
الجزائر
المغرب

محاضرة 2: أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م

مقدمة:

إن دراسة مختلف الجوانب التاريخية لتاريخ المغرب الإسلامي خلال القرن16م يرصد لنا تذبذب أحواله من فترة الى أخرى برغم من وجود فترات ازدهار تتخللها أنقسم المغرب الإسلامي الى ثلاث دويلات زيانية بالمغرب الأوسط عاصمتها تلمسان والدولة المرينية عاصمتها مراكش وفاس في المغرب الأقصى والدولة الحفصية في المغرب الأدنى عاصمتها المهدية ثم تونس بالمغرب الأدنى وفي ظل هده الأوضاع التي تخللتها الفتن والأنقسامات أرادت كل دويلة فرض السيطرة على المناطق الاستراتيجية

وهذا ما دفعنا الى طرح التساؤل الاتي:ماهي الظروف التي قامت على انقاضها هاته الدول الثلاث؟ وينطوي تحت هدا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية، كيف نشأت هاته الدويلات؟ وماهي الظروف التي ساهمت في ازدهارها؟ وماهي أسباب اضمحلالها ؟

أولا: تأسيس الدولة الموحدية وعوامل ضعفها:

شهد بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط عدة تغيرات سياسية، أدت إلى ظهور العديد من الدول المنافسة، والتي تقوم كل منها على أعقاب دولة أخرى، تبدأ كدعوة دينية وفكرية وروحية على يد دعاة فقهاء، ثم تأخذ طابعا سياسيا لظهور نظام جديد.

فكانت من بين هذه الحركات حركة محمد بن تومرت[1] الذي دعى إلى التوحيد، والتي كانت في بدايتها حركة إصلاحية لإعادة رفع راية الإسلام، وإحياء السنة النبوية، وبعد أن ترسخت في المغرب، أخذت جانب العمل السياسي لتغيير نظام الحكم المرابطي، وذلك بالطعن في عقيدتهم واتهامهم بالخروج عن الدين إلى غاية وفاته سنة (ت 524هـ-1129 م).

بعد ذلك خلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي في حمل لواء الدعوة الموحدية وبويع بالخلافة، فكان الخليفة الأول للموحدين، وأكمل مسيرته في القضاء على المرابطين وتأسيس الدولة إلى غاية وفاته سنة ت 558هـ-1163م.

-ضعف وسقوط الدولة الموحدية:

إن الصراع عى السلطة بين أبناء "عبد المؤمن بن علي" هي السبب الأساسي وراء تفكيك الدولة الموحدية، خاصة وأن "عبد المؤمن"[2] تبنى النظام الوراثي، ممّا أدى إلى دخول العائلة في الصراع من أجل الحكم، وهذا ما أشعر القبائل

---

[1]-محمد بن تومرت: تنسبه المصادر إلى قبيلة هرغة، فقد عرف بلقب تومرت وهي نوع من الأكسية الجلدية، ولقب أيضا "أسافو" لأنه يوقد دائما القناديل في المساجد من أجل القراءة،، ولقب المهدي كما أطلقه أصحابه العشرة، ينظر:عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، **حياته وآرائه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص23-33.

[2]-مع العلم أن "عبد المؤمن بن علي" قد تعرض لمحاولة اغتيال من طرف جماعة هرغة سنة 556هـ بسبب استئثاره بالحكم، واعلانه للنظام الوراثي، كما قام بخلعه ولي عهده "محمد "بحجة سوء سيرته، ممّا الوضع صعوبة عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح:محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994، ص 83.

بالتهميش، ولإشارة فإن هذه القبائل وقفت على أكتافها الدولة الموحدية [1].

والملاحظ أن هذا الصراع قد ساهم في اسقاط هيبة الخلفاء لدى القبائل، هذه الأخيرة أقامت مراكز قوة في قمة السلطة، حبث تتولى عزل وتعيين من تشاء، وتداول مجموعة من الحكام على رأس الدولة الموحدية مثل المستنصر ثم ابنه عبد الواحد المخلوع، ثم عبد الله البياسي بالأندلس، أبو العلاً إدريس [2]، والواقع أن الدولة الموحدية قد تعاقب عليها حكام صغار السن، مثلما هو الحال مع "عبد الناصر" الذي انغمس في الملذات والترف، ممّا أدى إلى ضعف بيت "عبد المؤمن " من رجال يتولون تسيير شؤون الدولة[3].

دامت الوحدة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي حوالي قرن ونصف قرن في ظل الحكم الموحدي، غير أن الوضع انقلب بعد هزيمة الجيش الموحدي بقيادة محمد الناصر 595هـ/610م-1199م-1213م أمام الجيوش النصرانية المتحالفة بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م [4]، غير أن هذا الحاكم "الناصر" قتل على يد أشياخ الموحدين الذين كان يستشيرهم في الأمر، فبعد موقعة حصن العقاب، تأمروا عليه وقتلوه[5]، وهذه الأحداث المتتالية أدت إلى سقوط الأندلس أولا ثم الدولة الموحدية.

إن انهزام الجيوش الموحدية يعدّ في الحقيقة حدث هام في المغرب الإسلامي، ممّا نتج عنه تصدع كبير في تاريخ المغرب، أدى إلى التأثر على الرقعة الموحدية، من خلال ظهور قوي سياسية جديدة متصارعة فما بينها [6]، كما أدى انهزام المسلمين في معركة حصن العقاب بالأندلس إلى ظهور الفتن الداخلة والثورات، وتسبب في ضعفها ثم سقوطها [7].

وفي نفس السياق أشار ابن أبي زرع إلى هذه الأوضاع فقال"....توالت الفتن وعدمت الأقوات سنة تسعة عشرة إلى سنة سبعة وثلاثين لما أراد الله انقراض الدولة الموحدية وظهور الدولة المرينية...."[8].

بعد الرخاء الذي شهدته الدولة الموحدية لمدة تزيد عن قرن تحت ثوار القصر والصراعات الاهلية على السلطة التي تشتت، انقسمت إلى ثلاث أقسام على رأس كل قسم منها دولة وهي الدول الثلاثة التي نشأت على عقب الدولة الموحدية

---

(1)-ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح:محمد مكي، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.س)،، ص 200، 207 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 88.

(2)- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972، ص 244؛ ينظر أيضا: روجيه لي تورنو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، الدار العربية للكتاب، طرابلس، (د.س)، ص ص 106، 107.

(3)-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 404؛ وأيضا: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، ج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص20.

(4)- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع:سعد زغلول، دار دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985.ص 104.

(5)- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 238، 239، 240.

(6)-محمد القبلي، **الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل**، دار توبقال، المغرب، 1997، ص 18.

(7)-عز الدين عمر موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991، ص 55.

(8)-ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 41 ؛ الحسين بوالقطيب، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.س)، ص 34.

وتتمثل في:

*(668هـ/1295: الدولة المرينية في القسم الغربي وعاصمته مراكش.

*633 هـ/1235:دولة بني عبد الواد في الوسط وعاصمتها تلمسان.

*625 هـ/1227:الدولة الحفصية في شرق المغرب وعاصمتها تونس[1]".

ثانيا:قيام الدولة الحفصية 625هـ/ 1238 م:

1-أصل ونسب بني حفص:

ينسب أمراء بني حفص إلى أبي حفص عمر بن يحي بن محمد، كان لشيخهم "عمر" دور كبير في نجاح دعوة "بن تومرت"، وهو من قبائل هنتاته البربرية[2] التي تعتبر من أهم قبائل المصامدة على وجه الخصوص ومن اكبر قبائل البربر في المغرب، وفي نفس المنحى ذكر المراكشي بأن الاسم الحقيقي لأبي حفص هو "فصكة بن ومزال"، وأن "المهدي بن تومرت" هو وراء تسميته بهذه الاسم "أبي حفص" [3].

وهناك بعض المصادر ترجع نسب الدولة الحفصية إلى عمر بن الخطاب، وفي هذا الشأن يقول ابن الشماع:"....هو المولى أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن يحي بن محمد بن والد بن علي بن محمد بن ولال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن كعب نب محمد بن سالم بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه...." [4].

في حين أشار "ابن أبي دينار" أن نسب الدولة الحفصية، غارق في البربر باعتبار أن العرب كانت معتادة على الزواج من البربر[5].

أما بعض الدراسات فقد ذهبت إلى القول أن سبب نسب الحفصيين إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أجل إكساب الحكم الصبغة الشرعية، وأيضا التميز عن مختلف القبائل بهذا النسب إلى أهل البيت [6].

2-قيام الدولة الحفصية:

تمكنت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى من القيام على أنقاض الدولة الموحدية، بالرغم من ان الحفصين ساعدوا الموحديين في الحفاظ على دولتهم، غير أن الخليفة الموحدي "الناصر" عمل سنة 603هـ/1206م على إقطاع بلاد افريقية

---

(1)-نصر الله سعدون، **تاريخ العرب السياسي في المغرب**، دار النهضة العربية، مصر، (د.س)، ص 28.

(2)-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار الغربية للكتاب، ص 48؛ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 371.

(3)-عبد الواحد المراكشي، **المصدر السابق**، ص 255، 262.

(4)-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، **المصدر السابق**، ص 48.

(5)-ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 130.

(6)-جميلة المسعودي، **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ/893م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2000، ص 11

إلى عبد الواحد بن ابي حفص، ومنحه حق التصرف في إدارتها، وبهذا ينشغل "الناصر" في القضاء على مختلف الثورات والفتن الداخلية التي عرفتها الدولة الموحدية[1]، بالرغم من أن إرسال الناصر لأبي حفص إلى افريقية بسبب مكانته لدى قبائل البربر، وأعتقد أنه بعد أن يستطيع تنظيم الأمر سيعود بعد سنوات إلى مراكش[2]، لكنه ثبت حكمه في إفريقية لمدة خمسة عشرة سنة[3].

يعود إنشاء الإمارة الحفصية إلى اختلاف المذهب بين الخليفة الموحدي "إدريس المأمون بن يعقوب المنصور ووالي افريقية الحفصي، وتعود التفاصيل أن الخليفة الموحدي أعلن بطلان رسوم "المهدي بن محمد بن تومرت" [4]، بهدف تحطيم أسس الدعوة الموحدية.

مع الإشارة أن الخليفة "المأمون" قد طالب بالخلافة في الأندلس، غير أن أشياخ الموحدين عينوا خليفة آخر وهو "يحي المعتصم، ممّا دفع بالخليفة "المأمون "بالتوجه إلى العاصمة مراكش وقتله ليحي ولأشياخ الموحدين، ممّا أدى إلى بداية فصل من الصراع بين أبناء "عبد المؤمن بن علي" وأشياخ الموحدين [5].

وانطلاقا من هذا السياق فقد ظهرت إمارة الحفصية كإمارة مستقلة بعد مبايعة أبي زكرياء ليحي المعتصم سنة 627هـ/1229م، ممّا يعني أن ولاؤه كان ظرفيا من أجل تولي الحكم في افريقية [6]، وبذلك تمكن من اتخاذ خطوة استقلال امارته عن الدولة الموحدية.

إن أول خطوة قام بها أبو زكرياء خلع الولاء عن الدولة الموحدية، حيث قام بالتحرك صوب قسنطينة سنة 628هـ/1230م، ثم بجاية، وبعد بيعته من طرف سكان افريقية وقبائلها سنة 634هـ/1237 م [7].

يمكن القول في الأخير أن إنشاء الدولة الحفصية يعود إلى دور " أبا زكرياء الحفصي"، الذي تمكن من إرساء دعائم الدولة الحفصية، وفرض مكانتها على مستوى المغرب الإسلامي، ويعتبر الانفصال الرسمي عن الدولة الموحدية بالنسبة للحفصيين على يد "أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي" سنة 626هـ/1229م، وتعددت أسباب انفصال الأمير ابى زكريا بن عبد الواحد الحفصي عن الدولة الموحدية منها:

1-انهيار دولة عبد المؤمن في المغرب والأندلس عقب الهزيمة التي لحقت بجيوشها في موقعة العقاب سنة 1212م

---

(1)-ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**، ص291؛ ينظر أيضا:عاشور بوشامة، **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626هـ/981م-1228م-1573م**، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 1991، ص 103.

(2)-محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 100.

(3)-ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**، ص 291.

(4)-عبد العزيز الدولاتي، **مدينة تونس في العهد الحفصي**، دار سراس للنشر، تونس، 1981، ص 60.

(5)-عاشور بوشامة، **المرجع السابق**، ص 54.

(6)-عبد الرحمان ابن خلدون، **العبروديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، (د.ط)، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006. ص 381؛ ينظر أيضا: ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الحفصية**، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التراي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968،، ص 108.

(7)-أبي عبد الله الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح:محمد ماضوي، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص27.

2-رفض الخليفة الموحدي إدريس المؤمن في عام 626هجري 1229م لتعاليم محمد بن تومرت –كما ذكرنا سابقا- ثم أزال اسمه من الخطبة.

3-قتل الخليفة الموحدي إدريس أشياخ الموحدين الذين عارضو سياسته ومعظمهم من هنتاتة قبيلة الحفصيين، ولهذا قرر أبي حفص الانفصال.

3-الأوضاع الداخلية للدولة الحفصية:

1- الأوضاع السياسية:

أعلن أبو"زكرياء الحفصي" استقلال إمارته عن الدولة الموحدية، وقطع التبعية بهسنة634هـ/1236، [1] والدليل أنه أصبح يذكر اسمه في الخطبة.

أول ما قام به أبي زكرياء الحفصي بعد قيام دولته في افريقية، هو الاتجاه إلى قسنطينة ومحاصرتها والقبض على عبد الله بن يعقوب المنصور، ثم توجه نحو بجاية، وتمكن من القبض على واليها"أبي عمران بن يعقوب المنصور "، وقام بمنحهما منزلين بتونس وراتبا شهريا [2]، ممّا يوضح أن سياسته تندرج ضن استمالة الناس والتسامح معهم بهدف تكوين دولة قوية.

توسعت الدولة الحفصية في عهد أبو زكرياء، فقد حاول توسع نفوذه سنة 632 هـ من خلال فتح المغرب الأوسط، وتعيين واليا تابعا له[3]، فهدفه من وراء هذا التوسع هو القضاء على نفوذ الدولة الموحدية.

كما حاصر " أبو زكرياء" تلمسان للانتقام من عبد الواد يغمراسن حاكم تلمسان الذي فضل البقاء تحت حكم الموحدين والاحتفاظ باستقلاله، فوجه "أبو زكرياء جيشا قوامه العددي حوالي أربعة وستين ألف جندي، وتمكن من الدخول إليها سنة 640هـ، في حين استطاع يغمراسن وعائلته الفرار إلى الجبل [4].

بالإضافة إلى ماسبق نجد أيضا نظام الحكم هو نفسه النظام الذي انتهجته الدولة الموحدية، بحيث يعتمد على نفس المبادئ التي جاء بها "محمد بن تومرت" [5]، حيث قلده الحفصيون في نظام المشايخ بترتيبه المعروف في عهد ابن التومرت وهو الترتيب العمودي الى مشايخ كبار من اهل العشرة ومشايخ صغار من اهل الخمسين ومشايخ عاديين، لكن الوضع تميز بكثرة الفتن والثورات ضد الدول الحفصية [6].

اهتمت الدولة الحفصية بنظام الحسبة وهدا غير مستغرب في دولة تستمد أصولها من نظام الموحدي [7]، وفيما يخص الجيش فقد كان يتركب من عناصر عربية وبربرية وتركية وافريقة أخرى وكان له نظام خاص كان يتمثل في مشايخ كبار

---

[1]- أبي عبد الله الزركشي، **المصدر السابق**، ص 27.

[2]- ابن قنفذ القسنطيني، **المصدر السابق**، ص 108.

[3]-شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، ج1، دار صادر بيروت،، لبنان، 1977،، ص 132.

[4]-ابن قنفذ، **المصدر السابق**، ص 19.

[5]-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 384.

[6]-شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **المصدر السابق**، ص 118.

[7]-أبي عبد الله الزركشي، **المصدر السابق**، ص50.

مشايخ صغار والوقافون وعامة الجند.

من جهة أخرى لم تستطع بسط نفوذها على سائر أقطار المغرب، ولم يتمكن حكامها نقل مقر الخلافة إلى مراكش[1]، وبالرغم من ذلك شهدت الدولة الحفصية استقرارا وازدهارا في عهد"أبو زكرياء" ثم في عهد ابنه المستنصر [2].

ثم بدأت الدولة في التدهور بعد بيعة ابنه "يحي الملقب بالواثق، وشهد عهده فتن واضطرابات بينه وبين عمه "أبو اسحاق"، واستمر التنافس بين أمراء البيت الحفصي، وأصبح كل فرد يفكر في افتكاك السلطة بأي طريقة، وهذا ما ميز الدولة الحفصية، فقد كان وضعها السياسي متأرجح بين القوة والضعف والاستقرار والتدهور.

2-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

إن الوضع السياسي الذي تميزت به الدولة الحفصية بين الاستقرار والتدهور قد أثر على الناحية الاقتصادية، فسكان الإمارة هم مزيج من أجناس مختلفة، ولعلّ أهم عنصر هم المهاجرين من الأندلس

فشملت علماء والأدباء، ممّا أثر في نمو وتحسن الأوضاع [3].

ونتيجة لتنوع التركيبة البشرية في تونس، فقد ساهم ذلك في تطور العمران، وربما هذا التمازج هو الذي أدى إلى تطور الصناعات والحرف، ممّا يعني وجود الرخاء في هذه الإمارة نتيجة الاستقرار الذي تتميز به هذه الإمارة، خاصة وأنها استطاعت سد احتياجات السكان من السلع بفضل الأسواق التي انتشرت في تونس[4].

استطاعت الإمارة أيضا تحديد صناعة للمزاولة يجاوره مجموعة من الدكاكين والحوانيت مثل سوق مخصص لبيع الصناعات الثمينة مثل الذهب والفضة والحرير، سوق لبيع منتوجات الصناعة، وصناعة الأدوات الجلدية، وغيرها من الحرف والصناعات.

وبالتالي فاحتكاك العرب والبربر قد كان له أثر على الناحية الاقتصادية والإجتماعية [5]، فقد كانت هناك أراضي زراعية بالمدن الحفصية، بحيث يمنحها الأمير إلى كبار حاشيته[6]، وبعض الفقهاء والعلماء المقربين منه.

كما يعتبر النشاط التجاري هو القاعدة الرئيسية للاقتصاد بشقيه الداخلي والخارجي، فكان هناك تجميع وتوزيع الواردات والبضائع القادمة إليها من افريقيا وأوروبا والمغرب ومنتوجاتها الصناعية والزراعية، وهذه البضائع تحمل عن طريق الإبل من الأقاليم السودانية في مدينة تونس هي المنتوجات الزراعية والنباتية والحيوانية، كما كان التجار يأتون بمنتوجات

---

(1)-يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 78.

(2)-أبي عبد الله الزركشي، **المصدر السابق**، ص 27.

(3)-أبو محمد التجاني، **رحلة التجاني**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981.، ص 33

(4)-روبير بريشفيك، **تاريخ افريقيا في العهد الحفصي من القرن 14 إلى نهاية القرن 15م**، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1988 ص 185.

(5)-محمد طمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 184.

(6)-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 317.

التمور والقمح والشعير من تونس إلى السودان [1]، أما فيما يخص صادرات الدولة الحفصية فتتكون من عدة مواد هي الصوف، الجلود، الشمع، الحبوب، وبعض المعادن[2]، أما الأسواق فهي تمثل المرآة العاكسة لحياة المدينة الاقتصادية وعنوان نشاطها التجاري والصناعي[3]، من جهة أخرى اجتهد المحتسبين والفقهاء في تونس على منع بعض الممارسات التجارية للأحكام الشرعية في فقه البيوع مثل البيع بالربا، احتكار البضائع[4].

يمكن القول أن ملامح البنية الاقتصادية للدولة الحفصية من خلال تنوع الأنشطة الاقتصادية التي شكلت دعائم للاقتصاد الحفصي، وشملت هذه الأنشطة قطاعات الزراعة والصناعة ومختلف الأنشطة التجارية

3-سقوط الدولة الحفصية:

1-الأسباب الداخلية:

يمكن تحديد الأسباب الداخلية التي عجلت وساهمت بشكل كبير في سقوط الدولة الحفصية في عدة نقاط هي وكالاتي:

1-قلة اهتمام الخلفاء بالدولة الحفصية والرعية واهتمامهم بحياتهم الشخصية.

2-وقوع الدولة الحفصية بين دولتين قويتين اسبانيا غربا والعثمانيون شرقا.

3-الصراع الداخلي من اجل الحكم بين أبناء البيت الحفصي، وما ترتب عن دلك من صراع عنيف وقتال دموي[5].

4-استقلال بعض المدن عن عاصمة الحفصيين فتضطر أحيانا الدولة لتجريد الجيوش وتجهيزها من أجل اخضاع المدن لسلطتها، ممّا يتطلب ذلك الكثير من الأموال والعتاد والرجال، وأحيانا تنهزم جيوش الدولة الحفصية أمام مقاومة المدن الذين يحاولون اخضاعها.

2- الأسباب الخارجية:

بالإضافة الى الأسباب الداخلية كانت هناك أسباب خارجية ساعدت على سقوط الدولة الحفصية ويمكن ذكرها فيما يلي:

1-تحالف الدول الحفصية مع الإسبان للقضاء على المسلمين.

2-ظهور طرف ثالث في الصراعات والمتمثل في الدولة العثمانة التي قضت على الاسبان والحفصيين[6].

ثالثا: الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط:

---

[1]-أبو عبد ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1960، ص 51؛ أبو عبد الله الأنصاري ابن الرصاع، **فهرسة الرصاع**، تح:محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 45.

[2]-Sayous ،**le commerce du Maghreb médiéval** ،actes duler congres ،d.c.h.m.l ،Tunis ،1979 ،p 88.

[3]-روبير بريشفيك، **المرجع السابق**، ص 203.

[4]-**المرجع نفسه**، ص 203.

[5]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 521.

[6]-أبو عبد الله إبن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، ط3، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1993،.، ص 156

1-الإطار الجغرافي والمكاني: يمتد المغرب الأوسط من حدود برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وفي هذا الصدد يقول "ابن خلدون أن الفاصل بين المغرب الأوسط والأقصى هو نهر ملوية[1]، وتعددت أسماء حكام الدولة الزيانية بين الزيانيون، عبد الواد، بنو عبد الواد، ويعود ذلك إلى نسبهم [2]إلى قبيلة بني عبد الواد [3].

ولم تكن حدود هذه الدولة واضحة بسبب ما كان يحدث مع جارتيها الدولة الحفصية والمرينية من تصارع، وهذه هي الدول التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية [4].

2-النشأة والتأسيس:

يشكل تاريخ دولة بني عبد الواد الزيانية في مجمله رصيدا حضاريا كبيرا فهو حافل بالأحداث السياسية والعسكرية والثقافية على اعتبار الدولة الزيانية أكبر دول المغرب الأوسط وأطولها عمرا حكمت سيطرتها على هده البلاد أزيد من ثلاثة قرون من الزمن من633/962 عاشت خلالها حالات من الشدة والرخاء.

1-1-أصل بن عبد الواد ونسبهم:

تنسب دولة بن عبد الواد إلى قبيلة بني عبد الواد، وهي إحدى بطون زناتة، هذه القبيلة الأخيرة قد قاومت الدولة الموحدية التي قادها "عبد المؤمن بن علي" ووقفت في وجه جيشه، لكنهم في الأخير رضخوا إلى أوامر الموحدين، وأصبحوا حماة لهم[5].

أما الدولة الزيانية فهي نسبة إلى زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن بن طاح الله علي بن يمل بن برجي ابن القاسم، وهذا الأخير ينسب إليه بنو زيان سلاطين الدولة الزيانية [6] محاولا اظهر نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، في حين استنكر "ابن خلدون" نسب الزيانيين إلى الرسول، واعتبره مجرد تملق من السلاطن، وفي هذا الصدد يستشهد بموقف السلطان يغمراسن في رده على من رفع نسبه إلى إدريس، قائلا:"إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا

---

[1]-عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 64.

[2]- أما بخصوص سكان المغرب الأوسط فتشير بعض الدراسات إلى أن الأمازيغ أول من عمرها، والمعروف أن القبائل البربرية تنقسم إلى ثلاث فروع هي: كتامة، صنهاجة، زناتة، بالرغم من اختلاف النسابين في أصلهم، فالمسعودي نسبهم إلى نسل حام الذي نزح إلى المغرب، أما الطبري فيرجعهم إلى سام بن نوح عليه السلام، والجدير بالذكر أن الفينقيون هم أول من وفدوا إلى المغرب الإسلامي، وكان قدومهم خالي من الأطماع الاستعمارية، ولهذا احتضنهم السكان امتزجوا بهم، كما دخل العرب الفاتحين واختلطوا بالبربر.

وترجع تسمية الزيانيين ببني عبد الوادإلى جدهم عابد الوادي، فهم عبارة عن قبائل رحل يجوبون الصحراء في الشرق الأوسط بحثا عن المراعي ما بين سجلماسة ومنطقة الزاب بإفريقية، فسكان المغرب الأوساط في العصر الزياني كانوا عبارة عن مزيج من السكان الاصليين والمهاجرين الأندلسيين يمي هريديب، **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الافريقية**، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص 13.

[3]- لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**، ط1، دار ابن النديم للنشر، 2010، ص 25.

[4]-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 98.

[5]-يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 186.

[6]-محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح:محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، وهران، 2007، ص 109.

نلناها بسيوفنا..."[1]

تتوطن الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، وفي ذلك يقول ابن خلدون "...والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة وهي اقوى القبائل البربرية عددا وعدة...." [2].

1-2-قيام الدولة الزيانية:

بعد ضعف الدولة الموحدية وبداية بوادر سقوطها في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م، ضف إلى ذلك الفتن والمشاكل التي تعاني منها نتيجة الحروب الدائمة التي واجهها الموحدون، وفي ظل هذه الظروف ظهر "يغمراسن بن زيان"[3] في المغرب الأوسط، ويعدّ المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية [4]، بعد أن كتب إليه الخليفة الموحدي "عبد الواحد الرشيد بن المأمون بالعهد بتولي الحكم على إقليم تلمسان [5].

لم يبدأ يغمراسن بن زيان في الظهور على مسرح الأحداث كزعيم سياسي لبني عبد الواد، إلا سنة 633هـ/1235م، حيث كان أمراء بني عبد الواد قبل هدا التاريخ خاضعين للموحدين حيث كانو من أخلص قبائل زناتة وكانو درعا واقيا لهم ضد الموحدين، فنالوا شرف ثقة الخلفاء الموحدين وودهم وأقطعوهم أراضي في إقليم وهران، ومساعدتهم في حروبهم ضد القبائل المعارضة ومدّ نفوذهم على بلاد المغرب الأوسط[6].

وعندما ضعفت الدولة الموحدية تطلعوا إلى حكم المغرب الأوسط وزعامة عرش زناتة، وكان لهم دلك عندما قام الخليفة الموحدي المأمون بالتنازل لهم عن إقليم تلمسان سنة ستمائة وسبعة وعشرون هجري الف ومئتان وثلاتون ميلادي فتولاها جابر بن يوسف كبير قوم بني عبد الواد حينذاك فاستطاع بفضل مرونته وحنكته وكفاءة قيادته وبمواقفه الحاسمة تدبير شؤونها، فأصبحت مدينة تلمسان واقليمها في يد بني عبد الواد وتحت سيطرتهم، وهي المرحلة الأولى من تأسيس الدولة الزيانية ومطلع شمسها"[7].

---

[1]-عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة...**، **المصدر السابق**، ص 97.

[2]-بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين1322هـ/2002م، ص ص 53، 54.

[3]-ولد يغمراسن سنة 1206 هـ وتولى الحكم سنة633هـ/ 1236، ولعب دورا كبيرا في قيام الدولة الزيانية، ووصل حكمه إلى غاية إقليم تونس، للمزيد ينظر: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 115؛ ينظر أيضا: ابن تاريت الطبنجي، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951، ص 152.

[4]-عبد الحميد حاجيات، **أبو مو موسى الزياني حياته وآثاره**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 12؛ محمود شيت خطاب، **قادة فتح المغرب العربي**، ط4، دار الفكر للنشر والتوزيع، ج2، (د.س)، ص 235.

[5]-محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**. حققه وعلق عليه محممود اعا أبو عياد، وزارة الثقافة 2011، ص 115

[6]-ابن تاريت الطبنجي، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951،، ص 152.

[7]-يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 199؛ سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السياسي في المغرب**, دار النهضة العربية، مصر، (د.س)، ص 58.

بعد اجتماع بنو عبد الواد تحت قيادة "جابر بن يوسف"فكانت ولايته أول خطوة نحو إنشاء وإرساء قواعد الدولة وذلك سنة 627هـ/1230م، مع البقاء تحت دعوة المأمون الموحدي، حيث جدد بنو عبد الواد له البيعة ثم في عهد "عثمان بن جابر" الذي خلف أباه، وتخلى عن الإمارة لعمه "عثمان بن يوسف"بعد ثورة قومه عليه سنة 631 هـ /1233 م لسوء سيرته، وبعد مقتله قدم بنو عبد الواد لرئاستهم "يغمراسن بن زيان "سنة 633هـ /1235 م [1].

1-3-عوامل توسع سلطة بني زيان في تلمسان والمغرب الاوسط:

مرّت الدولة الزيانية منذ بدايتها إلى نهايتها في تلمسان والمغرب الأوسط [2]بعوامل متعددة، ساهمت في تطورها في جميع المجالات:

1- العوامل الداخلية:

إذا كان قيام الدولة الموحدية قد ارتكز على أساس حركة دينية ومذهبية، فإن الدولة الزيانية اعتمدت في وجودها على قبيلة بن عبد الواد بالدرجة الأولى، وبعض القبائل البربرية والعربية التي اقطعتها مساحات واسعة من الأراضي في المغرب الأوسط مقابل ولائها، ممّا كان له الأثر البليغ في وضع البنية ل قيام دولة بني عبد الواد وترسيخ أقدامها بالمغرب الأوسط بفضل استقرار أوضاعها السياسية [3]، وبالتالي فإن بنو عبد الواد استعانوا بالقبائل المغربية والعربية لبناء وقيام دولتهم وتوسيع مجدها والعمل على الحفاظ على أمنها واستقرارها، مثل قبائل بني توجين وأولاد منديل[4].

وبعد قيام الدولة الزيانية، بدأ حكامها يطمحون الى الاستيلاء على المغرب الأوسط وأيضا التوسع جهة نهر ملوية، ممّا دفع بيغمراسن إلى محاولة تحقيق ذلك من خلال الدخول في صراع مع دولة بني مرين [5].

من جهة أخرى دارت هناك معارك بين الزيانيين وبنو مرين سنة 647هـ/1249م بوادى إيسلي بإيعاز من الموحدين،، وانهزم فيها "يغمراسن" وعاد إلى تلمسان سنة 665هـ/1267، ممّا دفعته هذه الهزائم إلى التفكير بعقد الصلح مع بنو مرين وتغيير سياسته، ونصح ولي عهده "عثمان"بعدم التحرش ببني مرين والعمل بسلام معهم [6].

وعلى العموم تميزت الدولة الزيانية في هذه المرحلة بمجموعة من الأدوار ميزتها، ودامت مائة وأربع سنوات، من قيام الدولة إلى غاية سقوطها في قبضة" أبي الحسن المريني" وقتله للسلطان "أبي تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو موسى الأول،

---

(1)-للمزيد حول قيامها، ينظر: ا محمد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص 111؛ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 100؛ عبد الجليل قريان، **التعليم في تلمسان في العهد الزياني**، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 49، 50.

(2)-ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**، تق:هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، القاهرة، 2001، ص 10.

(3)-عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، ص 19.

(4)-بسام كامل عبد الرزاق شقدان , **تلمسان في العهد الزياني** , رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة النجاح الوطنية, نابلس، فلسطين1322هـ/2002م ص 64

(5)-علي محمد الصلابي، **مرجع سابق**، ص 348.

(6)-عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 123 **ابن** أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972، ص 116.

وتميزت بمعارك ضد الدولة المرينية والحفصية [1].

بعد هذه التطورات دخلت الدولة الزيانية في مرحلة الانقطاع بسبب الحصار المريني، لكن عادت إلى النشاط أكثر في عهد أبي حمو موسى الثاني سنة 670هـ/1358م، وعرفت فترة حكمه بالحروب والاضطرابات ضد الدول والقبائل المتمردة[2].

والواضح أن "أبو حمو موسى الثاني " منذ تنصيبه عمل على مواجهة الدولة المرينية،، إضافة إلى الدعم الذي لقيه من قبائل بني عامر، ممّا استطاع تحقيق الانتصار بسبب انشغال بنو مرين بمواجهة الفتن الداخلية [3]التي نتجت عن ضعف حكام الدولة المرينية.

ولهذا على العموم فقد تمكن حكام الدول الزيانية من تطبيق سياسة داخلية، حيث رفعوا من مكانة الفقهاء والأشراف ورؤساء القبائل والتجار، ويقدمون العطاء لطبقات مختلفة من الأدباء والجند والموظفين[4]، سواء في العاصمة الزيانية أو المدن التابعة لها، وذلك بفضل الرخاء والاستقرار الداخلي التي تتمتع به الدولة الزيانية.

يمكن القول في الأخير أن الدولة الزيانية في أخر مرحلة لها، إذ لم تسلم من التدخل الحفصي والمريني في شؤونها، وتوجيه سلاطينها، وهذا ما أوقعها أمام الأخطار الأجنبية وفي مقدمتها الخطر المسيحي.

2-العوامل الخارجية:

ساهم العامل الخارجي هو الآخر في قيام دولة بني عبد الواد، فمع انهيار دولة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي استغل حكام الدولة الزيانية هذا الظرف السياسي للتعبير عن مواقفهم السياسية المغايرة عما كانت عليه من قبل والمتمثلة في خدمة الموحدين فسارع شيخ القبيلة جابر بن يوسف الى انتهاز الفرصة الملائمة وبالتالي الدخول إلى تلمسان عام 627، فكان ذلك خطوة أولى نحو تأسيس دولتهم، وبعد أن تولى "يغمراسن" مقاليد الحكم ورئاسة قبيلة بني عبد الواد اتخذ لنفسه مظاهر الملك وقام بإلغاء سيطرة الموحدين الفعلية، ثم بعدها أعلن عن استقلال دولة بني عبد الواد التي أصبحت قوة يعتد بها في المغرب الأوسط [5].

اعتمد بنو عبد الواد خارجيا على سياسة الذكاء في التعامل مع الدويلات الأخرى والحفاظ على حدودها الجغرافية، خاصة وأنها تتوسط الدولتين الحفصية والمرينية، وتنامي سياسة التحالفات السياسية مثل تحالف بنو مرين مع القبائل الزناتية بهدف القضاء على الحفصيين، ولهذا حاولت الدولة الزيانية تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية الخارجية مثلما حدث

---

[1]-عبد الجليل قريان، **المرجع السابق**، ص 51 ؛ ينظر أيضا: بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 32

[2]-عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2002، ص ص 53، 54.

[3]-عبد الحميد حاجيات وآخرون، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ط خ، الجزائر، 2007، ص 238، علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 348.

[4]-علي محمد الصلابي، **المرجع السابق**، ص 348.

[5]-حسين تواتي، **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2013 2014.، ص 37.

مع الاندلسيين [1]، بإضافة إلى ربط العلاقات مع ملوك مصر.

أما عن العلاقات الاقتصادية للدولة الزيانية فقد كانت متعددة، باعتبار أن تلمسان تحولت إلى مركز تجاري هام بحكم موقعها، فهي تقع على الطريق الواصل بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، وفي نفس الوقت حلقة وصل بين أوربا وبلاد السودان كان اقتصاد الدولة الزيانية، حيث كان يقوم الاقتصاد بالدرجة الثانية على النشاط التجاري الذي يعتبر أهم مورد لخزينة الدولة، باعتباره كان يحقق لها مردودا كبيرا "[2].

تميزت تلمسان بموقع جغرافي له أهمية كبيرة، ساعد على انتشار الزراعة في ربوعها وظهرت الصناعات والزراعات، وذلك نتيجة وجود السهول غرب وشمال تلمسان منها سهل واد شلف وسهل متيجة.

يعتبر النشاط الفلاحي في دولة بني عبد الواد بمثابة العمود الفقري لاقتصاد هذه الدولة[3]، ومما ساعد على ازدهار الزراعة في الدولة الزيانية، هو ما توفرت عليه من امكانيات، وعوامل ساعدتها على انعاش هذا النشاط سواء ما توفرت عليه من موارد طبيعية من ماء وتربة ومناخ، أو من يد عاملة متفانية في خدمتها وإصلاحاتها في هذا المجال، إضافة إلى تنوع التقنيات الممارسة في الزراعة سواء ما تعلق بنظام الري.

هذا النشاط برز سواء في عاصمة الدولة الزيانية"تلمسان" أو في المناطق التابعة لها كندرومة، وهنين، وهران، وجدة، تميزغران، برشك، شرشال، مستغانم، تنس، مازونة[4].

أما بخصوص الجانب الثقافي فقد تنافس حكام الدولة الزيانية على استقطاب العلماء والفقهاء، خاصة وأن تلمسان حاضرة من أعظم حواضر العالم وقبلة للفقهاء، حيث فتحوا باب المناظرات والمحاورة من خلال تنظيم المجالس العلمية، في شتى العلوم والفنون [5].

من جهة أخرى ظهرت حركة علمية نشيطة في العهد الزياني، بفضل انتشار التعليم داخل مدن وقرى الدولة الزيانية وبناء المساجد والزوايا، بالأخص تلمسان التي كانت محط انظار معظم العلماء، كما تطورت العلوم النقلية والعقلية، وبرز علماء تلمسانيون،تميزوا بعمق التفكير وغزارة التحصيل،وبذلك كانت لهم مساهمات في النهضة العلمية والحركة الفكرية[6].

---

(1)– لطيفة بشاري بن عميرة، "علاقة بني عبد الواد ببني مرين"، **مجلة آفكار وأفاق**، ع 3، جامعة الجزائر، 2012، ص ص 61، 62

(2)–ابن حزم الأندلسي، **جمهرة الأنساب العرب**، عبد السلام محمد هارون، ط3، دار المعارف، مصر، 1971، ص 495 ؛ بسام كامل عبد الرزاق شقدان , **تلمسان في العهد الزياني** , رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة النجاح الوطنية, نابلس، فلسطين1322هـ/2002م، ص182

(3)–بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993، ص 208.

(4)–اسماعيل العربي، **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 137؛ مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية**، ج3، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 144

(5)–محمد بوشقيف، **العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري–الخامس عشر الميلادي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2004/2003، ص ص 23، 24.

(6)–يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 115؛ أبو عبد الله محمد ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: ابن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 275؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 110؛ عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 74؛ صالح فركوس، **تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينقي الى نهاية الدولة الزيانية**، جامعة 8ماي 1945، قالمة، ص –ص 95– 99.

يمكن القول أن النزاع الداخلي بين افراد السلطة الحاكمة من أجل السلطة، ممّا ساهم في تفكك بنيتها ووحدتها، وبداية مطالبات بعض القبائل بالانفصال عن قلب الدولة في تلمسان، بالإضافة إلى بداية التحرشات الاسبانية التي تمكنت من احتلال بجاية سنة 910هجري إلى 1504 ميلادي ثم استيلائه على وهران سنة 914 هجري، ثم سعيهم للاستيلاء على الجزائر، وعاشت هده المدينة تحت تهديد المدافع الاسبانية وعجز بنو عبد الواد في التصدي لها، في حين كانت معادلة جديدة ظهرت على سواحل البحر الأبيض المتوسط والمتمثلة في الأخوة بربروس [1].

يمكن القول في الأخير أن سقوط دولة بنو زيان سنة 926 هـ/ 1554م، تعدّ مرحلة جديدة لدخول المغرب الأوسط تحت حكم جديد وهو الحكم الإسلامي العثماني، حيث استطاع هذا الأخير من القضاء على التحرشات الاسبانية على المغرب الأوسط.

رابعا: الدولة المرينية

قامت على أنقاض الدولة الموحدية دول في المغرب الإسلامي، من بينها الدولة المرينية في المغرب الأقصى، وبرزت ككيان سياسي بعد إهمال ادولة الموحدية لشؤونها الداخلية، وبروزها كان بعد معركة حصن العقاب، ممّا مكن بنو مرين من توطين أركان الدولة وتوسيع ملكهم في المغرب الأقصى.

1-النشأة والتأسيس:

1-1-أصل بنو مرين:

اختلفت المصادر التاريخية حول نسب "بنو مرين"، فهناك من يرجعهم إلى جدهم "مرين"، في حين هناك من نسبهم إلى قبيلة زناتية من فروع البربر، والتي بطبيعة الحال تفرعت منها شعوب كثيرة مثل بنو عبد الواد، بنو مرين، بنو لواتة [2]، في حين هناك من أرجع النسب إلى أهل البيت أي إلى "علي بن أبي طالب " [3].

في حين أشار ابن زرع أن "بنو مرين" فخذ من قبيلة زناتة، فذكر أنهم "مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن بدر بن يجفت بن يصليتن بن عبدالله بن ورتيب بن المعز بن ابراهيم بن شجيج بن واسين بن يصليتن مسري بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحيا بن تمزيت بن ضريس وهو جالوت ملك البربر، ابن رجيح بن مادغيس الأبتر، بن بر، بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم عرب الأصل [4].

1-2-موطن بنو مرين:

قامت دولة بنو مرين منذ أن استولى السلطان يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش بعد ضعف الدولة الموحدية،

---

[1]-حسين تواتي، **مرجع سابق**، ص 48.

[2]-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 104؛ أو العباس أحمد القلقشندي، **المصدر السابق**، ص 194 ؛ ينظر أيضا: ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**، ص 200.

[3]-ابن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1962، ص5 8.

[4]-ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972، ص 14.

وقيام الدولة المرينية الزناتية سنة 668هـ/1269م، فامتد ملكهم من أرض الزاب إلى تاهرت وأحواز تلمسان ثم امتد إلى ناحية المغرب [1].

والبداية الحقيقية للدولة المرينية سنة 968 هـ /1269م بعد صراع مرير مع الموحدين حوالي 58 عاما، وانتهت بالدخول إلى مراكش وإعلان قيام الدولة المرينية على يد "ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو " المعروف بالسلطان المنصور، وهو الذي استطاع ادخال بنو مرين إلى المغرب وإليه ينتسب بنو مرين [2].

موطنهم مرتبط بموطن زناتة التي انتشرت في عدة مناطق فنجد منها من استوطن البلاد الساحلية الممتدة من طربلس وافريقية، ومنها من استقر في البلاد الصحراوية التي تمتد من غداموس إلى منطقة السوس الأقصى بجانب مراكش والأغلبية منها سكنت بالبلاد الداخلية للمغربين الأوسط والأقصى، واسقروا دواخل المغرب الأوسط في المنطقة المعرفة قديما ببلاد الزاب [3].

1-3-توسعات ونشاطات الدولة المرينية:

1-سياسيا:

بعد نجاح بنو مرين في بناء الدولة المرينية، حيث اتجه "عبد الحق بن محيو بن ابي بكر" بالعمل على بسط نفوذه وسلطته في الرباط وتازة، وحاول احداث تغيير داخل الدولة من خلال توفير الأمن والقضاء على المترددين [4]، ومحاولة رد القبائل المتمردة إلى الالتزام والولاء [5]

كما حاول بنو مرين السيطرة على المغرب الأوسط سنة 703 هـ في عهد يوسف بن يعقوب الذي كان تحت حكم الزيانيين، لأنها ظروفها الداخلية كانت مضطربة، ثم استقر في مراكش لإصلاحها وتوفير الأمن وقضى على مختلف التمردات الداخلية سنة 706هـ [6].

كما اتبعت الدولة المرينية سياسة توسعية في عدة مناطق مثل صنهاجة، سدراتة، لمطة، غمارة، تازا، وقام بفرض الخراج عليهم، وتهديد من يخالف الأوامر، بالرغم من جهود بنو مرين في اصلاح الخراب الذي يعاني منه المغرب الأقصى بسبب انتكاسة التي تعرضوا إليها بسبب ضعف وسقوط الدولة الموحدية [7].

---

(1)-محمد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح:ماريا خيسوس بيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 110.

(2)-ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**، تق:هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، القاهرة، 2001، ص 14؛ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 24.

(3)-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 222؛ عامر أحمد عبد الله حسن، **دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الاندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003، ص 61، 64.

(4)-عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج7، ص 169

(5)-أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ج3، ص 10.

(6)-عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، ج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994..، ص 292.

(7)-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 289، لفي بروفنسال، **مؤرخوا الشرفاء**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة، المغرب، 1977، ص 78.

كان نظام الحكم داخل بنو مرين شوريا، بحيث يرجع السلطان المريني إلى مجلس الشيوخ، خاصة في أمور الحرب وجمع الضرائب وعقد المعاهدات مع الدول الأخرى، كما حاول إعادة التنظيم من خلال تقسيم البلاد إلى تسعة أقاليم[1]

أما بخصوص توسعاتها فقد حاولوا السيطرة على المنطقة الواقعة بين وادى أم الربيع وبين العاصمة مراكش، وامتدت سلطتهم ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة[2]، كما سيطرت الدولة المرينية على العاصمة مراكش وكل المغرب الأقصى، بداية من وادى ملوية وجبال الأطلس شرقا حتى الوصول إلى البحر الأطلسي غربا ومن رباط تازا وجبال غمارة [3]، كما قام بغزو واد درعة وبلاد السوس الأعلى ، وأيضا مدينة سبتة. [4]

2-اقتصاديا:

كان عماد الدولة الوحيد في تلك العصور تقوم على الضرائب والجبايات والمغارم، ولم يكن بنو مرين يستطيعون جباية الضرائب بصورة منظمة إلا من المزارعين في سهول الساحل، أما أهل الهضاب والجبال فنادرا ماكان يتحصل منهم بهدف الحفاظ عليهم [5].

إن التجارة عرفت ازدهار كبيرا بفضل تنوع المبادلات التجارية في الأسواق المرينية، فقاموا ببناء الأسواق في فاس وتنوعت من حيث سلعها وأنواعها، كما توجد أيضا في مدينة المنصورة وشالة، تباع فيها الخضر والفواكة [6]، وأيضا اسواق خاصة بالعطارين، الوراقين، الدباغين، النحاسين، الكتان، الجزارين وغيرها.

أما فيما يخص العملة فقد اهتم سكان بنو مرين بصك العملة، وتنظيم السكة بداية من سنة 674هـ/1275 م، بحيث تكون مهمة دار السكة يتمثل في صك العملة[7]، وتستعمل النقود في المبادلات التجارية، وعلى سبيل المثال في عهد يوسف بن يعقوب تم صك العملة وعليها شعار الملك وألقابه [8].

كانت للدولة المرينية علاقات خارجية مع المغرب الاوسط والادنى، ممّا مكنها من تطوير شبكة المسالك والطرق بين شمال الصحراء وجنوبها، مثلما هو الحال بالنسبة للمسلك التجاري التي تمر به القوافل والتجار أي طريق بين سجلماسة ودرعة [9]، بالإضافة إلى الطرق البرية والموانئ.

---

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **المرجع السابق**، ص 292

(2)-أحمد بن أحمد أبو يعقوب اليعقوبي، **فتوح البلدان**، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988، ص 56.

(3)-الرقيق القيرواني، **تاريخ افريقية والمغرب**، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، 1994، ص 36، 38 42.

(4)-أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل ليدن 1927، ص 32.

(5) عامر احمد عبد الله حسن، دولة بني مرين تاريخها وسياسته تجاه مملكة غرناطة الاندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا دار الفكر، دمشق 2009، ص ص 202، 203.

(6)-هالة عبد الرزاق، **أسواق فاس في العصر المريني(646هـ/869هـ/1248م-1465م**، مكتبة الثقافة الدينية، (د.س)، ص 75 ؛ ينظر أيضا:كريم عاتي الخزاعي، **أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع هجري**، الدار العربية للموسوعات، (د.س)، ص 74.

(7)-صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 522.

(8)-عبد الحي الكتاني، **التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والعملية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية**، المطبعة الأهلية، الرباط، المغرب، 1346، ص 429.

(9)-روجيه إديس، **الدولة الصنهاجية**، ج2، تر:حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 291.

أما فيما يخص ضعف الدولة المرينية فراجع إلى ضعف بعض حكامها، وصغر سنهم والتبعية للمد الخارجي [1]، كما عرفت تدخلات من بني الأحمر في السياسة الداخلية للمغرب دخولها في مرحلة الصراعات والمؤامرات.

خامسا–أهم الاضطرابات السياسية بين الدويلات الثلاث (الحفصية، الزيانية، المرينية):

عرف المغرب الوسيط في الفترة الزيانية تغيرات وأحداث سياسية كان لها الأثر المباشر على بنية مجتمع المغرب الأوسط وأوضاعه، كالحروب والفتن بين الكيانات السياسية الثلاث، الزيانيين والخطر الحفصي من الشرق، الزيانيين والخطر المريني من المغرب، وكذا الفتن والثورات الداخلية من طرف القبائل المعارضة للسلطة[2].

2–1– نماذج من الحروب:

أ–الصراع الحفصي الزياني:

كانت البداية الأولى لهذا الصراع تمثل في الحملة الأولى التي قام بها الحفصيون على تلمسان بقيادة سلطانهم أبي زكرياء[3]، وذلك في شوال سنة 639 هـ 241م، وهو المعروف بالمولى أبو زكرياء يحي بن المولى أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص[4]، ومعه ستون ألف فارس فدخلها عنوة من باب كشوطة[5]، وسائر مغراوة وتوجينا وذكر اسمه في الخطبة بعد المهدي، وبويع البيعة الثانية سنة 634 هـ/ 1236) وبايعته الأندلس سنة 635هـ[6]، وهناك من أشار أن "أبي زكرياء" قد جهز جيشا لغزوها قارب أربعا وستين ألفا، وحاصرها أشد حصار[7]، وبالتالي فقد قوي نفوذ الدولة واتسعت على حساب المغرب الأوسط والأقصى بل وحتى بلاد الأندلس، ولم تسلم الدولة الزيانية من التحرشات الحفصية بعد التخلص من التبعة المرينية 814 هـ 1411 / م في عهد أبي مالك عبد الواحد الزياني[8]، لتبدأ حملات عسكرية أخرى على تلمسان وأول حملة حفصية كانت في سنة (827هـ/1442م)[9]، في عهد أبي فارس عبد العزيز الحفصي[10].

فمثلا يظهر جليا في القرن التاسع الهجري أن المغرب الأوسط عرف فيه تدخلات متتالية في شؤون الدولة الزيانية من

---

(1)–ابن الاحمر، **المصدر السابق**، ص 38.

(2)– بختة خليلي، **دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد15، 2016، ص23.

(3)–أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص ص 24–32.

(4)–ولد سنة 599 هـ 1203 /م بوبع بالقيروان، للاستزادة ينظر:أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشمّاع، الأدلة **البينية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح الطاهر بن محمد المعموري، د ن.ط، دار العربية للكتاب، ص54 .

(5)–عبد الرحمن ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6 ، ص109 .

(6)–أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، **المصدر السابق**، ص 27.

(7)–ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب، بيروت، 1985، ص 362.

(8)–يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص218.

(9)–محمد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص 149.

(10)–أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، دار الكتاب العربية، تونس 1984.، ص ص112 –113.

جيرانها الشرقيين الذين حاصروا تلمسان عدة مرات، والتي انتهت كلها بالقتل والتدمير[1]، كما نجد التدخل الحفضي في شؤون الزيانيين الداخلية سنتي اثنين وثلاثين وثمانية مائة 832هـ/1428 م) وخمسة وثلاثين وثمانية مائة (835هـ/1431م)، الغزوة الأولى تمثلت في نزع السلطان الزياني محمد اسم السلطان الحفصي أبي فارس من الخطبة[2].

فما كان للسلطان الحفصي إلا أن قام بخلعه وإقامة عمه بدله، والثانية كانت عقب عودة السلطان المخلوع محمد بعد قتله لعمه واستيلائه على العرش الزياني مرة آخرى، هذا ما سمح للسلطان الحفصي أبي فارس بالتوجه لتلمسان ومحاصرتها منهيا هذه المعضلة باعتقاله وقتله[3].

إن أخطر حملة على الزيانيين كانت أيام السلطان المنتصر[4] الذي غزا تلمسان بجيش كبير العدد والعدة ومحاصرتها أياما، ولم ينته إلا بعد تدخل الشيخ أبي العباس أحمد بن العباس[5]، والفقيه محمد بن أحمد بن قاسم العقباني[6] اللذان ترجاه بالتوقف، مقابل بيعة السلطان الزياني الجديد، وهذا ما وافق عليه السلطان الحفصي [7].

غير أن تلمسان عرفت حصارا آخرا سنة سبعين وثمان مائة (870هـ/1466م) من جيرانها الحفصيين بعد نكث البيعة الحفصية كل مرة، إذ تعرضت المدينة للحصار بعد معارك طاحنة بين الجيشين، انتهت بتدخل القضاة والفقهاء لدى السلطان الحفصي طالبين العفو منه، فاشترط عليهم البيعة وفعلا تم ذلك[8].

ب–الصراع المريني الزياني:

لم تكن الفتن من الجهة الشرقية فحسب، بل إن أخطر الصراعات من الجهة الغربية من الجيران المرينين، وما زاد في ضراوتها هو محاذاة عمران الدولتين الزيانية والحفصية، ولا شك أن الحملات العسكرية التي قادها المرينيون في أواخر القرن السابع الهجري، على ممتلكات وأراضي الدولة الزيانية، قد انتهت أغلبيتها إن لم نقل كلها باحتلال أراضي واسعة من منطقة المغرب الأوسط باحتلال أراضي من منطقة المغرب الأوسط فضلا عن محاصرة العاصمة تلمسان[9].

ولنقل هنا أن منشأ الخلاف وبدايته هو النقد المريني على عبد الواد ورثة الموحدين على المغرب الأوسط، بالإضافة إلى رغبة بني مرين لبسط نفوذهم على أكبر مساحة من المغرب بالإضافة الجوار في الملك والمنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة[10].

---

(1)– محمد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص 235–241.

(2)–أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي، **المصدر السابق**، ص ص 114–130.

(3)–**لمصدر نفسه**، ص ص 126، 129.

(4)–**لمصدر نفسه**، ص 131.

(5)–أبي عبد الله محمد بن محمد ابن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان**، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 38، 31.

(6)–**لمصدر نفسه**، ص 224.

(7) أبو عبد الله بن محمد بن ابراهيم الزركشي، **المصدر السابق**، ص ص 151، 153.

(8)– أبو عبد الله بن محمد بن ابراهيم الزركشي، **المصدر نفسه**، ص، ص 157، 158.

(9)–أحمد بن أحمد أبو يعقوب اليعقوبي، **فتوح البلدان**، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988، ص 112.

(10)–مبارك محمد بن الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج4، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص422.

وتكمن الأطماع المرينية اتجاه الدولة الزيانية في حصانة موقع تلمسان وقدرة هذا الموقع على مقاومة عوامل الانهيار، فهي في موقع وعر بحكم الطريق من قلب الصحراء إلى البحر وقوافل التجارة لابد أن تمر بها، والهضبة التي تقوم عليها تزيد من مناعتها والسهل المحيط بها يقدم لها موارد العيش في وفرة[1].

لقد اتسمت العلاقات الزيانية المرينية[2] بالعداء الشديد في أغلب الفترات فلم تسلم الدولة الزيانية من الحملات الحفصية فحسب، بل عانت الأمرين فقد كان الحصار المريني لتلمسان عدة مرات فكانت أول حملة على يد السلطان الموحدي" أبو الحسن السعيد "صاحب السلطة الشرعية بمراكش على تلمسان وكانت سنة 646هـ/1248م وقعت هذه المعركة بالقرب من قلعة تامزردكت[3]، ولقد طال حصار يعقوب بن عبد الحق على تلمسان دون أن ينال منها منالا فقرر رفع الحصار والعودة إلى سلطنته670 هـ/1272م)، وهكذا نجت تلمسان من القبضة المرينية وأتيحت لسلطانها يغمراسن بن زيان الفرصة لأن يعاود نشاطه ويحكم إمارته[4].

إن المتضرر الأكبر من هذه الحروب والحصارات هو الدولة الزيانية نظرا لموقعها الجغرافي الوسطي الذي جعلها بين نارين، الدولة الحفصية من جهة الشرق، ونار الدولة المرينية من الغرب مباشرة، فضلا عن كون أراضيها وقعت ميدانا وموضوعا لأغلب معارك وحروب تلك الصراعات.

ج – الحصار الثاني على تلمسان:

بعد مرض ووفاة يعقوب بن عبد الحق سنة687 هـ/1286م ليخلفه ابنه أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق وقد كان ابنه عامر واليا على مراكش وقد ثار على أبيه وساعده في ذلك وزيره ابن عطوا والذي سار إليه أبوه وهزمه فقام ابنه بنهب أموال مراكش وفر إلى ناحية تلمسان سنة 688هـ/1269م)[5]، فقام أبو سعيد عثمان" خليفة يغمراسن بن زيان بإكرام أبا عامر ووزيره بعد فترة من الزمن عفا السلطان المريني عن ابنه وأعاده فاس[6]، وقام السلطان بغزو تلمسان هو وجنوده وصار يخرب القرى ويحطم الزرع، أما أبو سعيد عثمان فقد تحصن بأسوار تلمسان الحصينة، وتم تحصين المكان بإقامة الأسوار حولها حتى لا يرى داخلا ولا خارجا منها وأقام حول تلمسان مدينة ليحاصرها مائة شهر.

2-2-الفتن في العهد الزياني:

اتسمت علاقة الأمير عثمان بالسلطان المريني يوسف بحروب وصراعات مستمرة نتيجة لسياسة بني مرين لبسط

---

(1)- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص15

(2)- عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج 13، ص 343.

(3)- الحسن بن محمد الوزان، **وصف افريقيا**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 دار الغرب الإسلامي، 1983 بيروت لبنان، ص ص 11-12.

(4)- عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 406.

(5)- بودواية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية للمغرب الأوسط بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2005، 2006، ص244 .

(6)-محمد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص13 .

نفوذهم على المغرب الأوسط وتوحيد المنطقتين، وذلك للرد عن الخطر الذي كان الأمير يغمراسن عثمان في تهديد البلاد الخارجية واستقرار المرينيين ببلادهم، مما سبب في ذلك عدة حصارات[1]، ممّا أدى إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية كالحبوب والخضر واستهلكت فيه كل المدخرات[2].

تشير معظم الدراسات إلى الدور السياسي والعسكري الذي لعبته جارتي الدولة الزيانية بالمغربين الأدنى والأقصى، من خلال الحروب المتبادلة بين الزيانيين والحفصيين أو من أجل تدعيم القبائل للثورات أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، الأمر الذي جعل المغرب الأوسط يفقد قوته العسكرية للدفاع عنه[3].

أما على المستوى الداخلي فتميزت الدولة الزيانية بكثرة الصراعات، ومظاهر التصادم والاقتتال بين أفراد الأسرة الزيانية الطامعة في منصب السلطة والحكم مثل: خروج أبي محمد عبد الله وثورته على شقيقه أبي زيان[4].

لعبت قبائل المغرب الأوسط سواء عربا أو بربراً أدواراً مختلفة ومتباينة في ثبات الدولة وسقوطها بحيث كانت السبب في الضربات الجارتين على الدولة الزيانية، لكن كانت كذلك سنداً في استقرارها[5].

لقد كان في اعتلاء الحكم السلطان أبو موسى الأول بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن سدة الحكم بعد وفاة أخيه أبي زيان الأول، بويع له في نفس اليوم بتلمسان(706هـ-1307م)

فقد اتسم بالشجاع، لينا في غير ضعف هو ما أحدث مراسيم الملك، لكنه لقي مصرعه حين كان يستشير ابن أخيه في مجلسه حول شؤون دولته، مما أعتبرها أبو تاشفين "إهانة لذلك دبر مكيدة لقتل والده[6].

تولى الحكم من بعد ابنه تاشفين بن أبي زيان الذي كان شؤما على البيت الزياني، لأنه شاب ذا خمسة وعشرين سنة لا يحسن التدبير للأمور، إضافة إلى أنه كان طموحا سريعا إلى الحركة، مما لقي فيها مصرعه[7]، وهذه بعض الفتن الداخلية التي عرفتها الدولة الزيانية.

2-3- دور القبائل العربية والبربرية على المجتمع الزياني:

إن المتأمل لتاريخ المغرب الاسلامي والمتصفح في أوراق الأحداث والوقائع التي كانت في المغرب الأوسط في العصر

---

(1)-نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، **الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني(685هـ 702هـ/1286-، 1306)**، دراسة سياسية حضارية، مذكرة ماجيستر في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، 2004، ص 42.

(2)-خالد بلعربي، **المجاعات والأوبئة بتلمسان في عهد الزياني – 698 هـ 745 هـ1299 /- 1442م)**، كان التاريخية، العدد 4، جوان2009 ، ص22.

(3)-حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص40 .

(4)- محمد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص 228، 230.

(5)- عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص ص 20-21.

(6)-عبد القادر بو طبل، **تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 25، 28.

(7)-اسماعيل بن يوسف ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتعليق:هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد، الظاهر، 2001، ص 30.

الوسيط، يدرك حقيقة الصراعات القبلية التي كانت تسيطر على الأوضاع في تلك البلاد منذ دخول القبائل العربية من بني هلال وبنو سليم، أي ماعرف بالهجرات الهلالية وتأثيراتها فكانت هذه الهجرات هي المحرك للأحداث السياسية.

يعود أول اتصال بين العرب والمغرب الأوسط إلى البدايات الأولى للفتح الإسلامي، واستمرت هجرتهم إلى المنطقة خلال القرن 2هـ/8م، ولم يستوطنوها في أواخر القرن 5هـ/11م أين شهد المغرب حدثا هاما، غير ما كان عليه وضع العرب وجعلهم عنصرا مؤثرا في التركيبة السكانية للمنطقة، وتمثل هذا الحدث في الهجرة الهلالية ومن بين القبائل التي حلت بأرض المغرب: بنو سليم[1] وبنو هلال وأحلافهم [2]، ولقد سكنت هذه القبائل حواضر وبوادي من بلاد المغرب وافريقية بعد أن تحصلت على أراضي وإقطاعيات من أهل المنطقة[3].

عرفت الدولة الموحدية ضعفا كبيرا ونشأت دولتا بنو زيان وبني مرين احتاجت كلا منهما إلى العرب لتعزيز سيادتها[4]، وبفضل هذه الاضطرابات التي سادت في المغرب الأوسط انتشرت القبائل الهلالية في أقاليم التلول واستقلت بها [5].

وبنو زيان كانوا يعطون العرب الأراضي إقطاعات ويجعلون لهم الحق في جباية أموالها[6]، ولم تكن للبيت الزياني سياسة واضحة اتجاه هؤلاء العرب فتقبلوا من فريق إلى فريق حسب الظروف، وفي كل مرة يزداد تملك العرب للأرض وتسلطهم على المزارع والقرى [7].

والملاحظ أن تجمعات القبائل كانت تلعب دورا بين السلب والإيجاب بين مساندة ومساعدة الدولة وبين الانقلاب عليها، ومساندة بنو مرين تارة وبني حفص تارة آخرى[8].

قام بنو مرين في نزع سعيد أبي حمو وتنصيب أخيه أبي مالك عبد الواد الذي عزم على استرجاع ما اغتصبه الحفصيون من أراضي زراعية، ولم يكتف بهذا وإنما توسع من الناحية الغربية إلى عاصمة بنو مرين[9]، كما تحالف حكام بنو عبد الواد مع القبائل العربية وقربوهم إليهم، واستفادوا منهم لخدمة أوطانهم وتوطيد أركان دولتهم، والتصدي لهجمات كل من الحفصيين والمرينين[10].

إن هذا التحالف الظرفي بين الطرفين، ووصل الاتفاق بينهما إلى حماية الأراضي مقابل الحصول على النفوذ والمال

---

(1)–عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 94.

(2)–فؤاد طوهارة، " الهجرة الاندلسية الى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي" مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 15، سبتمبر 2015، ص –ص 171-187.

(3)–عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 19.

(4)–مبارك بن محمد الميلي، **المرجع السابق**، ج2، ص 184.

(5)–اسماعيل ين يوسف ابن الأحمر، **المصدر السابق**، ص 45.

(6)–اسماعيل ين يوسف ابن الأحمر، **لمصدر نفسه**، ص 45.

(7)–اسماعيل بن يوسف ابن الأحمر، **المصدر نفسه**، ص 37.

(8)–عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب الإسلامي، (بني حفص وبني زيان وبنو مرين وبني وطاس، والسعديين، و وظهور الاشراف العلويين)**، دراسة في التاريخ الإسلامي،، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1414هـ/1994، ج5، ص 145.

(9)–محمد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص 246، 247.

(10)–عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 20.

والأراضي الخصبة التي لم يبخل بها عليهم بنو عبد الواد خاصة في حالة ضعفهم[1].

كما لا ننكر أن استقرار القبائل العربية قد ساهم في الزراعة والفلاحة بهذه البلاد[2]، مما ساهم في تنمية أطماع قبائل العرب نحو أراضي التل للاستيلاء على تلك الأراضي.

وإذا تصورنا الحروب التي كانت تنشأ بين القبائل ودويلات المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط تعكس لنا حجم المعاناة، من حيث الضرر والخراب لطول فترة الحرب، واتساع مناطق الصراع فيها [3]، وقد لعبت القبائل دورا هاما في مساعدة الدولة الزيانية.

لكن لا بد من ذكر الوجه السلبي لهذه القبائل حيث ظلت عنصرا مؤرقا لبعض القادة الزيانيين أمثال أبو حمو، بالنسبة هذه الأخير له لم تكن عنصرا مساعدا له، إذ انطلق منهم قوم لإثارة الفتن وإقامة منافس للدولة الزيانية[4]، وبالإضافة إلى هذه القبائل العربية كانت هناك قبائل بربرية لعبت دور إيجاب وسلب داخل الدولة[5]مثل بني مانو، بني تغرين، هوارة...وغيرها من القبائل التي يتشكل منها مجتمع المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية[6].

ومن القبائل البربرية التي ناصبت العداء لبنو زيان وتحالفت مع أعدائهم للإطاحة بعرشهم، وخاصة في أوقات الحرج التي تصيب تلمسان بين الضعف والوهن، نذكر قبيلة مغراوة، وتوجين وصنهاجة[7]، ومن بين أعمالهم أنه لما اشتد الحصار على يغمراسن وضيقت قبائل توجين بتلمسان[8] لأخذ ثأرهم من أميرها فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع[9].

وبالرغم من تدخلات بني حفص وحملات بنو مرين وتمرد القبائل المجاورة ضدهم، إلا أن هذا لم يمنع من من ازدهار الحياة الاقتصادية وذلك بتوفر عوامل عديدة منها:

-الدور الذي قام به ملوك بني زيان لأجل تحقيق الأمن والاستقرار، ففي عهد السلطان"يغمراسن"(633هـ-681هـ/1235-1282م) الذي عمل على تشجيع وتطوير الشق الاقتصادي والحرص على تحقيق الأمن، وذلك بمحاربة عناصر الفوضى والفساد، وإرغام خصومه من الأعراب المجاوره له على الطاعة والخضوع، باقتطاع لهم أراضي واسعة داخل

---

(1)-عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 20.

(2)-مصطفى أبو ضيف، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين**، الدار البيضاء، مطبعة دار النشر المغربي، 1982، ص 316.

(3)-بختة خليلي، بختة خليلي، **دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد15، 2016، ص23، ص 239.

(4)-عبد الحميد حاجيات، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د.ت.ط، ص 269.

(5)-عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 17.

(6)-**المرجع نفسه**، ص 17.

(7)-مختار حساني، **المرجع السابق**، ص 92.

(8)-عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج7، ص 205

(9)-ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 132.

تلمسان بغرض الحماية والمحافظة على امن واستقرار تلمسان من هجمات المرينيين والحفصين[1].

عموما اعتمد بنو زيان على مساندة القبائل سواء كانت عربية أم بربرية التي تحالفت معهم مقابل النفوذ والمال والأراضي الخصبة، التي لم يبخل بها بنو عبد الواد على مناصريهم، وانتشرت ظاهرة الاقطاع ومنح الأراضي الزراعية من طرف بنو زيان خاصة في مرحلة ضعفهم[2].

وبالتالي استقراء صورة المدن والقرى خلال العهد الزياني، تؤكد لنا الكوارث التي لحقت بها نتيجة الاضطرابات والفتن والحروب.

خاتمة:

كانت الدول الحفصية والزيانية والمرينية في صراع مستمر حول مد النفوذ، وهذا التنافس تسبب في ضعف هذه الدول وأنهك قواها وأدى الى تقلص نفوذها أكثر فأكثر، خاصة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، وهذا التنافس اضطر الحكام في كثير من الاحيان إلى الاستعانة ببعض شيوخ القبائل العربية كبني عامر والذواودة واولادسعيد والشبابيين والتي عادة ما تستغل **حاجة الحكام اليها لتتمرد ضدهم**.

كما تسبب هذا التنافس في **الضعف الاقتصادي** نتيجة نقص مواردها بخروج عدة مناطق عن نفوذها واضطرت الدولتين الى تقديم قسط كبير قد يبلغ نحو النصف من مدخولها الى بعض القبائل حتى تأمن شرها، كما كان لهذا التنافس انعكاس على القدرات العسكرية للدولتين فلم يعد بإمكانها أن تقيم **الجيوش النظامية الكبيرة** العدد ذات التجهيز القادر على الحد من نفوذ هذه القبائل والمناطق المتمردة وكذا على مواجهة الخطر الخارجي.

كما كان **للقوى المرابطية والطرقية** دور في اضعاف هذه الدويلات عن طريق الانتقاد الدائم لحكامها بل حاول بعض كبار المرابطين والمتصوفة تأليب الرأي العام عليهما كالشيخ أحمد بن يوسف الملياني والشيخ عرفة الشابي، اضافة طبعا الى الغزو الخارجي الايبيري والاسباني، كما تسبب هذا التنافس المستمر إلى إضعاف الدول على الصعيد الداخلي حيث تجزأت الى عدة وحدات سياسية صغيرة لا يسود بينها الوئام فأغلب المدن

المحاضرة 3: المد العثماني الى الحوض الغربي للمتوسط

تمهيد:

---

[1]- بختة خليلي، **المرجع السابق**، ص ص 24-25.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 20

اكتسب البحر الأبيض المتوسط وحتى هذه الفترة من القرن الخامس عشر، صبغة حضارية ترعرعت على ضفاف حضارات راقية أمازيغية ويونانية وفينيقية ورومانية وازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وفي كونه طريقاً عالمياً للتجارة والعبور للدول بين أجزاء العالم القديم في العصر القديم والوسيط مع العالم الجديد في العصر الحديث، وفي مطلع العصر الحديث[*] برزت على ضفافه عدة قوى سياسية، تركزت بصورة خاصة في جنوب غرب أوربا وشمال إفريقيا، وشرق المتوسط، ميز العلاقات صبغة الصراع بينهما[1].

تعددت الأطراف المتنافسة في مياه البحر المتوسط، فكانت إسبانيا تتدخل في شؤون المغرب الاوسط أو على الأقل في كامل المغرب الإسلامي لمواصلة الحرب ضد المسلمين، بدءاً من الأندلس، ويترجم هذا الإصرار في تنفيذ وصية تركتها الملكة إيزابيلا لابنتها وزوجها بـ: «...إطاعة وصايا أمنا المقدسة الكنيسة... وأن يكونا – ابنتها وزوجها – حُماتها والمدافعين عنها... ويتابعان غزو افريقية...»[2]. وفي ظل هذه الظروف عرفت تنامي الروح الصليبية الأوربية وتراجع قوة المسلمين، ممّا أدى إلى اختلال التوازن بين قوى الجنوب والغربي لأوربا وشمال إفريقيا، وتكالبت المماليك الأوربية واشتدت في شن الغارات والحروب على موانئ المغرب بصورة مستمرة، كما تم طرد المسلمين من الأندلس[3]. ومع بداية القرن السادس عشر تمكن الإسبان البرتقيز[**]، من احتلال العديد من المراسي والمدن الساحلية تحت مبررات الدافع الديني، وهو ما يكشف عن العداوة التقليدية بين الإسلامية والنصرانية، ورغبة النصارى في نشر المسيحية في ربوع المغرب الإسلامي، وإبعاد حدود الإسلام عن اسبانيا وذلك بملاحقة المسلمين في عقر دارهم. أما الدافع الثاني فيتمثل في الجانب الاقتصادي، ذلك أن شبه جزيرة أيبيريا بعد الاكتشافات الجغرافية، أصبحت في حاجة شديدة إلى أسواق جديدة تستقبل تجارتها كما أنها حاولت السيطرة على المراكز التجارية والمناطق التي تتميز بغنى أقاليمها بالثروات الحيوانية والمحاصيل الزراعية كعنابه ووهران.

أما أهم دافع فهو سياسي والمتمثل في تحقيق سيادة الاسبان على الحوض الغربي للبحر المتوسط وتزعمهم للعالم المسيحي عن طريق زيادة شعبيتهم بغزوهم للعالم الإسلامي، ولم يكن أقل خطورة من العاملين السابقين[*]، فبعد انتصارات الأندلس فكر ملوك الإسبان في توسيع ملكهم إلى ما وراء المتوسط[4]، ممّا يمكنهم من احتلال مواقع إستراتجية جديدة

(*)–**العصر الحديث**: وهو الفترة التي تبدأ من فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح من عام 1453م يوم 29 ماي، فحوّل كنيستها العظمى " أيا صوفيا" إلى مسجد جامع تأكيداً لطابع الدولة الإسلامية، فعرفت بالأستانة عند رجال السياسة. فهذه هي بدايات العصر الحديث ونهاية العصر الوسيط الحافل بالأحداث العالمية.

(1)–يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 10.

(2)– محمد الطيب عقاب: **الأخوان عروج وخير الدين**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م، ص 07.

(3) يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص 10.

(**)–البرتقيز: وهي من (البرتغال) تقاسموا شبه الجزيرة الأيبيرية مع الإسبان بعد أن تم طرد المسلمين من آخر معاقلهم في الأندلس – غرناطة – في 2 جانفي 1492 م.

(*) –إن المتتبع للتاريخ المغاربي خلال فترة القرن الخامس عشر، سوف يجد أن مجتمعه طبعت عليه الخرافة وسيطرت على ذهنه وأفكاره، فكان هذا في غالب الأحيان سبباً في عدم مقاومة الغزوات مثلما حدث مع حصن آسفي الذي سقط في أيدي النصارى ضناً من السكان أن دعاء الشيخ الجازولي عليه هو ما كان وراء نهايته هذه، فهو أمر مكتوب لا يزول إلا بزوال غضب الشيخ المذكور، ضف إلى ذلك عدم وجود وحدة وتماسك بين السكان الذين شعوا بضعف الأسر الحاكمة.

(4)–محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 16.

واتخاذها منطلقاً للتوسع الاستعماري، وفي نفس الوقت وضع حد لنشاط مسلمي الأندلس المطرودين، ومنع بلدان المغرب من تقديم المساعدة لهم[1]. كما أشضرنا في المحاضرة الاولى

في الوقت الذي كانت تعاني فيه المغارب الصراعات الداخلية بين الدويلات الثلاث وكذلك التحرشات الإسبانية والبرتغالية، ظهر في البحر المتوسط الاخوة بربروس[2]، الذين عرفوا بشجاعتهم، وحققوا انتصارات كبيرة، ضد إسبانيا قصد مساعدة مسلمي الأندلس[3]، أما الدولة العثمانية فقد وصلت إلى أعز وأكبر قوتها وأيامها بداية من عهد سليم الأول إلى سليمان القانوني[4]، حيث كان اتصال الإخوة بربروسة أول مرة بالباب العالي عام 1518 م، بعد عودتهما من الغزو في البحر غانمين، فبعثا رسالة إلى سليم الأول ومعها هدية عظيمة، فكان رد السلطان عليهما بإرسال قوة عسكرية مكافأة لهما، وتعتبر هذه القوة أول فرقة عسكرية تدخل الجزائر رسميا من طرف آل عثمان، تشجيعا منهم لبربروسة على الغزو في البحر.[5]

ثانيا–نشاط الأخوين بربروس بالبحر المتوسط:

اختار الأخوان جزيرة جربة لبعدها عن الوضع الصعب الذي تعيشه دويلات المغرب، والمتمثل في ضربات الإسبان والبرتغال والخطر المحدق بها دائماً، وبعدها أيضا عن ميادين الجهاد الحقيقي، فكانت الملجأ والحصن الحصين لفترة من الزمن[6]، امتلك خلالها القادة الشجعان بربروسا عشرة سفن عليها مائة من رجال البحر الفرسان، وتربطهم بسلطان تونس علاقة الحمية والتعاون على مجابهة العدو واقتسام الغنائم[7].

اشتغل بربروسا[*] بعمارة أمير تونس، بالرغم من معارضة رؤساء البحر، واختاروا من الأجفان[**]، أحسنها وأصلبها على مجابهة الأمواج والأعداء، [8]وحكم البلاد الحفصية في هذه الفترة السلطان محمد[***]، كما قام بربط علاقتهما مع الدولة

---

(1) –يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 11، 12.

(2)– شير أغلبية المؤرخون بأن أصل الأسرة بربروس من جزيرة مدلي أو ميتيلين، وكان أبوهما يدعى يعقوب بن يوسف، وكان تركيا مسلما – يعمل في الجيش التركي لقب " جاكوب" وهو اسم لا يزال يستخدم على نطاق واسع بين الإغريق' وفي هذا الصدد يشير خير الدين في مذكراته* أن والده كان من السبايهية، وكانت له أرض إقطاع في منطقة "واردار المجاورة لسلانيك، وهبها له السلطان محمد الفاتح، وكان إسحاق مقيما في قلعة مديللي أما عروج فقد ركب البحر. يلماز أوزتانا: **مذكرات خير الدين**، ترجمة: محمد دراج، جامعة مرمرة، اسطنبول، ص 01.من موقع www.elchihab.com

(3)–كورين شوفاليه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510–1541**، تر:جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.س)، ص26.

(4)–علي بن محمد الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق: محمد حبيب العميلة، ق1، دار الكتاب الشرقية، تونس، 1973 م، ج2، ص ص 85، 86.

(5)–أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (.س)، ص 197.

(6)–يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009،، ص 254.

(7)–كورين شوفاليه، **المصدر السابق**، ص 26.

(*)–نجد أن عروج وخلال إقامته بجزيرة جربة، قام بسلسلة من الحملات الجريئة فاكتسب بها شهرة عظيمة في البحر المتوسط، إضافة إلى ذلك انهمك في نقل الموريسكيين وهم مهاجروا الأندلس إلى الموانىء وشواطىء الشمال الإفريقي بعد إبعادهم عن غرناطة.

(**)–الأجفان: جمع مفرده جفن، ومعناه السفن والمراكب البحرية، وعرف ميناء الجزائر بالجفنة.

(8)–مؤلف مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، مكتبة رودسي بن قدور، الجزائر، 1934، ص 13، 14.

(***) –عرف السلطان محمد والذي خلف أباه محمد بن الحسن، وكان مشتغلا باللهو والخمور مهملا لأمور الملك والرعية وتركا خمسة وأربعين ذكرا خلفه منهم ابنه

العثمانية والسلطان سليم، حيث بعث له سفينة على متنها ملاحين أكفاء وغنائم مسلوبة، فزادهما في الأعطيات وبعث إليهما رسولا يبلغهما تحية السلطان، ويعلن خضوعهما تحت راية الدولة العثمانية[1].

ثالثا– الجهاد البحري في البحر المتوسط:

كانت مياه البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الأول للهجرة، مسرحاً لجولات الأساطيل الإسلامية، ولكن المسلمين لم يتمرسوا بالغزوات والمعارك البحرية إلا بعد قرنين أو ثلاثة حينما نشأت الأساطيل الكبرى في مصر وإفريقيا والأندلس، وأخذت القوات الإسلامية تجوب مياه البحر المتوسط شرقه وغربه، وظهرت خلالها المغامرات البحرية الحرة وأعمال القرصنة[2].

1-**الفرق بين القرصنة والجهاد البحري:** ونعني بمصطلح القرصنة[****] لصوصية البحر التي يقوم بها مغامرون من أجل السلب والنهب والتي تدعى بالفرنسية Piraterie وبين القرصنة Course والتي هي نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية، والغاية منها ضرب اقتصاد العدو بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة إليه، وهذه القرصنة ذات نظم وقوانين ولها تقاليد معروفة لا تحيد الدول ولا يحيد القراصنة عنها[3].

فالقرصنة إذا هي عدم الاعتراف بأي سلطة ورفض التمييز بين سفن هذه الدول أو تلك، وهناك فرق بينها وبين الجهاد البحري الذي كان يمارسه المسلمون، وهو القيام بمغامرة بحرية من خلالها أعطي الشرع لمجموعة من رياس البحر خاصة بممارستها، وقد مارسها خلال القرن السادس عشر فرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطا وفرسان القديس ستيفان Stephan في توسكانا، وانطلق الإسبان شرق البحر المتوسط[4].

وكانت القرصنة أثناء ذلك الاضطراب من الصنائع الرابحة، لأنها وإن كانت محفوفة بالمخاطر من كل جانب إلا أنها تكسبُ صاحبها شرف الشجاعة والبسالة[5].

فالمسلمون قد نشطوا في أعمال الجهاد البحري على الناحيتين، من جهة الشرق أين كان آل عثمان أيام قوتهم وعنفوانهم يحاربون الدول الأوربية الواقعة على ضفاف المتوسط، فإلى جانب أسطولها الضخم العتيد الذي كان يسيطر على البحر

الحسن الذي قتل جميع إخوته، وأبقى على الرشيد وعبد المؤمن، واشتعل هو الآخر مثل أبيه في اللهو والخمور.

كانت حدود الدولة الحفصية حتى مدينة قسنطينة، والتي كان رأسها أبو بكر الحفصي هذا الأخير الذي طلب من الأشقرين ونعني عروج وخير الدين، بينما كانا في حلق الواد أخذ مدينة بجاية.

[1]-محمود شاكر: **التاريخ الاسلامي–العهد العثماني**، ط4، المكتب الاسلامي، 2000، ص 104.

[2]-مجاهد مسعود: **تاريخ الجزائر**، (د. ت)، (د. م)، ص 75.

[****] -ويعرف البعض القرصنة La course أو Corsaw بالإيطالية، على أنها غزوات وجهاد البحر، من لا يختلط في مفهومنا أن القرصنة هي اللصوصية وقطع الطرق والأعمال الوحشية العدائية، المنافية لكل القوانين والنظم، لأن هذه الحرفة ظهرت في القرون الوسطى عند اليونان والفايكينغ. وخلال بحثنا هذا عندما نطلق لفظ قرصنة، نعني به الجهاد البحري، محاولين أن نتفادى كل التجريحات الغربية والروايات عن الأخوين بربروسة.

[3]-أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص72.

[4]-جون بول وولف: **الجزائر وأوربا (1500، 1830)**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 179، 180.

[5]-عثمان العكاك: **موجز التاريخ العام للجزائر**، مراجعة: أبو القاسم سعد الله، البشير شنيتي، سعيدوني نصر الدين، ابراهيم نجار، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 271.

ويحتل الجزر والموانئ وينقل الجند والعتاد فقد استطاع الجنود الأتراك من إنشاء أسطول قوي، يحارب من حارب سلطانهم ويسالم من سالمهم [1].

ومن ناحية الغرب، لم تكن هذه الحرفة ممارسة جديدة، فمنذ قرون عديدة كان المسلمون والمسيحيون يقومون بها، فكان عدد المسيحيين كبير جداً خلال القرنيين الخامس والسادس عشر، ثم خفت وطأت القرصنة المسيحية، وازدادت ضراوة الجهاد البحري (غير أن بروديل اعتبرها القرصنة المسلمة) في الشمال الإفريقي بعد إبعاد مسلمي الأندلس [2].

فكانت سفن الإسبان والبرتغال تستحوذ على السفن الإسلامية وتسبي من فيها من رجال ونساء وتأخذ ما فيها من متاع، واشتد عضد المسلمين في المغرب العربي بمن جاءهم من مهاجري الأندلس، العارفين بصناعة السفن والملاحة، فأخذت المدن الساحلية المغربية تنشئ سفن خاصة للدفاع عنها وصارت السفن تخرج من سلا، ووهران وشرشال والجزائر[*] ودلس وبجاية وجيجل إلى سواحل اسبانيا، وكانت بمدينة وهران سفينة بركنتي BRGANTINS، بلغ من قوتها وجرأتها أنها بلغت ميناء مالطة فأحرقته وأخذت ما فيه من غنائم[3].

واستعمل البحارة أنواعا من السفن الصغيرة التي تتميز بالخفة وسرعة الحركة وتدعى بـ الغليطات Galiotes، والسفن المستديرة من صنف القليرة Galares، فوصل بها البحارة الجزائريون فيما بعد إلى جزيرة ماديرا عام 1617 م، وشواطئ إنجلترا عام 1631 م[4].

نعت الأوربيون نشاط البحرية الجزائرية بالقرصنة ووصفوا رجالها بالقراصنة وهو إدعاء مغرض بعيد عن الحقيقة والواقع، لأن أول من مارس أعمال القرصنة وتوسع في تطبيقها بكل وحشية وشراسة هم الأوربيون في أعقاب الحروب الصليبية، وبداية التراجع الإسلامي بالأندلس[5]، فقد تطورت هذه المهنة التي عادت بالربح على الحكومة والشعب، فكانت تفرض الضرائب على الأسرى فيحتفظوا بهم حتى يفتدوا، وظل الدخل طيلة ثلاث قرون منها.[6]

2- ظروف الجهاد البحري

كما سبق واشرنا أن الصراع الذي كان بين سكان المغرب والاسبان ولبرتغال والذي أصر الاسبان على اعطاء الصبغة الدينية لحركتهم حتى يصلوا الى ضمنان الحماس الشعبي اللازم للتغييرات المنتظرة وان كان ذاك اخفاء الصراع الحقيقي حول الحكم والسلطة والحصول على الموارد الاقتصادية، اضافة لإنشاء محاكم التفتيش التي نشأت ضد المورسكيين هذه المحاكم

---

(1)-أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص 73.

(2)-ن، تبروديل: " الإسبان والمغرب العربي"، **المجلة الإفريقية**، العدد الأول، 1865، ص 52.

(*)-بدأ أسطول مدينة الجزائر ينموا منذ أن دخلها بابا عروج صاحبا معه لأول مرة مراكب من جيجل، وفي عهد خير الدين استولى على 36.. اسبانية ضمها إلى القطع السابقة، ةولجأت الجزائر إلى القرصنة لأن الاتفاقيات مع الاسبان كانت ذات طابعع ديني، لا علاقة له بالجانب التجاري من صادرات أو واردات... أنظر عبد القادر حلمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، الجزائر، 1972، ص 280.

(3)-أحمد توفيق، المدني: **المرجع السابق**، ص 74، 75.

(4)-المهدي بوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر في التاريخ " العهد العثماني "**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 43.

(5)-رأفت الشيخ: **تاريخ العرب الحديث**، عن الدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، 2005، ص 373.

(6)-فيليب حتي وآخرون: **تاريخ العرب الحديث** – مطول -، ج2، ط4، 1965م، بيروت، ص 256.

التي ساهمت بدورها في خروج عدد كبير من الأندلسيين لبلاد المغارب لأنها أقرب موانئ المسلمين اليهم ومن الطبيعي أن يخرج رجال البحر المغاربة لاستقبال سفن المهاجرين وضمان وصولهم اليها والدفاع عنهم مما أذى الى اتباع الاسبان والبرتغاليين لهم وتشكيل العديد من التحالفات الصليبية لشن حرب شاملة ضد مسلمي شمال افريقيا.

وبهذا تشكلت قوة اسلامية جديدة في جهادها ؛والتي اتبعت اسلوب الكر والفر في البحر بسبب عدم مقدرتها على الدخول في حرب نظامية ضد القوى المسيحية من الاسبان البرتغال وفرسان القديس يوحنا وهكذا فان وتيرة الأحداث سرعان ما شهدت تحول الغارات على السفن المسيحية والممتلكات التابعة للإسبان الى نشاط أساسي من انشطة الموانئ الشمال افريقية حتى اغدت الغنائم التي يجنيها الاهالي من اشتراكهم في تجهيز السفن الصغيرة على السواحل الاسبانية وما يتبعها من جزر وموانئ موردا هاما من الموارد الاساسية التي يعتمدون عليها في حياتهم اليومية، لذلك فالكثير من الاهالي لم يكونوا يترددون في الاشتراك فيها رغبة في الجهاد وطلبا للغنائم[1]، ومن المؤكد أن ذهاب الاخوان باربا روسا الى بلاد المغرب سنة 1512م كان له العامل الاكبر في تأثير حركة الجهاد البحري في تلك المنطقة[2]، وعلى هذا فان الغارات التي كان يقوم بها البحارة المسلمين على السواحل الاسبانية انما كانت تندرج ضمن واجب الدفاع عن المستضعفين من المسلمين في الاندلس والضغط على السلطات الاسبانية لإجبارها على تخفيف قيضة الاضطهاد الدي تقوم به ضد المسلمين.[3]، حيث يقول المؤرخ الفرنسي شارل اندري جوليان "...وأقيمت المراسي من جربة الى المغرب الاقصى لممارسة القرصنة فسلحت تونس؛ بجاية؛مدينة الجزائر؛وهران؛..."، كما ذكر الوزان "...أن اهالي مدينة بجاية كانوا يسلحون مراكب وسفن حربية ويرسلونها لغزو سواحل اسبانيا وهو ما حفز الاسبان الى غزوها أما أهالي وهران فقد كان التجار منهم يجهزون مراكب وسفن صغيرة مسلحة يغزون بها سواحل قطونيا وجزر بييزا ومينورقة"[4]، نفس الشيء كان يفعله أهالي مدينة الجزائر فقد كانوا يسلحون المراكب وينضمون الغارات على السواحل المذكورة وحتى السواحل الاسبانية[5].

ويمكننا تلخيص أسباب الجهاد البحري الى مايلي:

-العدوان الصليبي "الاسباني ؛البرتغالي" على السواحل المغاربية.

- إسقاط الاسبان لأخر قلعة للمسلمين في الاندلس "غرناطة" ؛ وإساءتهم لمن بقي من المسلمين هناك وتخيرهم بين النفي والطرد وتغيير عقيدتهم الاسلامية. [6]

- النزاع بين الشرق والغرب الذي أصبح فيما بعد نزاعا بين المسيحية والاسلام والذي برز بشكل واضح بعد حروب

---

[1]- المهدي بوعبدلي، ناصر الدين،.المرجع السابق.، ص125

[2]-أحمد سالم، أحمد سالم، استراتجية الفتح العثماني، ماجستير في التاريخ كلية الاداب جامعة الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2012.، ص85

[3]- المهدي بوعبدلي، ناصر الدين، المرجع السابق، ص125

[4]-مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية ووضعيتها العالمية قبل، 1830، ط1دار البحث قسنطينة، ص63.

[5] - المهدي بوعبدلي، ناصر الدين، **المرجع السابق**، ص125.

[6] -ناصر الدين سعسدوني **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009، ص25.

الاسترداد التي تمكن الاسبان على إثرها من القضاء على الكيان الاسلامي في شبه الجزيرة الايبرية[1].

-اسباب اقتصادية وتتمثل في زيادة اهتمام الدول الايبرية بأساطيل وموانئ التجارة الخارجية وهذا دفعها الى ضرورة العمل على وقف نشاط الموانئ والمراكز التجارية المنافسة لها والقريبة منها في نفس الوقت[2].

-محاولة الصليبين انتزاع التجارة الدولية بمواردها وطرقها وأسواقها من أيدي المسلمين[3].

-ضعف الدولة المغربية"المرينية الحفصية والزيانية" واستمرارها في الصراع فيما بينها حتى انهكت قواها وقوى الشعب وصارت خطرا على أمن المغرب العربي واستقلاله[4].

3-أهذاف الجهاد البحري:

-حماية الثغور المغاربية من التحرشات الخارجية سواء كانت داخلية أو خارجية

-حماية واحتواء المورسكين بعد سقوط غرناطة حيث أصبحت قضية الاندلس بالنسبة للحكام المغاربة وسكانها هي قضيتهم[5].

4-نتائج الجهاد البحري:

يمكننا سرد أهم النتائج الطويلة لهذا الجهاد كما لخصه سعيدوني في كتابه ورقات في النقاط التالية:

- خلق توازن بين ضفتي البحر المتوسط الضفة الشمالية التي تميزت بظهور الدول الوطنية الحديثة الأوروبية المتحفزة للتوسع والسيطرة والضفة الجنوبية حيث كانت تتقاسمها دول اقليمية متنافسة بنو حفص في تونس وبنو زيان في تلمسان وبنو مرين بالمغرب قبل أن تسقط في خضم الصراع العثماني الاسباني لتترك المجال لظهور باشوات الجزائر وتونس وطرابلس وسلطة فاس التي انبثقت منها فيما بعد الدولة المغاربية الحالية.

-توحيد صفوف المسلمين بالسواحل فأصبحو بمثابة كتلة حضارية واحدة تحت راية الدولة العثمانية هذه الدولة التي كان لها الفضل في وقف الانهيار الذي حل بالبلاد الاسلام والذي ابتدأ في فترة سابقة على يد المغول ببغداد والصليبيين في الشام والمسيحيين بالاندلس[6].

- وضع حد لتوسع المسيحي بشمال افريقيا

وفي الأخير يمكننا القول أن وصم الجهاد البحري بالقرصنة بعيد كل البعد عن الواقع وعن التأريخ النزيه الموضوعي لأنه مجرد افتراءات نقلها مؤرخي اوروبا عن بعضهم البعض متغافلين عن اعتداءات أسلافهم الموسومة بالعار والمليئة بالأحقاد الصليبية. خاصة أن هذا الجهاد البحري هو الذي ساعد على محاصرة وتصفية الجيوب الاسبانية وبالتالي وضع حد للتوسع

---

(1) -عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، مكتبة مدبولي ط1، القاهرة1994م، ص-ص145-148.

(2) -ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية مرجع سابق**، ص121

(3) -عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ من العصور القديمة حتى 1945**، دار الامة، ط1، لجزائر 2011، ص36.

(4) -أحمد سالم، **استراتجية الفتح العثملي**، مؤسسة شباب، الاسكندرية2012، ص87.

(5) - ابو الفاسم يعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4 دار الغرب الاسلامي ط 1، بيروت 1998، ص233.

(6) -ناصر الدين يعيدوني، **ورقات جزائرية مرجع سابق**، ص ص 192، 193

المسيحي بشمال افريقيا باسترجاع جيجل (920هـ/1541م) وتنس1516؛وحصن الصخرة البنيون بمدينة الجزائر 1529م وبجاية 1555م وطرابلس الغرب 1551م؛وتونس 1574م في الوقت الذي اشتدت فيه وطأة البحارة الجزائريين [1].

ثالثا–انتصاب الحكم العثماني في المغارب

1–الدخول العثماني إلى المغرب الاوسط:

بعد إستشهاد عروج سلمت القيادة إلى خير الذين، وتم الارتباط رسميا بالدولة العثمانية سنة 1520، هذا الأخير قام بمحطات وأعمال عديدة خلال فترة حكمه، حيث تزعم الجهاد البحري في شمال إفريقيا دفاعا عن الأندلسين الفاريين من إسبانيا[2].

عرف المغرب الأوسط وفي الربع الأول من القرن 16 م [3]، تطورات سياسية هامة تمثلت في تعرضها لتحرشات الاسبان [4]، الذين تمكنوا من احتلال العديد من مدنها [5]، إضافة إلى ضعف دولتي بني زيان وبني حفص الذين كانوا يتقاسمون النفوذ في المغرب الاوسط[6]، وهذه العوامل دفعت بالجزائريين إلى الاستنجاد بالأخوين عروج وخير الدين اللذان ذاع صيتهما آنذاك كما تعرفتم على دلك في محاظرات تاريخ الجزائر، وقد كان أعيان مدينة بجاية هم أول من طلب النجدة وذلك سنة 1512 م، حيث لبى هؤلاء الإخوة طلبهم والتحقوا بالمدينة، فحاولوا تحريرها ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك، وفقد عروج ذراعه إثر المعركة التي دارت بينهم[7].

وبعد ذلك أدرك عروج وأخوته بأن مدينة بجاية محصنة جيدا، وأن قلعة حلق الوادي بتونس بعيدة عن المعارك في االمغرب الاوسط، فقرروا البحث عن قاعدة أخرى تكون أكثر قربا، وبعد أن وقع اختيارهم على مدينة جيجل صمموا على تحريرها واتخاذها نقطة انطلاق نحو بجاية فتم لم ذلك في سنة 1514 م [8]، وبعد ذلك حاول عروج تحرير بجاية مرتين في سنة1514 و 1515م ولكنه فشل [9].

وقد ذكر خير الدين بربروس في مذكراته بأن استنجادات الجزائريين بهم توالت بعد ذلك، حيث وصلت العديد من الوفود إلى مدينة جيجل يشتكون لهم مظالم الإسبان، ويطلبون منهم إنقاذهم، وقد كان أهم هذه الوفود وفد مدينة الجزائر

---

(1)– صالح فركوس، صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقيين الى خروج الفرنسيين،.. ط1 دار العلوم، 2002، ص67.

(2)–محمد علي عامرا، **المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظل العهد العثماني**، دون ط، جامعة دمشق، سوريا، ص76.

(3)–ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر في التاريخ) العهد العثماني**(، ج4 ، د:ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، د:م، د:ت، ص14.

(4)–عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ 16 –م**، ج1 ، (د.ط،) دار الأمل للطباعةوالنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 14.

(5)–عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1 ، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص88

(6)–عمار بن خروف، **مرجع سابق**، ص 14

(7)–عمار عمورة، **مرجع سابق**، ص 89

(8)–محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، (1512–1543)**، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 191.

(9)–عمار عمورة، **مرجع سابق**، ص 89

[1]، الذين انتهزوا فرصة وفاة الملك فرديناند الكاثوليكي في جانفي 1516 م[2]، فسار عروج نحو مدينة الجزائر وفي طريقه إليها توجه إلى شرشال التي حررها، ثم عاد إلى مدينة الجزائر ودخلها [3].وقد استطاع عروج من بسط نفوذه على المناطق المحيطة بالمدينة، المدية، مليلة، تنس [4].وبعد فترة قصيرة قتل عروج عام 1518م، وبعد وصول خبر وفاة عروج لأخيه خير الدين الذي كان في تلك الأثناء بمدينة الجزائر، وبفعل حركة التمردات التي ظهرت بمحيط مدينة الجزائر وكذا عن طريق إمارة كوكو وقائدها ابن القاضي أدرك بأنه لا يستطيع الاحتفاظ بالجزائر لوحده، لذلك قرر خير الدين الاستعانة بالإمبراطورية العثمانية حتى يتمكن من الحصول على المال والقوة العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر المحدق به، خاصة وأن إسبانيا كانت تتزعم العالم المسيحي وتعتبر القوة المهيمنة في شمال إفريقيا وجنوب أوربا، وتحقيقا لهذا الهدف قام الخضر ببناء أسطول حربي مجهز بوحدات بحرية خفيفة وسريعة الحركة، كما أن خوف القيادات الداخلية من فقدان سلطانها قد عجلت بتحرك خير الدين لكي يقوم بتوثيق هذه العلاقة مع آل عثمان [5].، وقد نشر الدكتور عبد الجليل التميمي ترجمة عربية لوثيقة تركية محفوظة في دار المحفوظات التاريخية بإسطنبول تحت رقم 6456، وهي رسالة أهالي الجزائر على اختلاف مستوياتهم بتاريخ 26 أكتوبر إلى 3 نوفمبر 1519 م، وكان هدف خير الدين ربط مصير الجزائر رسميا بالدولة العثمانية، رسالة موجهة باسم جميع الطبقات من القضاة والخطباء والأئمة والتجار والأعيان وكافة السكان، وهذا دليل على رغبتهم الجامحة في التخلص من الذل وهيمنة النصارى التي بدأت تتلاشى من موانئ المغرب.[6]

وجاء في نص الرسالة ما يلي: «...إن أهل مدينة الجزائر هم عبيد السلطان العثماني، ليس لهم أحد سواه، يلجأون إليه في موقفهم الحرج استفادوا بأفضال بابا عروج في مدافعة الكفار، لأنه كان ناصر الدين والحامي المجاهد في سبيل الله، إلى أن سقط شهيدا في حصار الإسبان لمدينة تلمسان، وخلفه أخوه المجاهد في سبيل الله خير الدين، وكان له خير خلف، فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلا العدل والإنصاف، وإتباع الشرع النبوي الشريف، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال، وكرس نفسه وماله للجهاد لإرضاء رب العباد، وإعلاء كلمة الله، ومناط آمال سلطتهم العالية...ونحن معه ثابتون ونحن وأمير خدام أعقابكم العالية وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي، وأنا المذكور حامل الرسالة سوف يعرض على جلالتكم في هذه البلاد من الحوادث والسلام....».[7]

---

[1]–خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر :محمد دراج، ط1 ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 74.

[2] *Fray Diego de Haëdo ،**abbé de Fromesta** ،**Histoire des Rois d'Alger** ، Trad: H. De Grammont ، adolphe jourdan ،libraire ،éditeur ،Alger ،1881 ،p 16*

[3]–أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا1492 –1792**، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د:ت، ص 174.

[4]–محمد دراج، المرجع السابق، ص 216

[5]–عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 54.

[6]–حلمي محروس إسماعيل: **تاريخ العرب الحديث – من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى** –، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997 م، ص ص 25، 26.

[7]–عبد الرحمن جيلالي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، ج3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 48.

وعند الدراسة التحليلية لهذه الرسالة، تتبين لنا اتجاهات خير الدين اتجاه الدولة العثمانية، وهو حاكم المسلمين رسميا في شمال إفريقيا، معتمدا على القرآن والسنة، ونشاطه يتركز في قيادة العمليات البحرية وولاء خير الدين للدولة الرسمية وسلطانها سليم[1].

أعطى السلطان سليم منصب بيلرباي لخير الدين، وأصبح القائد الأعلى للقوات البحرية والعسكرية في إقليمه وممثلا للسلطان، وبذلك أصبح المغرب الاوسط تحت حكم آل عثمان رسميا، وأصبح أي اعتداء خارجي على أراضيها يعتبر اعتداءا على الدولة العثمانية، وقد دعم السلطان هذا القرار بقرارات تنفيذية، إذ أرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية وألفي من جندي انكشاري، ومنذ 1520 م، بدأ الانكشارية يظهرون على الحياة السياسية والعسكرية في الأقاليم العثمانية لشمال إفريقيا، ودُعِي اسم السلطان سليم في منابر المساجد، فلم يكن بذلك دخول الأتراك إلى الجزائر غزوا أو فتحا إنما هو لرغبة أهل البلد واعتبروا منقذين، وكانت حريصة على امتداد نفوذها بعد ذلك إلى كل أقاليم الشمال الإفريقي لتوحيده تحت راية الإسلام والعمل على تخليص مسلمي الأندلس من الأعمال الوحشية التي كان يقوم بها الإسبان اتجاههم[2].وبهذا دخلت الجزائر رسميا تحت الراية العثمانية سنة 1520[3].

2-الدخول العثماني إلى المغرب الأدنى (تونس):

بعد حكم الموحدين قام الحفصيون في تونس من 1228م-1574م وقد جعلوا منها دولة مستقلة الى منتصف القرن 16م؛حيث كان ابو عبد الله محمد الخامس قد تقبل المجاهدين البحريين ومنحهم مكانا في حلق الوادي وأجرى اتفاقا معهم ليظفر بنصيب من الغنائم الوافرة التي يتحصلون عليها عن طريق جهادهم ضد الصليبيين، وقد استمر في حكم تونس الى أن توفى 1526م فخلفه ابنه ابو عبد الله الحسن ولم يكن مولاي حسن محبوبا من قبل الاهالي بسبب ظلمه وغدره وقد رغب الأهالي بالتخلص منه اسوة بقتله لاخوته ماعدا الرشيد الذي استطاع النجاة إلى الجزائر، وكان مولاي الحسن يحب العشرة ومتعلقا بحب الغلمان وبحب أصدقاء ولده الوحيد ولهذا قد جمع الشبان الذين بسنه وتكفل بهم شريطة أن يظلوا الى جانب ولده وحسب الروايات فقد جمع في قصره أكثر من أربعمائة جميل، وقد أرسل الاهالي خبر الى الرشيد يدعونه للقدوم اليهم ويعدونه بالمساعدة لاستلام الحكم بدلا من أخيه وعندما سمع مولاي الحسن بذلك أرسل الهدايا الى السلطان سليمان مع أحد رجاله وزوده برسالة شكوى ضد خير الدين وأخبره رسوله أن شائعات تسربت من الديوان تفيد بان السلطان سليمان سيستدعي خير الدين والرشيد الى استانبول باقرب وقت ولن يسمح لهما بالذهاب إلى تونس وحقيقة الامر فان السلطان سليمان كان ينوي فعلا إحضار خير الدين والرشيد الى استنبول وانه خصص لمولاي الرشيد مصروفا قدره بخمس مئة اقجة يوميا وان كافة احتياجاتي ولوازمي ستؤمن من بيت الطعام وكان على خير الدين استغلال تلك الفرصة الموالية

---

[1]-عبد العزيز الشناوي: **الدولة العثماني دولة الإسلام المفترى عليها**، ط2، 1986 م، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، ص 208.

[2]-الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1، (1990م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص 25 ؛ علي محمد الصلابي: **الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط2، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص 213.

[3]-عمارة عمورة، **مرجع سابق**، ص ص 89، 90.

ليمد سلطانه لدولة العثمانية. **وتتمثل عوامل الاهتمام بمد النفود العثماني الى المغرب الأدنى فيما يلي:**

1-الموقع الجغرافي في منتصف الساحل الافريقي وتوسطها بين الجزائر وطرابلس.

2-قربها من ايطاليا التي كانت أحد جناحي الامبراطورية الرومانية المقدسة أما جناحها الاخر اسبانيا

3-مجاورتها لجزيرة مالطا مقر فرسان القديس يوحنا

4-امكانيات موانئ المغرب الادنى لتحكمها في المواصلات البحرية في البحر المتوسط.

وهكذا غادر خير الدين استانبول بعد ان عين اميرال للبحرية العثمانية عام 1534م على رأس قواته التي تتكون من 80 سفينة وثمانية الاف جندي سنة 1534م وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه السلطان سليمان يعبر للاناضول متجها لغزو ايران وقبل أن يتوجه خير الدين لتونس توجه لسواحل الاروبية فهاجمها قاصدا بث الرعب في نفوس الاروبيين وبعدها تحرك الأسطول العثماني من بنزرت وتوجه الى تونس فاستولى عليها واعلن تبعيتها للدولة العثمانية، وما أن وصل مدينة تونس حتى خرج الأهالي لإستقباله، فسمع مولاي حسن بذلك وأن أخاه الرشيد موجود في الأسطول وأنه قادم لاستلام الحكم منه ففرمولايالحسن وعندما علموا التونسيين أن الرشيد لن يأتي، وأن بلادهم أصبحت تحت حكم السلطان العثماني الذي عرف بقسوته، فضلوا حكم مولاي الحسن على حكم العثمانين، وراسلوه للعودة إلى الحكم سرا.[1]

خاصة انه كما سبق وأشرنا أن الحكم الحفصي به دام حوالي ثلاثة قرون لذلك تخوفوا من العيش في ظل حكم جديد وفضلوا الاستمرار تحت ظل الحكم الحفصي؛ارسلوا بالسر الى السلطان مولاي الحسن لالتجاء الى احدى القبائل متأهبين لمساعدته وذلك لاستلام الحكم ثانية وفعلا تشجع مولاي الحسن وجمع قواته مهاجما تونس غير أنه فر منه بعدما فقد حوالي 300جندي، وقد كتب خير الدين الى شيوخ القبائل يشجعهم على القاء القبض على مولاي الحسن الهارب، كما وجه رسائل الى بعض عساكره في الجزائر يأمرهم بالتفافهم مع القبائل بغية تحريضهم ضد مولاي حسن في حين انشغل هو بادارة وتنظيم البلاد، أما مولاي الحسن فقد توجه الى القيروان وقد وجد هناك أنصارا له بمجموع 15.000ألف متطوع وما أن سمع خير الدين بدلك حتى أسرع بجمع 15الف جندي و30مدفعا ونقلها فورا الى الصحراء والتقى مع مولاي الحسن في الصحراء وما أن انطلقت المعركة حتى ولى مولاي الحسن فارا في حين قدم اليه شيوخ القبائل والاعيان مولين فروض الطاعة والولاء، أما مولاي الحسن فقد فر الى اسبانيا. واستنجد (بملك اسبانيا) شارل الخامس والذي أعد قوة ضخمة قادها بنفسه ودخل تونس سنة 1535م ونصب الحسين الحفصي على كرسي الحكم من جديد 1535م **وتتمثل عوامل اهتمام الاسبان بمد** نفودهم الى تونس فيما يلي:

1-اشراف تونس على المواصلات بين حوضي البحر المتوسط

2-قرب تونس من أقاليم الدولة الرومانية من الناحية الشرقية

3-تشجيع المورسكيين على مواصلة الهجرة والاستقرار بتونس الى جانب الجزائر والمغرب

وقد أكد هذا الوضع هشاشة الموقع العسكري العثماني بتونس اذا ما قورن ذلك بالاطماع الاسبانية وبالفضاءات

---

[1]-عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا**، ترجمة:محمود على عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص116.

المجاورة حيث أدرك الباب العالي أهمية الفضاء المغاربي في الرهانات المستقبلية بالبحر المتوسط والعمل على عثمنته والحيلولة دون الهيمنة الاسبانية على الحوض الغربي للمتوسط[1]. لتستمر الصراعات بين الإسبان والحفصين والأتراك إلى غاية انتصار الأتراك وانتصاب حكمهم نهائيا في تونس سنة 1574م[2].

3/الدخول العثماني إلى طرابلس الغرب:

بعد أن احتل الإسبان مدينة طرابلس في سنة 1510 م، وازداد خطرهم على الأهالي[3]، ولم يجد هؤلاء وسيلة للتخلص منهم سوى الاستنجاد بالعثمانيين5 ، فأوفد سكان تاجوراء والقادمون عليها من مدينة طرابلس وفدا إلى السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة 1520 م لطلب المساعدة، فاستقبلهم هذا السلطان وأكرمهم ثم ولى عليهم مراد آغا وأمره [4]، بالتوجه إلى طرابلس وتخليصها من الإسبان نهائيا[5]، فنزل مراد آغا ومن معه بتاجوراء ثم شرع في محاصرة مدينة طرابلس التي لم يستطع تحريرها لقلة جنده [6]، وبعد ذلك بقي مراد آغا وسكان تاجوراء والمناطق المجاورة الأخرى ينتظرون الفرصة المناسبة لإنهاء الوجود الإسباني بالمدينة.

وفي سنة 1535 م قام الإسبان بمنح طرابلس لفرسان القديس يوحنا [7]، وذلك لتخوفهم من فقدان مكانتهم بين دول أوروبا في حالة نجاح مراد آغا من افتكاك المدينة منهم، ضف إلى ذلك الخسائر التي تكبدها الإسبان من جراء محاولات مراد آغا المتكررة لتحرير طرابلس [8].

وقد جاءت الفرصة سانحة عند مرور أسطول السلطان سليمان القانوني بالمدينة متجها إلى تونس بقيادة درغوث باشا، حيث خرج مراد آغا وأعيان من تاجوراء له فأطلعوه على الوضع في ليبيا كما التمسوا منه يد المساعدة [9].

فتحت القوات العثمانية طرابلس الغرب في 1551 بعد تحريرها من فرسان القديس يوحنا بعد توجه "درغوت باشا " بالتنسيق مع سنان باشا ومراد آغا، حيث حملت اسمها طرابلس الغرب وأصبحت هده الإيالة مستقلة[10] تحت لواء الدولة

---

(1) – محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، شركة الاصالة، الجزائر 2001، ص ص 97، 98.

(2)–محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس**، تعريب الشاوش ومحمد عجبة، ط3، دار صاراص، تونس، 1963، ص65

(3)–مصطفى عبيد، "طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين 1510-"1551، **مجلة الآداب والحضارة الإسلامية**، تصدرها كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015، ص 324.

(4)–نجم الدين غالب الكيب، **مدينة طرابلس عبر التاريخ**، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978، ص 91.

(5)–مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص 328.

(6)–أحمد بك النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، (د.ط)، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.س)، ص 188

(7)–مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص 330.

(8) – **المرجع نفسه**، ص 330.

(9)–شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تر: وتحق: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994، ص 91.

(10)–حاصر المدينة وأرسل إلى حاكم الحامية بها يطلب منه تسليم المدينة دون الدخول في حرب، لكنه رفض ذلك وفي 09 أوت تم الهجوم العثماني على طرابلس، ولما أدرك هذا الحاكم أن الهزيمة لا مفر منها قرر الاستسلام، فدخل درغوث وسنان ومعهما مراد آغا المدينة وبذلك دخلت ليبيا تحت راية العثمانيين، للمزيد ينظر: فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في أوضاع الأدارة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية**، ط1، دار الحمراء، لبنان، 2001، ص571

العثمانية من سنة (1711/1551)حيث أطلق على هده الفترة بعثماني الأول.

المحاضرة 4: ظروف الحاق الدول المغاربية (طرابلس، تونس)بالدولة العثمانية

تمهيد:

شهد القرن السادس عشر الميلادي توسعًا عثمانيًا ملحوظًا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وقد شمل هذا التوسع منطقتي تونس وطرابلس الغرب، باعتبارهما مجالين استراتيجيين لمواجهة القوى الأوروبية وخاصة الإسبان .تهدف هذه المحاضرة إلى دراسة مراحل هذا المد، وأبعاده السياسية والعسكرية والحضارية.

الدرس الأول: المد العثماني في تونس

-الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى قبيل التدخل العثماني

كان إقليم شمال إفريقيا يتمتع بالوحدة المتكاملة، وبعد سقوط الموحدين فقد الإقليم وحدته السياسية، وظهرت ثلاث دويلات: الزيانية بالمغرب الأوسط الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، و كان توجه الدولة العثمانية في شمال إفريقيا يهدف إلى إتمام سلسلة الفتوحات العثمانية في المشرق ولإحكام الحلقة في البحر الأبيض المتوسط

؛ شارل فيرو، **المرجع السابق**، ص 91.

بالإضافة إلى مطاردة فرسان القديس يوحنا[1] المسيطرين على طرابلس الغرب[2]، وعلى اثر ذلك تشجع الإسبان لإعداد حملة صليبية في الشمال الإفريقي مستغلين التفكك والتناحر بين قوى الأمراء المحليين[3]، وكذا عجز الحفصيين بتونس عن مواجهة سفن اسبانيا والدول

الإيطالية، ففي سنة 1510 م استولى الكونت دي نافارو على بجاية[4]وطرابلس[5] واستنجد بعض الأعيان ورجال الدولة " بعلج علي " وطالبوا بمجيئه لتونس لإنقاذهم ممّا هم فيه ولظلم سلطانهم وتعامله مع الإسبان النصارى [6]، وهناك بدأ عروج اتصالاته بالقوى الإسلامية بشمال إفريقيا، حيث كان ابي عبد الله محمد الثاني (1494-1527م) قد تقبل المجاهدين البحريين ومنحهم مكانا في حلق الوادي وقد اقترح عليهم استغلال مراسي البلاد التونسية وخاصة جربة مند 1505م كقاعدة لانطلاق مراكبهم وأجرى اتفاقا معهم ليظفر بنصيب من الغنائم الوافرة[7] ؛ التي يتحصلون عليها عن طريق جهادهم ضد الصليبيين وقد استمر في حكم تونس الى أن توفى 1527م فخلفه ابنه ابو عبد الله الحسن والذي اشتهر باسم مولاي الحسن[8] وقد عرف هذا الاخير بسفاهته وكثرة سفكه للدماء الى جانب اهماله لأحوال البلاد لذلك ضجر السكان من كثرة مظالمة وكان على خير الدين استغلال تلك الفرصة الموالية ليمد سلطان لدولة العثمانية الى المغرب الادنى.

ثانيا–الصراع العثماني الإسباني في البحر المتوسط

1 – خير الدين بربوس والتدخل العثماني في تونس

كان السلطان أبو عبد الله الحسن الحفصي معروفًا بظلمه، مما أثار غضب السكان ودفعهم للتذمر من حكمه، وقد هاجم خير الدين بربروسا [9] سواحل تونس بعد أن دخل في خدمة السلطان العثماني الذي منحه لقب أمير الأمراء[10]

---

(1)–**فرسان القديس يوحنا** :وهي منظمة نشأت في بيت المقدس مطلع الحروب الصليبية كانت في بدايتها منظمة خيرية ثم تحولت إلى تنظيم عسكري، ينظر: محمود علي عامر ومحمود خير عامر، **تاريخ المغرب العربي الحديث المغرب الأقصى وليبيا**، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، سوريا، د:ط، د:ت، ص 153

(2)–إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1997، ص 138.

(3)–عاطف عيد، **قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس والجزائر**، مؤسسة علي وشركائه، بيروت لبنان، د:ط، 1998م، ص35 .

(4)–**بجاية** :أسسها الفينقيون وسموها صلدة ثم احتلها الرومان ودعوها صلداي خربها الوندال وجددها الناصر الحمادي ثم دعاها بالناصرية ثم سميت بجاية باسم قبيلة بربرى، ينظر :الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر :محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص50 .

(5)–طرابلس: وهي مدينة أسسها القرطاجيون في القرن 5 ق.م، عرفت باسم أويت موقعها يحتل الطرف الشمالي لمدينة طرابلس احتلها الإسبان في عام1510 م، واسترجعها العثمانيون عام 1551 م ثم استولى عليها الايطاليون عام1911 ، أنظر :ج أوهابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج أوهابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، تر:ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د:ط، د:ت، ص126 .

(6)–محمد سي يوسف، **أمير أمراء الجزائر علج علي باشا**، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، د:ط، 2009م، ص11

(7) –محمد صالح بن مصطفى، العثمانيون في تونس 1505-1957، التاريخ.الاثار.السكان وسلوكاتهم، ط2، نقوش عربية 2021، ص13

(8)–**مولاي الحسن** :أحد ملوك الدولة الحفصية تولى الملك في عام 1525 م، أبرم مع النصارى معاهدة الصلح وتعاون معهم ضد الأتراك، ينظر :مارمول كاربخال، إفريقيا، ج3 ، تر :محمد حجي، المملكة المغربية، الرباط، د:ط، 1988م، ص98

(9)–**خير الدين بربروس**: ولد في جزيرة مدللي أحد جزر اليونان والتي سميت قديما جزيرة لسبوس حوالي 1483 م وتوفي في 1546، ودفن في بشكطاش على شاطئ البوسفور، ينظر :مؤلف مجهول، **سيرة المجاهد خير الدين بربروس**، تحقيق وتقديم عبد الله حمادي، دار القصبة، الجزائر، د:ط، 2009م، ص5.

(10)–**أمير الأمراء** :عرف منذ العصر العباسي، كان اللقب آنذاك فخريا ثم تحول إلى لقب وظيفي والمرادف الفارسي له ميرميران والمرادف التركي بكلربكي) أنظر :

وأمده ب 2000 من الجنود، والمدفعية القوية و 4000من المتطوعة [1]والانكشارية [2] ؛ وأعلن ضم تونس في عام 1534م وثغرها حلق الوادي إلى أملاك الدولة العثمانية [3]وعيّن عليها الرشيد الحفصي شقيق الحسن بن محمد ممثلا للسلطان العثماني[4]، وقد تعددت الروايات عن الأسباب التي جعلت خير الدين يضم تونس، حيث أعطى السلطان أوامره لخير الدين حتى يتوجه الى المغرب الأدنى (تونس) وأن هذا الأخير أراد ضم تونس مند أن صار بيلرباي على الجزائر لعلمه أن الاحوال لن تستقر في الجزائر الا بضم كامل المغرب العربي، وهكذا غادر خير الدين استانبول على رأس قواته التي تتكون من 80 سفينة وثمانية الاف جندي سنة 1534م وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه السلطان سليمان يعبر للأناضول متجها لغزو ايران وقبل أن يتوجه خير الدين لتونس توجه لسواحل الأوربية فهاجمها قاصدا بث الرعب في نفوس الأوربيين وبعدها توجه الى تونس في عهد الحسن بن محمد الخامس الحفصي (مولاي الحسن)عام 1534م فاستولى عليها واعلن تبعيتها للدولة العثمانية غيرأن السلطان الحفصي مولاي الحسن قد تمكن من الهرب متجها الى الاسبان لطلب العون[5].

–وقد ذكر محمد مبارك الميلي أن خير الدين أراد أن يغتنم فرصة انتصاراته المتتالية، وفكر في ضم تونس وبسط نفوذه على الناحية الشرقية فترك حكم الجزائر لابنه حسن أغا وذلك بعد ان حصل على موافقة الباب العالي الذي أرسل له أربعين باخرة الى عنابة وثمانية الاف جندي ومدفعية قوية ؛وقد سار خير الدين عن طريق البحر على رأس ثمانية ألاف وتسعمائة جندي (مابين أتراك ويونانيين والبانيين واسبانيين ارتدوا عن دينهم ودخلوا في الاسلام)، وتوقف في طريق بقسنطينة لإخماد ثورة نجمت بها وواصل السير الى عنابة؛ ومن هناك أبحر الى تونس فنزل بحلق الوادي في 16اوت 1534م(صفر 941هـ)ولقي رجاله بعد المقاومة في مدينة باجة، أما السلطان حسن فقد فر عند سماعه بقدوم خير الدين ثم رجع الى تونس يوم 18اوت من نفس السنة على رأس ألف فارس فدارت المعركة بينه وبين الاتراك الذين انطلقوا ينهبون ما في المدينة وراح خير الدين يعمل على تحصين المدينة وجمع الاموال التي كان في حاجة اليها لدفع مرتبات جنوده ذلك أنه أذرك أنه على ضوء التمرد الذي قام به بعض جنوده يوم 14 اكتوبر من نفس السنة ان كل تأخير في دفع المرتبات يعرضه للخطر

مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة، مصر، د:ط، 2000م، ص6 .

[1]–الانكشارية :القوات الجديدة وهي فيالق عسكرية تكونت من رعايا أبناء الدولة تم جمعهم ما بين15 –16 سنة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا، ينظر :سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة :عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، د:ط، 2000م، ص 41.

[2]–حسين مؤنس، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، لجنة الجامعيين لنشر العلم، القاهرة، مصر، ط1935 ، 1م، ص2 .

[3]–**عوامل الاهتمام بمد النفود العثماني الى المغرب الادنى:**

1–الموقع الجغرافي في منتصف الساحل الافريقي وتوسطها بين الجزائر وطرابلس.

2–قربها من ايطاليا التي كانت أحد جناحي الامبراطورية الرومانية المقدسة أما جناحها الاخر اسبانيا

3–مجاورتها لجزيرة مالطا مقر فرسان القديس يوحنا

4–امكانيات موانئ المغرب الادنى لتحكمها في المواصلات البحرية في البحر المتوسط

[4]–عبد اللطيف الصباغ، **تاريخ الدولة العثمانية**، ص78

[5]–لمزيد من التفاصيل ينظر حسين مؤنس، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، لجنة الجامعيين لنشر العلم، القاهرة، ط.1، مصر، 1935

فقد كاد أن يقتل في هذا التمرد ولم يتمكن من اخماده الا بعد أن دفع للمتمردين أموالا طائلة[1].

لكن رواية عزيز سامح التر تختلف عن مبارك الميلي حيث روى أنه في اوائل صيف سنة 941هـ/1534م عندما كان السلطان سليمان القانوني يعبر الاناضول متجها لغزو ايران كان خير الدين يخرج من (جنة قلعة) ناشرا أشرعة سفنه باتجاه السواحل الايطالية ولما انتقل الروم الى قورون ومودون هاجم خير الدين باشا ريجة (rigo) وضبط في مينائها 6 سفن فأسرهم وهدم القلعة الموجودة بها ولما سمع الاهالي بقدومه خافوا وتركوا المدينة بعد إخلائها وفي اليوم التالي استولى على قلعة سانت اوسيدو وأسر منها ثمان مائة شخص ثم أحرقها وفي مساء ذلك اليوم وصل إلى قلعة جيترارو (gitraro) فهاجمها وأسر كافة من فيها وبعد احراقه لثمان عشر سفينة مسيحية أمام قلعتها تابع طريقه الى سواحل نابولي فاستولى على قلعتها وأسر من فيها كما هاجم قلاع اسبر لونجا فخربها ودمرها بعدما أسر منها عشرة الاف شخص رغب خير الدين باشا بشن هجوم مفاجئ على كونت دي فاندى (kontes de fundi gulya gonzoga) [*] زوجة (vespozya kolona)[2]، وبعد أن فرغ خير الدين باشا من تلك المناطق اتجه الى سردينيا فهاجمها ونهبها وبعد أن أثقلت سفنه بالغنائم والأسرى توجه الى الجزائر وبسبب رداءة الطقس توجه الى بنزرت وما ان شهد حاكم بنزرت[3] ضخامة اسطول خير الدين حتى أسرع الى السلطان الحفصي يخبره بذلك، و كان حاكم تونس هو مولاي حسن من بني حفص[*] ولم يكن هدا الاخير محبوبا من قبل الاهالي بسبب ظلمه وغدره وقد رغب الأهالي بالتخلص منه اسوة بقتله لأخوته ماعدا الرشيد الذي استطاع النجاة إلى الجزائر، وقد أرسل سكان تونس خبر الى الرشيد يدعونه للقدوم اليهم ويعدونه بالمساعدة لاستلام الحكم بدلا من أخيه وعندما سمع مولاي الحسن بذلك أرسل الهدايا الى السلطان سليمان مع أحد رجاله وزوده برسالة شكوى ضد خير الدين بك وأخبره رسوله أن شائعات تسربت من الديوان تفيد بان السلطان سليمان سيستدعي خير الدين والرشيد الى استانبول بأقرب وقت ولن يسمح لهما بالذهاب إلى تونس وحقيقة الامر فان السلطان سليمان كان ينوي فعلا إحضار خير الدين والرشيد الى استنبول وانه خصص لمولاي الرشيد مصروفا قدره بخمس مئة اقجة يوميا وان كافة احتياجاتي ولوازمي ستؤمن

---

[1]–مبالرك محمد بن الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج4، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص، ص75، 58

[*]–والتي تغنى شعراء ايطاليا بجمالها ومدحوها بقصائدهم وكان لها اخت جميلة تسمى (يوانة دي اراغون) وتلقب بوردة العشاق وكانت تقطن مدينة فوندي وهي مدينة فوندوم القديمة وقد تغنى بجمال هاتين الامرأتين الوف الشعراء الايطاليين، ولأثناء نزول القراصنة الى البر كان يلف المنطقة هدوء وسكون لا مثيل له فارتدت جوليا ثوب نومها الشفاف الفاتن وكان أحد الفرسان مفتونا بجمالها وبحجة انقادها من قبضة خير الدين وقراصنته وقد خطفها وفعلا تمكن من انقادها من ايدي رجال خير الدين باشا بصعوبة بالغة ولكنها أمرت بقتله تحت قصرها لانه ابدى شجاعة أكثر من اللازم ولانها شهدها وهي محرمة عليه وبسبب عدم تمكن القراصنة من القاء القبض عليها بداوا بهدم تحصينات المدينة بحدة وغضب واستمر نهب وسلب مدينة فوندي اربع ساعات ونتيجة لذلك علقت فيها لوحة على جدار الكنيسة تعبيرا عن احداث تلك الليلة المخيفة

[2]–عزيز سامح التر، **الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، ت محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ط1، 1989م، ص ص 110، 111.

[3]– محمد صالح بن مصطفى، محمد صالح بن مصطفى، العثمانيون في تونس 1505–1957، التاريخ.الاثار.السكان وسلوكاتهم، ط2، نقوش عربية 2021، ص 14

[*]– وكان مولاي الحسن يحب العشرة ومتعلقا بحب الغلمان وبحب أصدقاء ولده الوحيد ولهذا قد جمع الشبان الذين بسنه وتكفل بهم شريطة أن يظلوا الى جانب ولده وحسب الروايات فقد جمع في قصره أكثر من أربعمائة جميل

من بيت الطعام وقد تحرك الاسطول العثماني من بنزرت وما ان وصل مدينة تونس حتى خرج الاهالي لاستقباله فسمع مولاي الحسن بذلك وان اخاه الرشيد موجود في الاسطول وانه قادم لاستلام الحكم منه [1].

وقد تمكن خير الدين من الدخول الى حلق الوادي كما أشرنا من قبل ؛ وانزل قواته إلى البر ودخل تونس بخمسة ألاف سواري (خيال) وتمكنت قواه من الاستيلاء على القلعة وفي 16اب 1534؛ هرب مولاي الحسن كما القي القبض على بعض أنصاره ووضعوا في القلعة في حين قتل بعض الشيوخ ممن وضعوا ترتيبات للمقاومة[2]، لكن لما علم التونسيين أن الرشيد لن يأتي لحكم البلاد وانهم سوف يحكمهم العثمانيون، خاصة وانه كما سبق وأشرنا ان الحكم الحفصي دام حوالي ثلاثة قرون لذلك تخوفوا من العيش في ظل حكم جديد وفضلوا استمرار الحكم الحفصي[3]؛ فارسلوا بالسر الى السلطان مولاي الحسن حتى يلتجأ الى احدى القبائل متأهبين لمساعدته وذلك لاستلام الحكم ثانية ؛وفعلا تشجع مولاي الحسن وجمع قواته لمهاجمة تونس غير أنه هرب ثانية بعدما فقد حوالي 300جندي، وقد كتب خير الدين الى شيوخ القبائل يشجعهم على القاء القبض على مولاي الحسن الهارب ؛كما وجه رسائل الى بعض عساكره في الجزائر يأمرهم بالتفافهم مع القبائل بغية تحريضهم ضد مولاي حسن في حين انشغل هو بإدارة وتنظيم البلاد، أما مولاي الحسن فقد توجه الى القيروان حيث وجد هناك أنصارا له بمجموع 15.000ألف متطوع وما أن سمع خير الدين بدلك حتى أسرع بجمع 15الف جندي و30مدفعا ونقلها فورا الى الصحراء والتقى مع مولاي الحسن في الصحراء وما أن انطلقت المعركة حتى ولى مولاي الحسن فارا في حين قدم اليه شيوخ القبائل والاعيان موالين فروض الطاعة والولاء، أما مولاي الحسن فقد فر الى اسبانيا.[4]

2- مساعدة الاسبان لسلطان الحفصي:

أثر سقوط تونس استنجد مولاي الحسن بإسبانيا، اتحد الإمبراطور شارلكان[5] مع رهبنة القديس يوحنا [6]، وقاد حملة بحرية شاقة تكونت من 30 ألف مقاتل اسباني وهولندي وألماني ونابولي وصقلي على رأس 500 سفينة التي رست أمام تونس وهناك قامت معارك عنيفة بين الطرفين انتهت بإعادة السيطرة الاسبانية على تونس علم 1535 م[7]؛ فقد كان لاستيلاء خير الدين على تونس أصداء واسعة في العالم المسيحي خصوصا عند الامبراطور شارلكان الذي كان مدركا لخطورة استيلاء العثمانيون على تونس والتي تتمثل أهميتها فيما يلي:

1-اشراف تونس على المواصلات بين حوضي البحر المتوسط

---

(1) – لرقش دلندة، عبد الحميد الارقش، جمال بن طاهر، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، ص-ص 90-99

(2) – **المرجع نفسه**، ص، ص 111، 112.

(3) – **المرجع نفسه**، ص-ص 51-57

(4)– لرقش دلندة، عبد الحميد الارقش، **المرجع السابق**، ص –ص 60-65

(5)–شارلكان1500) :ملك اسبانيا من 1516-1556، هزم القوات الفرنسية وأعلن الحرب على البروتستانتية، في عهده اتسعت رقعة الإمبراطورية في أوروبا تخلى عن العرش في عام 1556، واعتزل في أحد الأديرة الاسبانية، ينظر :منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد، موسوعة تراجم لأشهر أعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د:ط، 1952م، ص255 .

(6)–محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981 م، ص23

(7)–علي محمد محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، مصر، 2001، ص 220.

2-قرب تونس من أقاليم الدولة الرومانية من الناحية الشرقية

3-تشجيع المورسكيين على مواصلة الهجرة والاستقرار بتونس الى جانب الجزائر والمغرب

كل هذه الاسباب وغيرها كانت كفيلة بتوجه جهود شارلكان الى تونس وارساله لحملة قوية لطرد العثمانيين واعادة الحكم الحفصي الموالي له وتتبين أهمية تلك الحملة بالنسبة للإمبراطور من اصراره على قيادتها بنفسه وقد عين كل من اندريا دوريا والدوق دالب كمساعدين له، كما ضمت هذه الحملة قوات ألمانية وايطالية اضافة لفرسان مالطة والقوات الاسبانية[1] حيث تحركت الحملة من برشلونة عام 1535م بجيش يتكون من 30ألف جندي و400 مركب ارست بقرطاج ثم افتكت ميناء حلق الوادي في 14 جويلية 1535م وزحفت نحو العاصمة ورغم صمود خير الدين واصراره على المواجهة الا أنه اضطر للانسحاب فرجع الى الجزائر ومنها الى الاستانة [2]، وبذلك دخلت القوات الاسبانية الى تونس حيث تقدم اليه السلطان مولاي الحسن مع عدد كبير من أنصاره منحنيا أمام قدميه، حاكما تونس باسم شارلكان وتحت حمايته متنازلا عن ميناء حلق الواد وبعض المدن ؛حيث انتشر الجنود الاسبان في العاصمة فعثوا فيها فسادا ونهبا وتدميرا وقد قتل ثلث سكان المدينة وأسر الاسبان الثلث الثاني وفر البقية نحو البوادي حسب بعض المصادر[3]، وقد فرض شاركان على الحسن الحفصي معاهدة [4] سنة 1535م مكنت الاسبان من التواجد بكامل أنحاء البلاد مع التنازل عن عنابة وبنزرت وحلق الوادي كما تحصل المسيحيون أيضا عن حق إقامة شعائرهم الدينية بكل حرية وتعهد الحسن الحفصي بدفع غرامة سنوية مجحفة حددت ب 12.000 دوكة [5]، فعادت تونس للحكم الحفصي للمرة الثانية وفشلت جهود المسلمين في استرجاعها[6] وقد أراد هذا الاخير الفتك بكل من ساعد خير الدين مما أدى الى استياء السكان والزعماء الدينيين بخاصة حيث وجد نفسه في عزلة سياسية اذ نقم عليه السكان فاضطر للاستنجاد بحلفائه للمحافظة على بعض المدن كسوسة وصفاقس والمنستيرسنة 1540م فحرص الأهالي على الانتقام منه فساندوا ابنه أحمد سلطان المعروف بمولاي حميدة فتمكن من هزيمة أبيه وأخذه أسيرا وسمل عينيه فأكمل حياته محتميا بالطريقة الشابية الا ان توفى بالقيروان دليلا ممقوتا [7]..

ومنه يمكننا القول أن العداء بادئ الامر كان مقتصرا على الجزائريين والاسبان والان أصبح بين السلطان سليمان

---

[1]-محمد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس مرجع سابق**، ص 15.

[2]-**المرجع نفسه**، ص15.

[3]-**المرجع نفسه**، ص 15.

[4] – وقد أبرمت معاهدة بين شارلكان وحسن الحفصي والتي نصت بنودها على:

1-إخلاء سبيل الأرقاء المسيحيين والإباحة لجميع المسيحيين بالاستيطان في إقليم تونس3 .

يتنازل حسن الحفصي عن حلق الوادي وبنزرت وعنابة وضريبة سنوية وغرامة حربية، والسماح للنصارى بالإقامة في تونس

2-إقامة شعائر دينهم بدون معارضة وأن يدفع له مبلغ 12 ألف دوكا مصاريف الحرب وأن يقدم له سنويا 12 حصان لمزيد من التفاصيل ينظر محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، و محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي العهد العثماني**، ج8 ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000 م، ص.515

[5]-دوكة هي عملة اسبانية، محمد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس مرجع سابق**، ص 15

[6]-عبد اللطيف الصباغ، **المرجع السابق**، ص7 7

[7]- محمد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس مرجع سابق**، ص 16




القانوني وشارلكان وبعد تنصيب الحسين الحفصي على كرسي الحكم من جديد ؛ أدرك الباب العالي أهمية الفضاء المغاربي في الرهانات المستقبلية بالبحر المتوسط والعمل على عثمنته والحيلولة دون الهيمنة الاسبانية على الحوض الغربي للمتوسط.

3- درغوث باشا ودوره في التمكين العثماني

تمكن الاسبان من الاستيلاء على عدة مناطق من تونس مما أثار سخط السكان من بني حفص مثل صفاقص ؛سوسة؛مناشيروقد ظهر في هذه الأثناء درغوث باشا[1] ليملأ الفراغ السياسي والعسكري مثل مافعل الاخوة بربروسا في الجزائر، وقد التصق اسم هذا الاخير بطرابلس الغرب حيث عمل على الجهاد وأسر المسيحيين وقام بعدة هجومات على السواحل المسيحية كما أنه وقع في الاسر وتخلص منه بفضل خير الدين لذلك فكر في القيام بعمل مثل ما عمل خير الدين في الجزائر ومن ثم فكر في البلدان الساحلية الواقعة في تونس حيث اعتبرها مناسبة لأنها ليست بيد النصارى ولا أمراء تونس وفي 1532م/939هـ حضر الرايس درغوت أمام المهدية وكان سكانها يبغضون أمرائها الخاضعين بإسبانيا لذلك دخل المدينة دون مقاومة وشكل بها امارة وثبت بها قواعد نشاطه البحري من عام 1532-1549م [2]، ومن ثم انطلق الى السواحل التونسية كما عرقل التقدم الاسباني وكذا الايطالي لذلك عمل شارل على استرجاع المهدية من درغوث بعد انتصار شارلكان على خير الدين 1534م ؛كان على مولاي الحسن أن يسلمه بونة والمهدية وبمأن المهدية كانت بحوزة درغوت فهو لم يتمكن منها الا باسترجاعها بنفسه وقد استعان باندرويا دوريا وبفرسان مالطة وهاجموا سوسة والمانشير ثم حاول السلطان سليمان وضع حد لفرسان القديس يوحنا على طرابلس خاصة بعد فقدان درغوت للمهدية وقرر العودة للجهاد البحري عندها التقى بسنان باشا وبعد اعجابه بقوته وشجاعته فكر بضمه الى خدمة الدولة العثمانية فقبل بدلك وتوجه للباب العالي.، قابل درغوت سليمان وأخبره بحقيقة الاطماع الاسبانية وبفضل هذه التقارير قرر اعداد عدة الى طرابلس الغرب غير أن تونس ظلت تشغل بال درغوت وهكذا بدأ التخطيط مع أمير الجزائر حسن باشا بن خير الدين لضرب قلعة حلق الوادي وفي هذه الآونة كانت القيروان تخضع للشابيين والمهدية للإسبان وجربة لشيخ سليمان وهو كذلك من اتباع الشابيين [3]، وقد رأى درغوت أن هذه التجزئة لصالحه وقد زحف فعليا الى جربة 1556م وترك قيادة القلعة للعلج علي وبجربة قام درغوت ببناء البرج الكبير للدفاع عن الجزيرة ومن خلال هادين الموقعين سهل عليه الانتقال الى صفاقص والى قفصة في 20ديسمبر 1556م واستقبله الاهالي استقبالا هائلا، انتقل بعدها الى المهدية فهي قاعدة للشابية مند عام 1522م وبفضل مكانتهم الدينية تمكنوا من دحر الحفصيين لعدة سنوات لهذا حاول حصار المهدية وهي سوسة وقفصة وصفاقص وفي النهاية تمكن من هزيمتهم ودخلها 1557م [4]، حيث رحب أهله بها ووطد نشاطه في جنوب تونس وتقوية

---

[1]-طرغوث باشا :يعتبر أحد القواد لخير الدين بربروس اقترن اسمه بذكر انتصارات الأسطول التركي في البحر الأبيض المتوسط، بدأ أعماله في الشمال الإفريقي بطرد الإسبان من سوسة والمنستير وصفاقس) أنظر :أبي عبد الله محمد بن خليل بن غلبون الطرابلسي، **التذكار فى من ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار**، تعليق :الطاهر أحمد الزاوي، ط 1، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2004، ص ص 158، 159.

[2]-محمد بن القاسم الرعيني القيرواني المعروف بأبي الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869، ص 175

[3] - بكر محمد إبراهيم، **موسوعة التاريخ الإسلامي**..، المرجع السابق، ص 210

[4] -طرد الطريقة الشابية من القيرووان في 3جانفي 1558م محمد مصطفى، **العثمانيون في تونس المرجع السابق**، ص 16




الحزام البري حول طرابلس وعلى السواحل التونسية وكذا السواحل الصقلية وخلال عهد درغوت تمكن العثمانون من محاصرة المصالح التجارية الاسبانية، وقد تسبب هذا في اصرار فليب على تصفية الخلافات مع أعداء اسبانيا القدماء خاصة فرنسا حتى يتحدوا لمواجهة الخطر العثماني ؛وعقدوا صلح (كاتوا–كامرسيس) الذي عقد 1559م وهذا أعطى أروبا فرصة للعمل الجماعي حيث تحالفت اسبانيا وفرنسا والبندقية اضافة للحكومات الايطالية الجنوبية ؛البابا؛فرسان مالطة؛ للهجوم على درغوت باشا ولذلك خطط لحملة ضد طرابلس وضغط على السلطان العثماني ورغم الضغوطات التي كان يعانيها كلف بيالي باشا لمساعدة درغوت ضد الاسطول الاسباني الذي توجه الى طرابلس 1560م ونظرا لردائة الطقس لم يتمكن من الهجوم مما ساعد على وصول الاسطول العثماني اضافة لخبرة علج علي ودرغوت دارت معركة شكلت رؤوس الضحايا ما أطلق عليه تاريخيا برج الرؤوس التي بقيت رمزا حتى الدخول الفرنسي.

ثالثا –استعادة العثمانيين لتونس سنة1574 م

بعد ابرام الإمبراطورية الاسبانية معاهدة كاتو كمبريس مع فرنسا سنة 1559م تفرغت من جديد للشأن المغاربي خاصة بعد أن هزم والي الجزائر علي باشا جيش السلطان أحمد بباجة ودخل تونس منتصرا سنة 1559م فأخد البعة للسلطان العثماني سليم الثاني وترك حامية تركية في القصبة تدير شؤون المدينة تحت امرة القائد رمضان وقفل راجعا للجزائر، غير ان اسبانيا تحالفت من جديد مع البابا ودول البندقية بقيادة "دون خوان النمساوي في معركة معركة ليبانتو في 7 أكتوبر 1571 م[1]، التي خسر فيها العثمانيون جزءًا من أسطولهم، فاسترجعت الإمبراطورية الاسبانية أنفاسها وعاودت الكرة على تونس اذ باغت "دون خوان" أخ الامبراطور الاسباني "فليب الثاني" الحامية التركية واستولى على تونس في 9أكتوبر 1573م ورغم أن السلطان أحمد الحفصي استنجد بالاسبان فان "دون خوان" نصب أخاه محمد سلطانا جديد باعتباره أكثر طواعية للاسبان وقد عمل الاسبان على تدعيم قوتهم ببناء "البستيون " وهي مدينة جديدة محصنة انطلقت عملية بنائها ابتداءا من يوم 11 نوفمبر 1573م بمشاركة 4000ايطالي و4000اسباني وكان شكلها سداسيا مطل على بحيرة تونس طوله 122متر، وقد عمل الجنود الاسبان على نهب المدينة وسلبها [2].

عزمت السلطات العثمانية بعدها على وضع حد للحضور الاسباني بتونس مغتنمة تركيز الإمبراطورية الاسبانية مجهوداتها في اروبا ؛ فكلف السلطان العثماني سليم الثاني القائد سنان باشا [3]، بقيادة الاسطول القادم من إسطنبول كما كلفت

---

[1] –تحالف خلالها الاسبان مع البابا ودولة البندقية مما نكنها من الانتصار على العثمانيين بقيادة "دون خوان النمساوي" في معركة لبانت البحرية قرب اليونان في 7أكتوبر 1571.

[2] – لمزيد من التفاصيل ينظر محمد مصطفى، **العثمانيون في تونس مرجع سابق**، ص 18، 19

[3] –حاول الإسبان في سنة 1560 م احتلال [3]جربة فاصطدموا مع الأسطول العثماني الذي تمكن من دحرهم ووقع الكونت سيكالا أسيرا فأسلم وحسن

قوات برية قدمت من طرابلس والجزائر وقد تمكنت القوات العثمانية بقيادة سنان باشا وعلج علي من افتكاك مدينة تونس من الاسبان يوم 17 جويلية 1574م وقد واجهت مقاومة كبيرة من الحامية الاسبانية في حلق الوادي ولم يتمكنوا من الدخول اليها الا يوم 23 اوت 1574م[1]، وفي هذا التاريخ تمكن العثمانيون من استعادة تونس نهائيًا، منهين الحكم الإسباني والحفصي معًا، لتصبح تونس إيالة عثمانية تابعة للباب العالي.

قاد علج علي حملة بلغ عدد سفنها 320 سفينة حربية وفي نفس الوقت كان حيدر باشا يتابع هجومه في تونس، ففي مارس 1574 م تخلى الإسبان عن بنزرت واستولى العثمانيون على قرطاجة وتقدموا نحو مدينة تونس، وأنزل سنان باشا قواته في منطقة قرطاجة في 12 جويلية 1574 م وفي 13 جويلية في نفس السنة بدأ الحصار على حلق الوادي ثم حصار البستيون في تونس، وبعد سقوط حلق الوادي جاء دور البستيون في28 أوت تمكن علج علي وسنان باشا من السيطرة التامة على القلعة وبذلك كان سقوط تونس[2] خسارة للاسبان في شمال إفريقيا نهائيا [3].

بعد استرجاع تونس للحكم العثماني عام 1574 م على يد علج علي وسنان باشا تأسست الايالة التونسية على غرار الطراز الجزائري مع باشا معين من طرف الباب العالي يساعده ديوان من الضباط الكبار للأوجاق بالإضافة إلى وجهاء تونس[4].

إسلامه وعرف باسم سنان باشا الذي أصبح له الدور في قيادة الأسطول العثمان جميل بيضون، شحادة الناظور، **تاريخ العرب الحديث**، دار الأمل، عمان، الأردن، ط1992 ، 1م، ص49

(1) – محمد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس مرجع سابق**، ص 19.

(2) تونس :يسميها اللاتنيون تونيوتوم، ويسميها العرب تونس، كانت تعرف في غابر الزمان ترسيس تبعد عن البحر المتوسط بنحو ميلين، ينظر :الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا، مصدر سابق**، ص 70.

(3)–نيقولاي ايفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516–1574**، تر: يوسف عطا الله، (د.ط)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988، ص ص 253، 254.

(4)–عثمان الكعاك، **العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ**، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972م، ص58

الدرس الثاني –الدخول العثماني إلى طرابلس الغرب

تمهيد

أولا –الاطماع الاسبانية بطرابلس الغرب

ثانيا–فرسان مالطة (رودس)وخطرهم على السواحل الافريقية

ثالثا–دخول الريس درغوث في خدمة السلطان العثماني

رابعا–التوجه العثماني لمدينة طرابلس

خامسا –التحالف المسيحي ضد القوة العثمانية بشمال افريقيا

تمهيد

لم تكن طرابلس الغرب مطمع للقوى الصليبية في العصور الحديثة فحسب؛انما كان ذلك مند العصور الوسطى حيث استولى عليها النورمان سنة 543هـ/1147م واستمر النورمانيين بها الى أن قام عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين بطردهم 555هـ/1160موبعد أن ضعفت الدولة الموحدية مند القرن 13م وذّب الصراع بين الدويلات الاسلامية بشمال افريقيا عادت القوى الصليبية للممارسة نشاطها.

أولا –الاطماع الاسبانية بطرابلس:

لقد كانت طرابلس احدى موانئ افريقيا الهامة حيث تعتبرمنطقة استراتجية خطيرة للحركة التجارية داخل افريقيا

لاستقبالها للقوافل الصحراويةالوافدة من السودان محملة بالتوابل وتجارة العبيد اضافة للاهمية التجارية بسبب قربها من مالطة وايطاليا ؛ كما تعتبر الطريق المفضل للقوافل الصحراوية الوافدة من السودان والمحملة بالتوابل وتجارة العبيد كما انها تعد خطا ساحليا دا اهمية لتأمين حرية التجارة والنقل في عرض البحر المتوسط مما جعلها تحتل مكانة حيوية[1]، غير أن الاوضاع السياسية بشمال افريقيا جعلت الحكم بها تارة يكون تحت الحكم الحفصي وتارة ينفصل عنها وهذا ما سمح للاسبان باحتلالها سنة 1509م حيث تمكنت القوات الاسبانية من الدخول لى طرابلس بعد مقتل أكثر من 6000 من سكانها وألقت بجثثهم في البحر وأحواض المساجد اضافة لإحراق بعضها حيث ألحقت ادارتها بصقلية التي كانت حينا داك تابعة للامبراطرية الرومانية المقدسة وكان ذلك في عام 1513م حيث قام هذا الاخير بجلب العائلات من صقلية للاستيطان في المدينة وذلك بمنحهم البيوت والأراضي الزراعية وإعفائهم من الضرائب وبعد ذلك خضعت ليبيا لفرسان القديس يوحنا سنة 1530م[2] حيث كان هؤلاء في البداية متمركزين في بادئ الامر بمدينة رودس حيث كانو يهددون التجارة الاسلامية تهديدا مباشرا إضافة لتهديدهم الطريق البحري للحجاج المسلمين[*].

ثانيا–فرسان مالطة وخطرهم على السواحل الافريقية:

لقد كان فرسان مالطة وهم فرسان القديس يوحنا متمركزين في بادئ الامر بجزيرة رودس وهم بشكلون خطرا على السواحل الافريقية والطرق التجارية الاسلامية كما سبق وأشرنا لهذا قرر السلطان محمد الفاتح فتح جزيرة رودس وقد ضرب عليها حصارا دام 3أشهر غير أنه لم يتنكن من فتحها ؛فحرص بعده السلطان سليم الاول على فتحها لكنه مات قبل اتمام مشروعه وبقدوم سليمان القانوني طلب هذا الاخير من قادته متابعة أحوال هذه الجزيرة واعطاء معلومات وافية عنها، فوجدوا أن هناك تعاونا قائما بين رودس وجزر البندقية لمحاربة المسلمين وأن معظم أعمال السلب والقرصنة تنطلق من جزيرة رودس ومن ثم فهذه الجزيرة هي مصدر الخطر الأساسي للطريق البحري بين الدولة العثمانية وموانئها في البحر المتوسط والبحر الاحمر وهكذا قرر السلطان سليمان فتح هذه الجزيرة؛ فجهزت حملة بقيادة القائد العثماني بيري باشا اضافة 200 ألف جندي تحت قيادة مصطفى باشا وفتحت الجزيرة 1522م وقد منح السلطان سليمان الفرسان "القديس يوحنا"حرية الانسحاب من الجزيرة كما منحهم الامان والحماية.

وهكذا غادر فرسان القديس يوحنا الجزيرة متوجهين الى جزيرة مالطة كقاعدة لهم ؛حيث تنازل لهم الملك شارل الخامس عن الجزيرة في مقابل مساعدته في حروبه ضد المسلمين الى جانب هجماتهم المستمرة ومزاولتهم للقرصنة البحرية ضد المراكب

---

[1]–أحمد سالم، **استراتجية الفتح العثماني**، مؤسسة شباب، الاسكندرية2012، ص، ص226، 227.

[2]–لمزيد من التفاصيل ينظر احمد اسماعيل راشد، احمد اسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية بيروت 2004

[*]– فرسان القديس يوحنا بدأت هذه الاخيرة كمنظمة خيرية دينية وكان لها في مدينة القدس مأوى قبل الحروب لصليبية لمساعدة المحتاجين خصوصا الحجاج المسيحيين الذين يزورون فلسطين وبنشوب الحروب الصليبية حولت هذه الهيئة الى مؤسسة عسكرية وعند انتصار صلاح الدين الايوبي على الصليبين طردهم من فلسطين فتنقلوا الى عكا وبعدها استقرو برودس وكانو يتربصون السفن الاسلامية في البحر ويسطون عليها خاصة سفن الحجسج هذا ماجعل السلطان سليمان يصر على مطاردتهم والقضاء عليهم بعد حصار دام ستة أشهر وقد يمح لهم بمغادرة الجزيرة فانتقل والى ايطاليا فعرض عليهم شا رل الخامس ان يقسمو بمالطا شرط الوقوف الى جانبه في كل حوبه ضد المسلمين.عمر محمد الباروني، **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس 1952، ص–ص 75–88.

الاسلامية المارة بالبحر المتوسط وازداد الامر سوءا بعد استلائهم على طرابلس ويعد القديس فنساري دي سنقوسا أول حاكم على طرابلس بعد أن حكمها الاسبان عشرين سنة[1] من وهكذا أدركت الدولة العثمانية خطورة الاوضاع في المغرب الاسلامي.

ثالثا –دخول الريس درغوت في خدمة السلطان العثماني:

يعتبر الرايس درغوث من الاسماء المشهورة في البحرية حيث لا يقل عن خير الدين بارباروس؛ فقد عمل على الهجوم ضد السواحل الأوربية كما فكر هذا الاخير في تأسيس امارة بحرية تكون قاعدة له مثل امارة بارباروس في الجزائر، لذلك ذخل المهدية في 1532م هذه الاخيرة التي كان سكانها يبغضون حكامها المحتمين بالنصارى وقام بتشكيل امارته وثبت قواعد نشاطه البحري 1532الى 1549م وقد بدأ بعدها بالاستيلاء على المدن الساحلية التونسية الواحدة تلوى الاخرى ؛هذا فضلا عن عرقلته للموانئ الاسبانية والايطالية هذا ما جعل شارل الخامس يجده أكثر خطورة من خير الدين وعمل على استرجاع المهدية منه.

وبعد ما تمكن شارل الخامس من استرجاع تونس من خير الدين 1543م كان على مولاي الحسن الذي حكم تونس نيابة عن الاسبان تسليم بونة والمهدية الى شارل الخامس، وبمأن المهدية كانت تحت حكم درغوث فمولاي الحسو لم يستطع الوفاء بعهده، لذلك عمل شارل الخامس على استردادها بنفسه حيث قام أندريا دوريا بحملة ساهم فيها فرسان مالطة من احتلال سوسة وبعدها المهدية وقد استفحل خطر المسيحيين لذلك عمل السلطان سليمان الى رد فعل سريع بتوجيه الاسطول العثماني لاسترجاع المهدية ووضع حد لفرسان القديس يوحنا.

حينها عاد درغوث الى المياه العثمانية بعدما فقد المهدية 1550م، وعند عودته تلاقى الاسطول العثماني الذي كان تحت قيادة سنان باشا حيث تبادلا الاسطولان التحية لذلك فكر سنان في ربط درغوث بخدمة الدولة العثمانية والاستفادة من قوته فقبل درغوث بذلك وتوجه الى اسطنبول مباشرة حيث قابل درغوث السلطان سليمان القانوني واحاط العثمانيين بطبيعة السياسة الاسبانية وأنه يخشى خطرهم على طرابلس الغرب والسلطان الحفصي وعلى ضوء هذه التقارير تقررت الحملة العثمانية على طرابلس الغرب وتقرر الاستفادة من خبرة الريس دارغوث بتلك السواحل.

رابعا –مد النفود العثماني الى طرابلس:

اتجه الاسطول العثماني النتجه الى طرابلس مكون من 120 سفينة شراعية عثمانية أسندت قيادتها لسنان باشا بمساندة الريس درغوث بسفنه الخاصة ؛وصالح باس حاكم رودس وبدأت المعركة بين الجيش العثماني والحماية المالطية في طرابلس عام 1551م حيث كانت الحماية معزولة تماما عن الاستنجاد الخارجي مما جعلها تطالب بالاستيسلام وقد سمح لها بالخروج

---

[1] – **المرجع نفسه**، ص-ص 75-88.

الى مالطة وصقلية وهكذا وقعت طرابلس في يد العثمانيين سنة 1551م[1]، ومند هذا التاريخ اصبحت طرابلس تحت نفود العثمانيين وبالتالي ازدادت حركة التبادل التجاري المتمثلة في التوابل والعبيد والذهب بين طرابلس وداخل افريقيا وقد عهد سنان باشا بادارة طرابلس الى مراد اغا[2] من 1551-1555م وقد كلف هذا الاخير بطرد الفرسان واتخد تاجوراء مركزا لشن الهجمات ضدهم وبعدها نقل مركزحكمه الى طرابلس الغرب واتخد قلعتها مقرا دائما له كما حول كنيسنها الى مسجد وانصرف لتنظيم امورها الادارية والعسكرية كما رمم القلعة واصلح أبراجها وقد نال شهرة كبيرة بسبب انتصاراته على المسيحيين لذلك وتخوفا من هجوم مفاجئ انشأحصون اضافية واهتم بالطرق واقام نقاط حراسة عليها وفتح الابار ولاحق اللصوص وقطاع الطرق في كل مكان وظل في امارته حتى وافته المنية سنة 1555م[3].

-غير ان طرابلس الغرب لم تلعب دورها السياسي والعسكري الا في عهد الريس درغوث الذي تولى ادارتها 1558م بفرمان سلطاني وكان هذا الاخير من اوائل المطالبين بتحرير طرابلس وكان السلطان سليمان قد وعده بتعيينه حاكما عليها لكن الصدر الاعظن رستم باشا وبسبب كرهه لدرغوث باشا صور لسلطان خطورة هذا الاخير على السلطة العثمانية لذلك عدل عن وعده وأصدر فرمان لسنان باشا بتعيين مراد أغا لذلك وبعد تعيين مراد اغا قرر الانفصال بسفنه على الاسطول العثماني غير ان سنان باشا شعر بظلمه لدرغوث لذلك طلب من السلطان بعد استعراضه لبطولات هذا الاخير أن يعوضه بإمارة قارلي ايلي مع هذا حلم درغوث في حكم طرابلس لم ينتهي وتحقق حلمه بعد خمس سنوات؛ حيث عمل هذا الاخير على مد النفود العثماني على كامل الامارة بواسطة عقد تحالفات محلية الى جانب اهتمامها بالمنطقة الداخلية وحارب بشدة الفوضى والاضطراب ولاحق القبائل البدوية الثائرة وامّن الطرق وقضى على اللصوصية وقطاع الطرق وعاشت الولاية في عهده امان منقطع النظير ؛ كما ركز على تقوية التحصينات الدفاعية بالبلاد وجلب المزيد من الانكشارية لمضاعفة قوة الحامية كما منع الجباة من الظلم حيث أقام لهم ثكنات خاصة بهم بالقرب من القلعة وحدد لهم اوقات تجولهم في الاسواق[4] ؛ كما حقق الامن وانصرف الى رسم أسوار المدينة وانشأ لبراجا ودار للبارود كما بنى مسجدا باسمه لازال حتى الساعة وفي عهد هذا الاخير استطاع العثمانيون ضرب المصالح التجارية الاسبانية بسبب زيادة الغارات على السواحل الأروبية.

خامسا -التحالف المسيحي ضد القوة العثمانية لشمال افريقيا:

كل العوامل السابقة الذكر حتمت على فليب الثاني ملك اسبانيا السعي لتصفية الخلافات السياسية مع فرنسا وتكتل جهودهم ضد الخطر العثماني في المنطقة حيث قاموا بصلح (كاتوا -كابرسيس) 1559م الذي أعطى اروبا أول فرصة للتخطيط لعمل جماعي منسق وقد تحالف الى جانبهم اسبانيا؛فرنسا؛البندقية؛ايطاليا؛فرسان مالطة للقيام بهجوم جماعي ضد الرايس دارغوث.

---

[1]-احمد اسماعييل راشد، **المرجع السابق**، وهناك من يقول 1556م.

[2]-كان هذا الاخير حاكما لمدينة تاجوراء.

[3]- محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **تاريخ المغرب الحديث، المغرب الاقصى ليبيا**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2000، ص168

[4] - محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع السابق**، ص168.

وقد أمر الملك فليب نائب صقيلية للقيام بحملة برئاسته ضد طرابلس وقد علمت الدولة العثمانية بذلك ؛ فتهيأت للصد هذه الحملة وقد كلفت بيالي باشا قائدا للاسطول العثماني ليتوجه نحو المياه الطرابلسية الى جانب اعطاء الاوامر لعدد من الحكام للالتحاق به وانقاد طرابلس ودارغوث باشا من الحملة، اما عن الاسطول الميسحي فقد توجه فعليا نحو طرابلس عام 1560م لكنه لم يقم بأي نشاطات معادية لرداءة الطقس وقد اضطر بعدها لتوجه الى جربة وقد استولى عليها بسهولة وعند وصول الاسطول العثماني توجه مباشرة الى جربة[*] حيث خسرت الأساطيل الاروبية المعركة وشكلت رؤوس الضحايا ما أطلق عليها "برج الرؤوس"[1]، وبهذا الانتصار انضمت جميع الأراضي الطرابلسية الى الجنوب والساحل التونسي تحت لواء درغوث باشا وقد انصرف هذا الاخير الى الاهتمام بأمور ولايته فنظم الادارة تنظيما جيدا وعين القضاة وقد حظي بمكانة كبسرة لما حققه من انجازات الى أن قتل ودفن بمسجده [2].

[*]–قام الملك الاسبتاني فرديناند بشن حملة على الشمال الافريقي الى طرايلس وكانت الحملة مؤلفة من 30لواء منهم المشاة و28 سفينة كبيرة و14 صغيرة وقد توقف الاسطول النتجه الى طرابيس في (بالو)الواقعة امام (زوارة)وقد عرف الريس درغوث بخبر تالحملة فقام بتجهيز ما لديه من قوات وتحرك برا لى جربة وأقام بها التحصينات في حين توجه قلج علي الى اسطنبول طلبا للمساعدة وتمت فعلا المياعدة حيث تمكن الربيس من الانتصار وأحرز على لقب القائد الذي لا يقهر محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع نفسه**، ص170–172.

[1]– وقد أجبرت فرنسا باي تونس بعد احتلالها للجزائر اثر معاهدة سرية أحد بنودها تدمير برج الرؤوس عام 1832م

[2] – محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع السابق**، ص، ص170، 172

المحاضرة 5: تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى

في فترة السعديين والعلويين

المقدمة:

- خضع المغرب للحكم الإسلامي وعرف خلال الحكم المرابطي والموحدي (1147م-1235م) امتداد حتى الاندلس التي خضعت لسلطانهم، وكان لدولتي المرابطين والموحديين دور كبير في تطوير البلاد خاصة في المجال العلمي فقد أسسوا الجامعات والمراكز العلمية والمدارس كما قاموا بنقل عدد من علماء الاندلس الى جامعتي فاس ومراكش، بعدها تأسست دولة المرنيين(1235م-1428م)وقد تمكنت هذه الاخيرة من توحيد المغرب وأكسبته خصوصية اجتماعية مشتركة ومتفاعلة بين أقاليمه واستقرار اجتماعي وبعدها قامت دولة بني وطاس في المغرب (1428م-1549م)[1].

حيث تميزت اوضاع المغرب بداية القرن 16م في مايلي:

1- ضعف الحكم الوطاسي: اتسمت فترة حكم الوطاسيين بالتدهور والانقسام، إذ لم يتمكنوا من بسط نفوذهم على كامل البلاد، واقتصر حكمهم على المناطق الشمالية .ظهرت كيانات شبه مستقلة مثل تطوان تحت حكم بني المنظري، وشفشاون تحت بني راشد وكلاهما من أصول أندلسية [2]، مما تسبب في عجزهم عن التصدي بفعالية للاحتلال البرتغالي لعدة موانئ مثل سبتة، طنجة، أصيلة، والعرائش [3] مما زاد من معاناة السكان، وأضعف ثقة القبائل في السلطة

---

[1] - لمزيد من التفاصيل ينظر أحمد اسماعيل راشد، **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي المرجع السابق**

[2] ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ؛ ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000،، ص112

[3] -عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ط2، الرباط، المملكة المغربية، 2006، ص27

المركزية .أمام هذا التدهور برز دور الزوايا الصوفية التي عملت على تعبئة السكان للدفاع عن البلاد، وتأسيس الرباطات، وإحياء روح الجهاد [1].

2- التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت المغرب:

أدى الموقع الجغرافي للمغرب على الواجهة الأطلسية إلى احتكاكه المباشر مع القوى الأوروبية، خاصة البرتغال التي بدأت باحتلال مليلية سنة1496 م، ثم سبتة سنة1514 م، تلتها عدة مدن ساحلية وكانت هذه الهجمات ذات طابع صليبي واستعماري، واستهدفت السيطرة على التجارة البحرية والمراكز الإستراتيجية.

حيث قام البرتغاليين بتحريك حملة على المغرب الاقصى يتزعمها الامير هنري الملاح واستطاعت تلك الحملة أن تحتل ميناء سبتة المغربي وكان ذلك بداية لسلسة من الاعمال العدوانية ثم واصلت البرتغال حملاتها على الشمال الافريقي حتى تمكنت من الاستيلاء على أصيل والعرائش ثم طنجة وكذلك ميناء "أسفي"؛ "أغادير" وأما عن توجه البرتغال الى المحيط الاطلسي ومحاولتهم الالتفاف حول العالم الاسلامي بدافع الروح الصليبية[2].

3- أوضاع منطقة سوس:

تعرضت منطقة سوس لاحتلال برتغالي مباشر، ما أدى إلى تدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية .فالتف السكان حول الزوايا الصوفية وشيوخ الدين الذين رأوا ضرورة توحيد الصفوف تحت راية الجهاد .ومن هذا السياق برزت الأسرة السعدية بقيادة محمد بن عبد الرحمان السعدي المعروف بلقب القائم بأمر الله سنة1509 م، الذي أسس لبداية الدولة السعدية في الجنوب المغربي، وجعل من الجهاد ضد البرتغال مشروعًا وطنيًا جامعًا، وكانت منطقة سوس من أهم موانئ السواحل الجنوبية بالمغرب الأقصى فتوجه البرتغاليين نحوها للاستيلاء على ميناء اسفي بمراكش وازمور ثم حصن الجديدة وسموه غونتي على ساحل السوس وكانت خاضعة لسلطان قبيلة هناتة الضعيفة، مما تسبب في خوف سكان بلاد السوس من بطش واعتداءات البرتغال وقد دفعهم هذا الوضع إلى تطوير حركة الجهاد البحري التي مثّلت ردًّا شعبيًا منظمًا لمواجهة التوسع البرتغالي أجمعوا على تسليم قيادة الجهاد الى تلميذ الشيخ الجزولي "الشادلي"وهو عبد الله بن المبارك الذي يعد من كبار شيوخ المنطقة[3]، والذي نصحهم بان يمنحوها الى محمد بن عبد الرحمان السعدي المعروف بلقب "امغار"[*] فنصبوه اميرا عليهم ولقب بعد مبايعته بالقائم بأمر الله سنة 1509م وظهرت بذلك الاسرة السعدية في جنوب المغرب[4]، وتجندت القبائل بعد التعبئة الجزولية لخوض الجهاد بقيادة الاشراف السعديين في وقت تشتتت فيع السلطة وتعددت مراكز القرار

---

[1] -ابراهيم حركات، **مرجع سابق**، ص120.

[2]-وهيبة بوالصباع، **العلاقات التجارية بين مدينتي الجزائر ومدينتي تونس وسلاكمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (17-18م)**، ماجستير في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية حول المغرب الكبير خلال العهد العثماني، قسم التاريخ جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 2014، ص45.

[3] -حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص 170.

[*] - امغار في لغة الربر تعني القنديل أو النور وبالتالي اامغار هو صاحي النور.

[4] - **المرجع نفسه**، ص 107

.[1]

ومنه يمكننا القول أن شهد المغرب الأقصى أوائل القرن 16 م، احتلال البرتغال للعديد من المناطق[2]، نظرا للضعف الذي آل إليه الوطاسيون في عدم قدرتهم على رد العدوان[3]، الأمر الذي فتح الم وقد شهد المغرب الأقصى في أواخر العهد الوطاسي مرحلة من الاضطراب السياسي والتفكك الداخلي، تزامنًا مع التغلغل الأجنبي في موانئه الساحلية. وفي هذا السياق التاريخي ظهرت **الدولة السعدية** كقوة إصلاحية جهادية ذات مشروعية دينية، استطاعت أن توحد البلاد وتؤسس سلطة مركزية قوية، وأن تضع حداً للنفوذ الأجنبي والوطاسي معاً، لكن وجب قبلا التعريف الظروف السياسية والاجتماعية التي مهدت لظهور الدولة السعدية والتحديات الداخلية والخارجية التي واجهت المغرب عبر العصور.لفهم تطور الدولة المغربية وعوامل استقرارها وعوامل ضعفها.

المحور الأول: الدولة السعدية (1510م-1659م)

1-أصول السعديين ونسبهم الشريف:

يرجع نسب أسرة الأشراف السعديين إلى الإمام الحسين، وأسسها محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، ولقب هذا الأمير السعدي بلقب " القائم بأمر الله " [4].

وقد اختلفت الروايات في أصل السعديين، غير أن أغلب المؤرخين

– مثل **النشّناشي** في *مناصل الصفاقي* حيث يذكر النشنالي صاحب كتاب مناصل الصفاقي في تاريخ الائمة السعديين الشرفا و**السلاوي** في *الا ستقصاء* –أجمعوا على أن نسبهم **شريف حسني** يعود إلى **محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن** –"[5].

وروايات أخرى نسبتهم إلى **بني سعد بن بكر بن هوازن**، قبيلة **حليمة السعدية** مرضعة النبي ﷺ [6]

---

[1]–قرقش ليندة، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، ص 17

[2]–مرمول كربخال، **إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي، (د.ط)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984، ص 450.

[3]–شهدت الدولة المرينية في أوواخر عهدها انقسامات داخل الأسرة الحاكمة، ممّا فتح المجال أمام الوزارة للسيطرة على مقاليد الحكم، وخاصة اليهود منهم الأمر الذي أثار أهل المغرب، فقاموا بمبايعة الشريف أبي عبد الله محمد بني علي الإدريسي الذي حكم ست سنوات، ثم عزل من طرف الوطاسيين الذين خلفوا الدولة المرينية في حكم المغرب الأقصى، للمزيد ينظر:أبو القاسم محمد بن أحمد الزياني، **المصدر السابق**، ص 68؛ عبد الفتاح مقلد، الغنيمي، **موسوعة المغرب**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص-ص 14-30.

[4]–أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة، الدار البيضاء، الرباط،، 2001، ص 5-11.

[5]–حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، مجلد 2/ج3؛العصر الحديث للنشر والتوزيع؛بيروت؛لبنان، 1992، ص101

[6]–لمزيد من التفاصيل ينظر أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج6، تح:إحسان عناس، دار بيروت، لبنان، 1988

وهناك من رأى أن تسميتهم بـ"السعديين" جاءت **تيمناً بالسعد والبركة**[1]، وقد أقر السلاوي في كتابه الاستقصاء في السعديين أن السعديين هم **أبناء عم العلويين الأشراف**، يجتمعون معهم في نسب واحد. فيقول " هم بنو عم السادة العلويين الاشراف سجلماسة يجتمعون معهم في محمد بن القاسم المذكور في النسب وأول من نزع منهم المغرب زيدان بن أحمد بن محمد بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر ين علي ين الحسن بن أحمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد النفس الزكية[2]، وفي هذا الصدد يذكر السلاوي في كتابه الاستقصاء بأن" **السعديين اشتهروا عند الخاصة والعامة به، فصار كالعلم الصرف المرتجل...**" بالرغم من أن السلاطين السعديين يحبذون أن يطلق عليهم اسم "آل البيت".

2- تأسيس الدولة السعدية وصعود محمد الشريف:

1.2 عوامل تأسيس الدولة السعدية:

تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت في إنشاء الدولة السعدية ومن أهمها:

-الانتساب إلى آل البيت، مما منحهم صورة هامة لأبناء المغرب، وأكسبهم مكانة بين غالبية الناس، من خلال تحقيق بعض الامتيازات ضد خصومهم عن طريق الحصول على بيعة الأشراف [3].

-رغبة الأشراف السعديين في تكوين دولة لهم، فأشاعوا بين الناس بعض التنبؤات بالبعد الغيبي، وجعلها متداولة، مثلما أشيع بأن أبناء محمد بن عبد الرحمان سيكون لهم شأن عظيم[4].

-لم تكن الدولة الوطاسية التي أعقبت بنو مرين في حكم المغرب الأقصى بالدولة القوية، فكان احتلال البرتغال للسواحل الغربية والجنوبية الغربية وانشغال الوطاسيين عنهم، فضلا عن تذمر الناس من سياسة الوطاسيين خصوصا في الجنوب، ساعدت في وصول الاشراف السعديين للحكم[5]، حيث استقر الأشراف السعديون في **إقليم سوس** منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، مستمدين نفوذهم من **الطرق الصوفية**، خاصة أتباع الطريقة الجازولية

ويشار إلى أن أول من دخل إلى المغرب الأقصى من هذه الأسرة الشريفة هو " أحمد بن محمد "سنة 630هـ/1332 م، وسبب ذلك أن أهل مدينة "درعة "كانت ارضهم قليلة الخصوبة، فأشار عليهم النّاس بجلب أحد الأشراف العلويين من أرض الحجاز إلى بلادهم كما فعل أهل سجلماسة، فإن ذلك سيجلب البركة إلى البلاد، ولهذا قام

---

(1)-ابراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص242

(2)-حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص 102.

(3)-أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح: عبد الكريم العبيلالي، دار الشر المعرفة، الرباط، 1991، ص 80، 81.

(4)-أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح:محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 165.

(5)-شوقي الجمل، **المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي إلى الوقت الحاضر**، ط2، المكتب المصري، القاهرة، 2003، ص 165 ؛ أبو خالد الناصري، المصدر السابق، ص 16.

أهل درعة بدعوته خلال قيامهم بأداء فريضة الحج إلى الاستقرار بالمغرب. [1]

وفي أرض الحجاز التقى أهل درعة مع أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب، وطلبوا منه الرحيل معهم إلى المغرب[2].

2.2- قيام الدولة السعدية:

1.2 صراع أحمد الاعرج ومحمد الشيخ "المهدي" حول الحكم

كان السعديون يقيمون في جنوب المغرب منذ القرن 13م ومع زيادة الفوضى والاضطراب أخذ نفوذهم في الازدياد حتى طالب أهل واد سوس محمد القائم بأمر الله تولى القيادة وحركة الجهاد سنة 1509م[3] وقد استمرت الدولة في نموها مع محاولة توحيد المغرب وتحرير موانئه من المحتلين الأجانب حتى وفاته 1517م فانتقل حكم إقليم سوس من بعده إلى ولديه محمد الشيخ وأحمد الاعرج وقد واصلا الجهاد ضد البرتغاليين المتمركزان على التوالي في حاحة وفي تارودنت، حيث تمكنوا من افتكاك مراكش من يد الشيخ الهنائي المستقل بها سنة 1524م؛ والسيطرة على السهول حتى وادي أم الربيع شمال الاطلس لافتكاك أغادير من البرتغاليين سنة 1511م وارجاع الامن بدرعة، كما تمكنوا من تحرير اسفي وازمور بين عامي 1539م-1541م[4]، وقد ركز الاخوان أحمد الاعرج ومحمد الشيخ على مد النفود السياسي للأشراف السعديين فشرعا في وضع أسس السلطة الجديدة حيث عينوا العمال على مختلف المناطق وكونا من العرب مخزنهم وثم اقرار الضرائب وسحبت على كل المجموعات بما في ذلك قبائل السوس التي أوصلتهم الى السلطة[5]

أ- انتقال الأمر إلى ولي العهد أحمد الأعرج وصراعه مع الشيخ المهدي:

لقد كان أول امر قام به أحمد الاعرج بعد توليه أمر الجهاد بان قام بتعبئة الجيش لجهاد النصارى، حيث كان أحد زعماء المنطقة واسمه يحي بن تاعفوفت قد تنصر وأصبح حليفا للبرتغال، فعمل الاعرج على التفريق بينهما فقتل بأسفي عاملهم لوبيز ثم حليفهم تاعفوفت لينسحب ا بذلك لبرتغاليين من اسفي نهائيا سنة 1526م.

قام بعدها الاعرج بالتوجه نحو مراكش خاصة بعد ما لقيه من دعم من قبل أمراء هناتته منهم ناصر بو شنتوف أمير هناتة بمراكش ؛وقد رغبوا في تسليم أمر مراكش الى الاعرج وازاحة بوشنتوف عن الامارة لما علموه عن قدرة الاعرج على محاربة الصليبيين، وهنا قام الاعرج بتسميم طعام أمير مراكش خلال خروجهم الى رحلة الصيد واستولى على عرش مراكش، وأسس فيها الدولة السعدية بعد أن نقل رفات الشيخ الجازولي من أفوغال على رفات والده الى مراكش وذلك لضمان الولاء الروحي لاتباع الطريقة ولقب أحمد الاعرج في هذه الفترة بأمير المؤمنين.

وبقيام الدولة السعدية بمراكش زاد خطرها على بني وطاس رغم أنه قيل أن أحمد الاعرج قد أعلن الولاء لهم بادئ الامر؛ الا أن تحركاته وأخوه محمد الشيخ أدخلت الشك والريبة في نفس الحكام الوطاسيين وبالأخص في نفس محمد البرتغالي

---

[1]-شوقي الجمل، **لمرجع نفسه**، ص 5-11.

[2]-محمد الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تح: رشيد الزاوية، الدار البيضاء، الرباط، 2007، ص 107

[3]-لرقش الدلندة، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر مرجع سابق**، ص 17

[4]- لرقش دلندة و اخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر مرجع سابق**، ص17

[5] - **المرجع نفسه**، ص 19

الوطاسي؛ والذي جرح في مراكش سنة 1524م، فاضطر للانسحاب والعودة الى فاس ومات بها سنة 1525م ليقوم بعدها ابنه ابو العباس أحمد بن محمد البرتغالي بمنازلة السعديين فسار نحوهم بجيش جرار من الوطاسيين والزناتيين وحلفائهم من العرب ووقع اللقاء عند نهر وادي ام الربيع لينهزم الوطاسين سنة 1536م، حيث أصبح سلطان الوطاسيين يقتصر على مدينة فاس فقط [1]، وبعد الانتصار الذي حققه أحمد الاعرج وأهل مراكش في غيبة محمد الشيخ الذي لقبه أهل سوس بالمهدي حيث استاء الاعرج من تصرف اخيه محمد الشيخ واهل سوس فقام هذا الاخير أنفة لشخصه وانتصار لأبيه الذي كان له الفضل في قيام الدولة السعدية، ولم يجد وسيلة يثير بها الاعرج غير ولاية العهد ومع رفض هذا الاخير خروج ولاية العهد من أبنائه، ما كان على محمد الشيخ الا الأخذ برأي أهل سوس والعزم على خوض المعركة ضد أحمد الاعرج وما يليه من هناتة، وقد وقعت معركة فاصلة بين الاخوين في منطقة تعرف بالكارة 1538م، انتصر فيها محمد الشيخ المهدي وأسر فيها أخاه الذي حبس وذريته في سجلماسة، و قد فشلت كل محاولاته في استعادة عرش الدولة حتى قيل انه تحالف مع ابي حسون الوطاسي ضد أخيه بعد فراره ليأسر مرة أخرى ويبقى حبيس سجلماسة الى أن يقتل على يد عبد الله بن محمد الشيخ في نفس السنة التي قتل فيها أخوه محمد الشيخ المهدي[2].

2.2–انفراد الشيخ المهدي بالإمارة السعدية وانهاء الحكم الوطاسي بفاس:

بعد انفراده بحكم مراكش وبلاد سوس وانتصاره على أخيه أحمد الأعرج ؛قام بالاستيلاء على أغادير سنة 1542م التي كانت تحت حكم البرتغاليين وقد كان لهذا الانتصار صداه في المغرب والبرتغال، وبفضل هذه الانتصارات عرض الوطاسيين على محمد الشيخ تولي أمر مراكش باسمهم وهم يحكمون فاس ؛ لكن هذا الأخير رفض عرضهم ودخل في نزاع مع أخيه أحمد الأعرج والوطاسيين، في نفس الوقت تمكن في نهايتها من الدخول إلى فاس عام 1549م معلنا نفسه سلطانا على كامل البلاد باسم محمد المهدي وقد عزز هذا الاخير مكانته لدى الشعب بإحراز انتصارات عديدة على البرتغاليين أدت إلى حصر تواجدهم في طنجة ؛سبتة؛مليلة وبالتالي يعتبر المهدي هو المؤسس الاول والحقيقي للدولة السعدية وقد قام هذا الاخير من 1549م و1550م بمحاولة تحرير الموانئ الشمالية من البرتغاليين، وتمكن من استرداد اصيلة والقصر الصغير؛ وبعد تأمينه للجنوب واستقرار الاوضاع بمراكش توجه الى فاس وتمكن من دخولها وقام بأسر الوطاسيين الذين فر منهم – ابو الحسن – الذي استنجد بالعثمانيين فيما بعد ثم قام بغزو تلمسان بعد وقوعها في يد العثمانيين الذين قضوا على حكم الزياني بها؛ ودلك سنة 1551م فبعد أن استقر له الوضع في المغرب الأقصى رأى أن الوجود العثماني بالجزائر وتلمسان تحديدا يعد تهديدا لسلطانه على المغرب فأرسل جيشه الى تلمسان والتي حاصرها لمدة 9 أشهر ليتم الاستيلاء عليها، وقبلها تم الاستيلاء على مستغانم، فأرسل العثمانيون قوة بقيادة **حسن كورسو** الذي سرعان ما هزم السعديين لينسحبوا من تلمسان ويرجع محمد المهدي من نقطة الهجوم الى نقطة الدفاع خوفا من هجوم عثماني محتمل، كما أن الوطاسيين لم يستسلمواحيث توجه ابو الحسن والذي قضى محمد المهدي على حكمه في مراكش الى الدول الاجنبية طالبا

---

[1] – ابراهيم حركات، **مرجع سابق**، ص ص 245، 246

[2] – عبد الكريم الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج3، شركة ناس الطابعة ط1، القاهرة، سن2006، ص ص.303، 304.

معونتها وبدأ بالبرتغال ؛ثم ذهب الى شارلكان؛ واستقربه الحال في الاستانة حيث طلب من الدولة العثمانية مساعدته وصدرت أوامر الى صالح رايس بك بأن يعمل على اعادة أبي الحسون الى ملكه ؛حيث وصل صالح رايس مع قواته الى فاس واعادة ابي الحسون الى ملكه في 8 جانفي 1554م وكان دخول العثمانيون إلى فاس بفضل انضمام أنصار ابي حسون من أهالي فاس وكذلك بسبب انسحاب 600 جندي تركي كانوا في جيش محمد الشيخ من المعركة، فانسحب هذا الاخير من فاس واتجه جنوبا وقام بتجنيد القبائل والاعداد لمعركة ثانية ضد العثمانيين لاستعادة فاس وهذا ما كان ؛فبعد ان استقر الاتراك وحليفهم بفاس وبدأوا بتنظيم أمورها حيث أصبحت تابعة للدولة العثمانية، بعد قبول ابي حسون الدخول في طاعة السلطان سليمان القانوني والدعاء له من على المنابر وضرب العملة باسمه، بل ان الامر ذهب الى أبعد من ذلك بعد أن اطمأن الاتراك لوجودهم بفاس قاموا بخلع ابي حسون وأعلنوا البيعة للسلطان العثماني، وهذا ما رفضه أهل فاس الذين انتصروا لابي حسون وطرد الاتراك، وبخروج الاتراك اصبح ابي حسون في موقف ضعف فخرج اليه الشيخ المهدي والتقى الطرفان في معركة وكانت الغلبة للمهدي ودخل فاس مرتا اخرى منتصرا في 23 سبتمبر 1554م وقام بقتل كل من رفض بيعته من العلماء منهم الزقاف والونشريسي وعلي حزروز فقيه مكناسة [1]، ليتبقى له توحيد البلاد واخضاع المناطق المتبقية وتحرير الثغور من أيدي الصليبين فحرر مدينة أصيلا والقصر الصغير ولم يبقى في يد البرتغاليين الا طنجة وسبتة ومزغان وفي عهده عرفت الدولة السعدية سلطة قوية في الداخل والخارج، وسعت الدول الكبرى لتحالف معها مثل الهدنة التي عقدت مع البرتغال في 1555م، كما حاول العثمانيين استمالة محمد الشيخ المهدي والتحالف معه سنة1557م، والتوعد بتقديم مساعدات لمحاربة الصليبيين شريطة الاعتراف بالتبعية للخلافة العثمانية وهذا ما رفضه الشيخ المهدي؛ وثارت ثائرته على الوفد العثماني ورد عليهم" قل لسلطان الحواتة وفي موضع اخر لسلطان القوارب لا اجيبه حتى اكون بمصر ان شاء الله..." وهذا ما اعتبره العثمانيون وخاصة حاشية السلطان اهانة لهم فدبروا مكيدة قتله وتم تنفيذها من قبل جنود اتراك حيث اختلطوا بالحاشية الخاصة بالسلطان السعدي محمد الشيخ ليغتال في منطقة اكلكال قرب تارودانت وقطع رأسه سنة 1557م[2]، وأرسل الى الاستانة اين علق على أحد أبوابها وبقي معلقا الى أن أزيل بطلب من زوجته عهد مراد الثاني بإسطنبول[3].

ومما سبق يمكن تقسيم مراحل الدولة السعدية الى ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى (1511–1525م):

تميزت هذه المرحلة بدهاء السعديين السياسي، إذ حافظوا في بدايتهم على ولائهم الشكلي للوطاسيين، إلى أن تمكنوا من توطيد نفوذهم في الجنوب المغربي، ووضع أسس دولتهم الناشئة.

---

(1) –عبد الكريم كريم، **عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، جمعية المؤرخين المغاربة، ط3، 1727هـ/2006**، ص81.

(2) –ان أغلب المصادر تشير الى أن مقتل محمد المهدي الشيخ تم في 1557م كتن بايعاز من السلطان العثماني الذي خطط لها عن طريق جماعة من الترك استخدمهم المهدي في جيشه الذي خرج به لتمهيد الاطلس بعد الانتفاظة التي عمت كامل المنطقة لرقش دلندة و اخرون، **المرجع السايق**، ص 20.

(3) –عبد الفتاح مقلد الغتيمي، **المرجع السابق**، ص 138.

كما استطاعوا استرجاع الطرق التجارية الشرقية، مما وفر لهم موارد مالية ودعماً سياسياً مكنهم من التوسع لاحقاً.[1].

المرحلة الثانية: **المرحلة الثانية (1525–1536م):**

في هذه الفترة بدأ الصدام المباشر بين السعديين والوطاسيين الذين حاولوا القضاء على الدولة الجديدة بعد دخول السعديين **مراكش سنة 1521م** واتخاذها عاصمة لهم.

المرحلة الثالثة (1538–1549م):

شهدت هذه المرحلة فشل محاولات الوطاسيين في استرجاع مراكش سنة **1538م**، وتراجعهم نحو تادلة وتافيلالت. وخلالها تمكن **محمد الشيخ السعدي** من تنحية أخيه أحمد الأعرج وتوسيع نفوذه شمالاً إلى أن ضم **مكناس وفاس سنة 1549م**، موحدًا البلاد تحت سلطته.[2]

3-الصراع السعدي حول العرش وتدخل القوى الأجنبية:

بعد وفاة **محمد الشيخ المهدي** سنة **1557م**، تفاقم الصراع بين أبنائه حول العرش، ولجأ بعضهم إلى القوى الأجنبية طلباً للدعم بالقوى المعادية ضد بعضهم البعض فقد تحالف الغالب بن المهدي مع الاسبان في سبيل توطيد عرشه واقصاء أخويه أحمد وعبد الملك اللذان ن لجئا بدورهما الى العثمانيين في الجزائر، حيث حكم عبد الله الغالب من سنة 1557م-1574م وقد ورث الحكم من بعده ابنه المتوكل مما تسبب في عدة نزاعات داخلية حول السلطة فانتهز عمه عبد الملك ذلك بمساعدة العثمانيين وقد تمكن من طرد المتوكل في 1576م ولكي يقضي عبد الملك على أطماع العثمانيين في التوغل في المغرب ؛أبرم تحالفا جديدا مع الاسبان ضد العثمانيين والبرتغاليين.

1.3- **الحكم في عهد عبد الله الغالب (1557–1574م)**: تولى الحكم بعد مقتل أبيه محمد الشيخ المهدي بالشدة والفتك حيث قام بقتل جميع الأتراك الموجودين بالدولة السعدية انتقاما لأبيه، كما قام بقتل الكثير من أبناء البيت السعدي وذلك بغيت ضمان العرش له ولدريته من بعده، فكان أول الضحايا عمه أحمد الاعرج وأبنائه وأحفاده بسجلماسة، ثم حاول اخضاع أقرب الناس اليه أخوته وانتزاع الاعتراف بولاية العهد لابنه محمد المتوكل، وهذا ما رفضه اخوته الذين فرو خوفا من سطوته وهم عبد الملك وأحمد وعبد المؤمن الى تلمسان ثم الى الجزائر، وطلبوا مساعدة الاتراك بتمكينهم من حقهم في ولاية العهد والتي لم تتم إلا بعد وفاة أخوهم لاحقا في عهد ابنه المتوكل. وقد كان الغالب يخشى على ملكه من أي تهديد تركي والذي ازداد بعد فرار إخوته ولجوئهم إلى العثمانيين فتحالف مع الأسبان والبرتغاليين لصد أي توسع عثماني اتجاه المغرب، كما اتفق معهم أن يمدوه بالسفن لغزو مدينة الجزائر وتدميرها وتقديمها للإسبان الا أن خطته فشلت، وقد رد عليه الاتراك في الجزائر بقيادة البيلرباي حسن بن خير الدين سنة 1562م بالتوجه نحو ميناء باديس ونزلوا فيه وتوغلوا

---

[1] -محمد القبلي، **تاريخ المغرب**، منشورات المقصد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1؛ رباط، 2011، ص320

[2] -ابراهيم حركات، **مرجع سابق**، ص266

داخل الاراضي المغربية حتى وصلوا الى حدود فاس غير أنهم انهزموا في معركة واد اللبن ومنها ارتدوا الى تلمسان [1]، بعد هذه المعركة قام عبد الله الغالب بمنح ميناء حجر بادس الى الاسبان ليقطع الطريق أمام الاساطيل العثمانية، ولم يطرأ تغيير في العلاقات العثمانية الا بعد وفاة الملك سليم الاول وتولي الخلافة السلطان مراد الثاني، وعلى الرغم من وجود اخوة عبد الله الغالب في ضيافة الاتراك الا أنه حدث تقارب بينهما بعد قبول الملك السعدي شروط السلطان العثماني منها دفع مبلغ من المال اليهم كل سنة؛ والدعوة لسلطان العثماني من على المنابر والاستعداد للعمل سويا من أجل طرد المحتلين ومعاونة المورسكيين في شبه الجزيرة الايبرية [2]، غيرأن ذلك لم يقلل من خوف عبد الله الغالب من العثمانيين الا بعد انهزامهم في معركة ليبانت عام 1571 م، والتي حولت سياستهم من الهجوم الى الدفاع في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وبالتالي زال تهديهم للملك الغالب بن محمد والذي انتهت حياته سنة 1574م وخلفه ابنه وولي عهده محمد المتوكل المعروف بالمسلوخ [3].

2.3 - الإطاحة بالمتوكل وحكم عبد الملك المعتصم بالله (1576–1578م):

ما ان بدأت سنة 1576 م حتى كان والي الجزائر يحضر الجيش لمساعدة عبد الملك في استرجاع عرشه في المغرب ؛ وذلك تنفيذا للأمر المكتوب من السلطان العثماني وقد بلغ تعداده حوالي 5 الاف جندي؛ التقى بجيش المتوكل شمالا عند وادي سبوني من نفس السنة، وقد كان في جيش المتوكل فرقة من جند الاندلس الدين انظموا الى عبد الملك مما تسبب في هزيمة المتوكل، كما جرت معركة أخرى بوادي الريحان قرب سلا فانهزم مرة أخرى وفر الى مراكش، فدخل عبد الملك الى فاس منتصرا وواصل بمساعدة الاتراك مطاردة ابن أخيه المتوكل الذي فر من مراكش متوجها الى منطقة سوس؛ والتي لم تدخل في حكم عبد الملك الا بعد عام من ذلك، وعندما تفرق الانصار من حول المتوكل توجه الى أصلا التي كانت بيد البرتغال وطلب المساعدة منهم لاسترجاع ملكه [4]، وبذلك أصبح المغرب تحت حكم عبد الملك المعتصم بالله بعد ان تمت له البيعة بفاس ثم مراكش عاصمة الامارة السعدية، وقد استقر بها وصرف فاس لأخيه أحمد ومند توليه الحكم عمل عبد الملك على اعادة تنظيم شؤون الدولة، وأخد يقلد الأتراك في تدبير شؤون البلاد فقسمها الى ولايات وأنشأ ديوان في قصره وكان تنظيمه شبيه لقصر طوب قابي في اسطنبول بل يقال أنه قلد السلاطين العثمانيين حتى في زيهم حتى أنه كان يخرج لصلاة في مراسيم خاصة مثل السلاطين العثمانيين [5].

كما اهتم بتنظيم شؤون الجيش العسكرية والاعداد والتدريب معتمدا على أساليب التنظيم العسكري العثماني والتي كان لها الفضل في الانتصارات المتوالية التي حققها ضد ابن أخيه المتوكل؛ ولم يفقد في هذه المعارك سوى القليل من جيشه

---

(1) –حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص 180.

(2)– عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **المرجع السابق**، ص 80

(3) – **المرجع نفسه**، ص 154.

(4)– ابراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص 257

(5)– فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في أوضاع الإدارة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية**، ط1، دار الحمراء، لبنان، 2001ص 607.

اضافة لوجود قوة تركية بقيت في المغرب والتي قامت بمساعدته في استقرار الاوضاع، كما اهتم بصناعة السفن فأمر بإنشاء السفن في العرائش وسلا وقد بلغ عدد قطع الاسطول المغربي في عهده سنة 1577م حوالي أربعين سفينة [1]، في حين ظل المتوكل قرابة السنتين يذكر البرتغاليين ويراسل ملكهم ويلح في مطالبته لمساعدته في استرجاع عرشه حتى اقتنع الدوق سباستيان بالأمر واشترط لمساعدته أن يتنازل محمد المتوكل على أغلب السواحل المطلة على المحيط الاطلسي وأهمها ميناء العرائش وتم الاتفاق وبدأ الاعداد للحملة التي اعتبرت معركة فاصلة بين عبد الملك والدوق سباستيان وهي معركة وادي المخازن[2].

3.3- معركة وادي المخازن 1578م ودورها في استقرار الحكم السعدي:

اشتعل فتيل الحرب بعد أن رجع عبد الملك وأحمد المنصور معززين بالجيش التركي لافتكاك السلطة من يد المتوكل الذي ال اليه العرش السعدي اثر وفاة أبيه الغالب ستة 1574م كما سبق وأشرنا، فالقوة لم تكن متكافئة بين المتوكل وعمه الذي كان مدعم بأحدث الأجهزة لهذا التجأ المتوكل المخلوع للبرتغاليين بعد فشله في جمع الأنصار لاستعادة سلطته، وبهذا اصبح استقلال المغرب مهددا والبيت السعدي منقسما شقين كل واحد يحوم حول قوة خارجية طالما حاولت الانقضاض على هذه المنطقة الواعدة من بلاد المغرب العربي[3].

توجه الملك البرتغالي بطلب من المتوكل لمساعدته في استرجاع حكمه ؛ بقوة تعدادها حوالي 26 الف جندي وقيل أنها أكثر من ذلك، من لشبونة نحو أصيلا التي وصل اليها في 18 جويلية 1587م وعسكر بها وانضمت اليه عساكر المتوكل وقد كان عبد الملك يترقب حركة الحملة منذ انطلاقها، فخرج من مراكش نحو السوس ليشحذ قواته ؛ ثم عاد الى مراكش ومنها توجه نحو الشمال وكان قد أرسل الى أخوه أحمد بفاس لتحضير جيشه واستنفار القبائل المجاورة واللحاق به؛ حيث استقر عبد الملك بسوق الخميس على بعد ستة أميال جنوبي القصر الكبير وكانت الغاية من هذه الرسالة استدراجه إلى منطقة ينقطع فيها عنه المدد وتكون مواتية لخطة المناورة التي رسمها عبد الملك ضد المتوكل ودون سباستيان، وفي صبيحة ذلك اليوم كانت القوتان تتقدمهما المدفعية التي تحمي المشاة بينما تحيط بهم الخيالة من الجناحين وبينما انغلقت صفوف البرتغاليين في شكل مربع متماسك اصطف الجيش المغربي على شكل نصف دائرة، وما ان بدأت المعركة حتى انقض الجيش المغربي على مؤخرة الجيش المسيحي وانتزعوا الخيام ودمرت قنطرة وادي المخازن لقطع الامدادات ومن ثم ظهرت بوادر انهزام الجيش البرتغالي[4]، فانسحبوا جهة القنطرة فوجدوها محطمة؛ فما كان منهم الا أن ارتصوا في النهر فغرق منهم الكثير وكان من بينهم دون سيباستيان ومحمد المتوكل، وقيل ان عبد الملك توفى حين كانت المعركة في أوجها ولم يكن يعلم بالأمر الا

---

[1]- عمر بن خروف، " ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين " **مجلة الدراسات التاريخية**، ع3، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987، ص75.

[2]-ابراهيم حركات، **مرجع سايق**، ص 245.

[3]- لرقش دلندة و اخرون، **المرجع السابق**، ص 21

[4] -لقد شاركت العديد من الدول المسيحية مع الرتغال الايطاليين والهولنديين والالمان وفرسان القديس يوحنا وجنوة وحتى الاسبان. عبد الكريم كريم **المرجع السابق**، ص 258

اخاه أحمد وكان سائس القصر يأمر باسم الملك الا أن انتصر المسلمون [1]، واعتمادا على ما دونه وزير المنصور عبد العزيز القشتالي في "مناهل الصفف" فان المعتصم قد اشتد عليه المرض ليلة المعركة وفي صبيحة يوم المعركة مات عبد الملك فتولى أخوه أحمد القيادة وتوجيهه للأوامر وانتهت المعركة بفوز المسلمين فكلف المولى أحمد الكاتب محمد بن عيسى بكتابة نص بيعته ثم جمع كبار الجيش والشرفاء والوجهاء وأخبرهم بموت أخيه المولى عبد الملك وتوليه امور البلاد"[2]، وبعد انتهاء المعركة اعلن وفاة عبد الملك وبويع أخوه أحمد المنصور ولقب بالمنصور تيمنا بالنصر الكبير في هذه المعركة، وكان لهذه المعركة نتائج هائلة منها هيبة المغرب الداخلية والخارجية وضعف البرتغال وزوال دولتهم بأن ضمها الملك فليب الثاني الى اسبانيا بعد القضاء على جيشها.

كانت الاشارات تنبئ بنهاية استقلال المغرب وخضوعه لأحدى القوتين الماسكتين بخيوط المعركة غير ان الهزيمة التي مني بها سبستيان وحليفه المتوكل وموت الملك المعتصم وبروز أحمد المنصور غير مجرى الأحداث حيث بويع الاخير على ارض المعركة كما أشرنا سلفا[3].

المحور الثاني:الدولة السعدية عهد المنصور:

أولا–تعريف أبو منصور الذهبي:

أحمد المنصور الذهبي السعدي الحسني بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله وأحد ملوك المغرب العظام ولد بفاس[*] 1549م/956هـ، حيث أخذ يدرس العلم والادب والفقه في مدارسها، ثم أقام في بلاد الجنوب بمنطقة سجلماسة في اقليم سوس ولما تولى اخوه عبد الله الغالب أمر المغرب، رحل هو وأخوه عبد المالك وعبد المؤمن الى الجزائر ثم تركيا وقد أكسبه مقامه في تركيا الاطلاع على شؤون اروبا والبحر المتوسط واكتساب مهارة ودهاء ساعدته في توجيه سياسة المغرب الخارجية [4]، وقد بويع في ساحة معركة وادي المخازن يوم الاثنين جمادى الأول سنة 986هـ/4أوت 1578م بعد وفاة السلطان عبد الملك ؛ فلقب بالمنصور[5]؛ كما مكنته الفدية التي تحصل عليها من البرتغاليين مقابل استرجاع أسرى المعركة والمتمثلة في كميات كبيرة من الذهب فأضيف له لقب الذهبي[6]، يعتبر عهده الذي دام حوالي 26 سنة من أزهى عهود المغرب رخاء وعلما وعمرانا وجاها [7].

---

[1]–**المرجع نفسه**، ص ص 259، 260

[2]– **المرجع نفسه**، ص ص 98، 99

[3]–لرقش ذلندة واخرون، **المرجع السابق**، ص 21

[*] –ولد سنة 1546/956 بفاس من ام تدعى مسعودة وقد تحدث عن أخلاقه بتفصيل ابن القاضي في كتبه "المنتقى المقصور على مأثر الخليفة ابي العباس المنصور، والقشتالي في كتاب "مناهل الصفلفي أخبار الملوك الشرف"لمزيد من التفاصيل ينظر عسر احمد طه، **احمد المنصور الذهبي، أعظم خلفاء دولة الاشراف السعديين**، المغرب 2015، 2016.

[4] –عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، ج5–6، م3، مكتبة مدبولي ط1، القاهرة 1994، ص191.

[5]–ابو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى**، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء1954، ص221.

[6]–ابراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص122

[7]–ابو العباس أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص221.

-سيرته العلمية ومؤلفاته:

ظل الطابع العلمي من أهم مميزات عهده اهتمامه بالعلماء والمتعلمين وعقده للمجالس العلمية التي يحضرها العلماء من الشمال والجنوب ؛ أخد ابو العباس العلم هن كبار فقهاء عهده كأبي العباس بن علي المنجور وشقروا بن هبة الله الوهراني وابي زكرياء يحي السراج وموسى الردواني وغيرهم كما برع في الادب والشعر والفقه والمنطق والرياضيات، وكان يغدق العطايا والهبات على العلماء مما اسهم في كثرة الانتاج خاصة كتب التاريخ والتراجم، كما كان للمنصور مشاركات واسعة في العلوم اللغوية والشرعية فهو أذيب وشاعر وكذلك الرياضات فقد كان مواظبا على دراسة كتب الجبر والحساب والهندسة لإقليدس وابن البناء والمراكشي فكانت حاشيته كلها من العلماء حتى أنه كان له مؤلفات منها "كتاب المعارف في كل ما تحتاج اليه الخلائق" والثاني "العود أحمد"، وقد جمع فيه الادعية المأثورة عن الرسول (ص) وله فهرس وديوان جمع فيه الاشعار وله مكتبة بمراكش من أعظم المكاتب في ذلك العصر[1].

ثانيا-تولي المنصور الحكم: تولى أحمد المنصور السعدي العرش 1578-1603م وقد اشتهر حكمه بالقوة والتجديد بعد عهد مليء بالدسائس والتحالف مع الأعداء طمعا للوصول إلى السلطة ويعتبر عصره ذهبيا لما تميز به من انجازات، وتنظيمات:

1-**الادارة المركزية:** تكونت من عناصر أساسية من أبرزها:

السلطان: يحتل الصدارة في جهاز الحكم ؛ وقد حمل المتصور لقب الخليفة كغيره من الملوك السعديين تأييدا لا حقيتهم بخلافة المسلمين بدل العثمانيين بحكم أصلهم النبوي[2].

صاحب خزائن الدار: بمثابة وزير المالية حاليا ؛يتكلف بالسهر على ضبط مداخيل الدولة وصرفها

الحاجب: مكلف بتنظيم العلاقات بين الخليفة وباقي كبار الدولة

الوزير: وهو بمثابة الوزير الاول حاليا يشرف على تنفيد السياسة العامة للبلاد.

كاتب السر: وهو الكاتب الخاص للخليفة والمسؤول عن ضبط مراسيم الدولة.

2-**التنظيم الاداري:** اعتمد المنصور على تنظيم إداري محكم تمثل فيما يلي:

- مجلس الشورى: يتكون هذا الاخير من 12 عضو وعادة ما يتم اختيارهم من علية القوم وكبار رجال الجيش والقصر وحكام الاقاليم، حيث جعل هذا النظام الحكومة السعدية مكونة من اتحاد القبائل يديرها جهاز حكام وهي التي توزع الارض وتفرض الضرائب؛ وكان هذا المجلس ينعقد كل يوم أربعاء من الاسبوع وعادة ما يقوم بالنظر في شؤون البلاد وأوضاعها وايجاد الحلول للقضايا المستعصية، يتكون من شخصيات عدة كقواد الجيش والفقهاء وزعماء القبائل [3].

---

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **المصدر نفسه**، ج5، ص 193.

[2] -ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ المرجع السابق**، ص 112

[3] - محمد القبلي، **تاريخ المغرب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب** ط1، الرباط، 2011، ص320

-الكتاب: اختار حكام الدولة السعدية كتاب دوي ثقافة واسعة وأسلوب جيد من أشهرهم ابو فارس عبد العزيز القشتالي؛ ابو عبد الله محمد بن عيسى صاحب الممدود والمقصور

-القضاء: لقد أحسن المنصور العدل وتنظيم القوانين بالشرع ومناهج السنة لذلك كان متمسك بالشريعة ومنصفا للرعية، وقد ظهر ذلك من خلال حكمه في عدة قضايا بإنصافه للمظلومين [1].

3- الإدارة الإقليمية: قام المنصور بتوزيع البلاد الى اثني عشر اقليم اسند ادارتها لعناصر يثق فيها ؛حيث عين على رأس كل منها نائب عنه في الاقليم وكان يتمتع بصلاحيات واسعة وقد أناب المنصور عنه أبنائه في أقاليم خاصة كفاس ومكناس وسوس ومراكش[2]، وقسمت الاقاليم بدورها الى قيادات يرأسها قائد أو باشا يدير شؤونها العامة ويقوم بالبث في القضايا المدنية والخصومات ويساعده صاحب الشرطة، إضافة الى شيوخ القبائل الذي عهد اليهم مهمة تأمين سلامة الطرق[3]، كما اعتمد على نظام المخزن وهو جهاز إداري وعسكري وضرائبي استمرت الحكومة عليه حتى اعلان الحماية الفرنسية.

المحور الثالث:سقوط الدولة السعدية:

أولا -تنازع ابناء المنصور حول الحكم:

بعد وفاة أحمد المنصور لفاس 1603م بويع زيدان بفاس وأعلن سلطانا ولم يكد أخوه أبو فارس والي مراكش يسمع ذلك حتى نادى بنفسه سلطانا وتلقب بالواثق؛ فدخل أبناء أحمد المنصور في نزاع حول الحكم وهنا أوكل أبو فارس أخوه المأمون لحرب أخيه زيدان حيث انهزم زيدان وفر وكان أبو فارس قد اتفق مع رجاله على أنه اذا ما انهزم زيدان يبادرون يقتل المأمون، وفي سنة 1610م قتل أبو الفوارس على يد ابن أخيه عبد الله بن المأمون وتمكن عبد الله من دخول فاس واعلن نفسه اميرا عليها في حين استقر زيدان في مراكش وحاول أن يدعم مركزه فيها وهكذا عادت البلاد وانقسمت الى قسمين قسم شمالي مركزه فاس ؛وجنوبي مركزه مراكش وأصبح الامر كما كان في بداية عهد السعدبن [4]، حيث استعان عبد الله بن المأمون بالإسبان لمساعدته على الاستقرار بفاس مقابل أن يمنحهم مدينة العرائش فاحتلوها، وكان لهذا التصرف أثر بعيد في تاريخ الدولة السعدية لان جماهير الصوفية ومريديهم ثاروا ضده وانضمت اليهم قبائل بلاد السيبة "سكان الجبال " ودخل المغرب في فترة من أسوأ فتراته فقاموا بقتل عبد الله بن مأمون وتخريب مدينة فاس؛ وهكذا لم يستطع الصمود في الحكم الا زيدان بن المنصور برغم من توالي الثورات عليه من (1603-1626م) وكان قد طرد من مراكش وعاد اليها ثلاث مرات وقد حكم بعده أمراء من أبناء الاسرة السعدية سيطر عليهم الضعف وأصبح حالهم حال المغرب معهم في أسوأ حال وبقيت المغرب منقسمة بين فاس ومراكش [5].

ثانيا -ضعف الدولة السعدية وظهور كيانات مستقلة:

---

[1]-ميمونة سنوسي، **ميمونة يسنوسي، الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي**، علوم انسلنية جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2017، ص16.

[2]-محمدالقبلي، **المرجع السابق**، ص320

[3]- **المرجع نفسه**، ص320

[4] - لرقش دلندة و اخرون، **المرجع السابق**، ص23

[5] - حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص- ص 209-219

تنازع أمراء الدولة السعدية أدى الى ضعف دولتهم وظهور زعامات سياسية في عدة مناطق ؛ كما ظهرت كيانات يطبعها الطابع الديني مثل الطريقة الدلائية وهذا بخروج الكثير من الطرق الصوفية ورجال الدين عن طاعت الامراء السعديين لكثرة فسادهم، ومنه يمكننا القول أن الطرق الصوفية التي ساعدت الدولة السعدية في حكمها الاول قد خرجت عنهم لما انحرف حكامها عن سياسة الجهاد ؛ فظهرت حكومة سلا التي أطلق عليها جمهورية سلا واشتهرت بمينائها أبي الرقراق البحري الذي كان بوابة الجهاد البحري في المغرب، وقد تزعمها أبو عبد الله العياشي في فترة من الفترات وكانت أقوى الكيانات السياسية القائمة في ذلك الوقت ؛ وقد زادت قوتها بمراكش في العقد الرابع من القرن السابع عشر فحازت على القسم الشمالي ما بين شاطئ الاطلسي حتى تطوان بما في ذلك مدينة فاس وكان من أسباب قوتها اعتمادها على حركة الجهاد البحري في المغرب لان أغلب سكانها من الاندلسيين والذين زاد عددهم بعد 1610م بعد اصدار قرار الطرد النهائي للمورسكيين فاستأثر المهاجرون بالحكم فكانو يشبهون أوجاق الجزائر في تنظيمهم[1].

اضافة الى ذلك ظهرت حركة الدلائيين وهم ينتسبون الى دلاء قبيلة من صنهاجة ؛ ظهرت أول الامر كحركة دينية في عهد المنصور وحينها كانت زاويتهم ملجأ لرجال الدين ؛ولم تتخذ هذه الحركة اتجاها سياسيا الا بعد وفاة المنصور حيث أصبحت زاويتهم ملجأ لرجال الدين وامتدت سلطتها الى مكناس وفاس وكل مناطق تادلا في بعض الاحيان وقد سيطر الدلائيين[*] بفضل نفودهم على عدد من الموانئ خصوصا ميناء أبي الرقراق وكان لهم أن عقدوا بعض المعاهدات مع الدول الاجنبية خصوصا هولندا[2].

ثالثا –مقتل اخر ملوك السعديين ونهاية دولتهم:

هو ابو العباس محمد الشيخ الاصغر تولى الحكم عام 1653م ولم يلبث طويلا في الحكم ؛ لان أخواله من الشبانات رغبوا في تحويل الملك الى أسرتهم حيث حاصروه مدة طويلة بمراكش، ثم عمدوا الى اغتياله سنة 1659 م وبقتله تكون نهاية عهد السعديين في المغرب الاقصى، حيث دخل المغرب الأقصى في فوضى خاصة بعد استيلاء الشبابنة على الحكم بعد أن أعلن عبد الكريم بن القائد ابي بكر الشعابني الحريزي نفسه حاكما على مراكش وبايعه الناس سنة 1659م، غير أنه اغتيل فبايع الناس ابنه ابا بكر بن عبد الكريم لكن حكمه لم يدم طويلا فهو لم يزد عن عشر سنوات ليظهر في المغرب الاقصى المولى الرشيد اول الشرفاء العلويين أبناء عمومة السعديين في المغرب الاقصى والذي قتل واباد الشابيين [3].

ومن خلال ما سبق يمكننا تلخيص سقوط الدولة السعدية في جملة من الأسباب منها:

---

[1] –صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**، مكتبة الانجلو المصرية، ط6، نصر 1993؛ص، ص 60، 61

[*] –تمركزت هذه الحركة بالأطلس الاوسط أسسها سيدي أبو لكر بن محمد بن سعيد ين أحمد يت أبي بكر عندما تحولت الزاوية الى قوة سياسية نافست السعديين كان لهده الحركة شأن ونعود عظيمان استمدتها من الرفض البربري الذي أطرنه الزاوية واستهدفت سعول الشمال الخصبة مناطق القبائل العربية وقد تمكنت تاحركة الدلائبلة من الحاق هزائم كبرى منها "هزيمة معركة ابو عقبة"فطرح الزعيم الدلائي نفسه سلطانا بديلا على السلطان السعدي وتحولت الحركة الى سلطة قائمة خاصة بعد سيطرتها على ندن الشمال وبعد مقتل اخر امراء السعديين أبي العباس 1659م لمزيد من التفاصيل يراجع لرقش دلندة و اخرون، **المرجع السابق**، ص 26

[2] –ابراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص ص 293، 295

[3] –حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص 221.

1- ضعفت هيئة السلاطين السعديين نتيجة لتناحرهم فيما بينهم ولكثرة الحروب وقلة الاستقرار، وهذا النزاع عطل جهود الدولة في مواجهة الدخلاء وكان تقسيم المغرب الى مملكتين هما مملكة مراكش وفاس بين أبناء المنصور أكبر مشجع على التمرد وعدم الامتثال للملك المنصب [1].

2-الاعتماد على العلوج في الجيش: كانت القيادات العسكرية كثيرا ما توكل إلى العلوج وقد قامت هذه العناصر؛ بإحباط كل خطة لتقوية الدولة كما قاموا بتسميم عبد الملك المعتصم والاتصال سرا بأتراك الجزائر وقتل المهدي الشيخ[2].

3-التدخل الأجنبي والدي كان من عوامل قيام الدولة السعدية كما كان من عوامل سقوطها [3].

4-الحركات الاستقلالية وتولدت نتيجة لضعف الملوك .

المحور الثالث-: ظهور الاشراف العلويين

كان للأوضاع الداخلية والخارجية التي أحاطت بالمغرب في النصف الاول من القرن 17 أثر كبير في بروز قوة اجتماعية سياسية جديدة عملت على اصلاح الاوضاع الداخلية واعادة الوحدة الوطنية السياسية للبلاد، وتقويهتا لمواجهة التحديات الخارجية التي تستهدف السيادة الوطنية للمغرب تمثلت في ظهور عدة قيادات تمثل بعضها في الطرق الصوفية وتجمعات كبيرة لرجال القبائل التي عملت على طرد الاستعمار الاجنبي مثل العياشي[*] كما ساعدت على ظهور قيادة جديدة هي قيام الاشراف العلويين

أولا- أصول العلويين: يعتبر الشرفاء العلويين من نسل علي بن أبي طالب عن طريق محمد النفس الزكية وهم أبناء عمومة السعديين يتلقى نسلهم عند قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد الذي ينتهي نسبة الى محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل ابن الحين ويقال ان أصلهم من ينبع النخل وقد هاجروا الى المغرب الاقصى واستقروا في اقليم تافللت وقاعدته سجلماسة وقد رحب بهم أهل البلاد وصاهروهم وعلا مكانهم بينهم بفضل النسب الشريف [4].

ثانيا-المولى الشريف بن علي ونشأة الدولة العلوية:

بعد وفاة المنصور وتفكك الاقليم من الناحية السياسية والادارية وظهور عدة قيادات تمثل بعضها في الطرق الصوفية وتجمعات كبيرة لرجال القبائل التي عملت على طرد الاستعمار الاجنبي مثل العياشي[**] وهذه الوضعية ساعدت على ظهور

---

[1] -ابراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص 183

[2] - عبد الكريم كريم، **المرجع السابق**، ص 340

[3] - **المرجع نفسه**، ص340

[*] -الحركة العياشية: قامت هده الحركة في الشمال بزعامة المجاهد محمد العياشي الذي استغل رصيده الديني لتجميع الانصار ومواجهة السلطة طيعة بين السعديين والسعدية تحت شعار الجهاد حيث تجسدت القطيعة بين السعديين ومحمد العياشي في1645م حينتا حققت الحركة انتصارا بارزا على المسيحيين فاستولت على نديتة سلا وجعلتعا قاهدة لعملساتها الجهادية ورغم انتعاء الحركة بوفاة زعيمها 1641م فقدكان لها دور كبير في هدم الدولة السعدية. لرقش دلندة و اخرون، **المرجع السابق**، ص 25.

[4] -حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الاسلام، الزهراء للاعلام** العربي ط 1، القاهرة، مصر، ص ص 148، 149.

[**]-الحركة العياشية: قامت هده الحركة في الشمال بزعامة المجاهد محمد العياشي الذي استغل رصيده الديني لتجميع الانصار ومواجهة السلطة طيعة بين السعديين

قيادة جديدة هي قيام الاشراف العلويين وينتسبون الى الحسن بن الامام علي وقد وصل نفودهم حتى جنوب وادي السوس في وقت ضعف دولة السعديين، وقد زاد نفودهم مع حاجة الاهالي الى قائد جديد يعبر عن رغباتهم فبايعو محمد الشريف اماما عليهم في سجلماسة سنة 1631م وكان ذلك هو بداية لامتداد حكم قيادة جديدة وقد انتزع المولى الرشيد الحكم من أخيه المولى محمد الشريف وتمكن سنة 1666م من دخول فاس عاصمة المغرب وبهدا يعتبر هو المؤسس الفعلي لحكم الاسرة العلوية...[1].

1- حكم السلطان محمد بن الشريف:-

بيعته: افتك محمد بن الشريف والده من الاسر بمال كثير فقام الامير بتنازل له عن بيعته عام 1050هـ وانقطع هو للعبادة.

سياسته:

منذ البداية حدد محمد بن علي الشريف ثلاثة أهداف استراتيجية لمعالجة الاوضاع الداخلية والخارجية للمغرب ويتضح ذلك من رسائله الاولى وهي العمل على توحيد البلاد وطرد الاجانب من الثغور المغربية ودفع العثمانيين عن المغرب العربي؛ كما قام الشريف بن علي ضد بوحسون ورجاله في سجلماسة لان رجال بوحسون كانوا قد أساءوا السيرة واستبدوا بالناس فقضوا على سلطانهم بعد حروب طويلة، كما واجه المولى محمد الشريف أبي عبد الله محمد الحاج الدلالي رئيس زاوية الدلاء ومن معه وكانوا مسيطرين على فاس ومكناس وواد سيو ونازلهم ولكنه انهزم أمامهم سنة 056هـ /1646م، ثم تصالحوا على أن يكون اقليم سجلماسة والجنوب وهو ما يعرف بالصحراء للمولى محمد بن الشريف ين علي حتى جبل عباس أي دون مستوى نهر تانسيفت وما يقع شمال ذلك الى حوض نهر وادي أم الربيع وما يليه شمالا يكون لرجال زاوية الدلاء ورئيسها أبو عبد الله محمد الحاج الدلائي،، ثم حاول المولى محمد بن الشريف بن علي الاستيلاء على فاس وكامل المغرب بتأييد من أهل فاس ودخلها فعلا 1060هـ/1650م ولكن الرئيس أبا محمد الحاج الدلائي وحلفائه تمكنوا من اخراجه فعاد الى سجلماسة سنة 1061هـ/1651م، ثم عاد المولى محمد بن الشريف يحاول الاستيلاء على إقليم تلمسان والاغواط من واحات الصحراء واستولى عليها ولكن الاتراك تحركوا من الجزائر وتقدموا فاستعادوا تلمسان وصالحه عثمان باشا والي الجزائر على أن يكف عن غزو تلمسان ووجدة وغرب المغرب الاوسط ويعترف له عثمان باشا في مقابل ذلك بسجلماسة ودرعة وقد توفى محمد بن علي في رمضان 1069هـ/1659م تاركا الملك لابنه محمد[2].

2- حكم السلطان الرشيد: خرج علي بن محمد بن علي على أخوه الرشيد وخرج الى الجبال ثائرا والتفت المولى محمد بن محمد بن الشريف لحرب أخيه الرشيد الذي نازعه الملك، ووقعت الحرب بينهما فقتل محمد وصار الملك الى المولى الرشيد

والسعدية تحت شعار الجهاد حيث تجسدت القطيعة بين السعديين ومحمد العياشي في1645م حينتا حققت الحركة انتصارا بارزا على المسيحيين فاستولت على نديتة سلا وجعلتعا قاهدة لعملساتها الجهادية ورغم انتعاء الحركة بوفاة زعيمها 1641م فقد كان لها دور كبير في هدم الدولة السعدية. لرقش دلندة و اخرون، **المرجع السابق**، ص 25.

[1]-محمود شاكر، **التاريخ الاسلامي "التاريخ المعاصر** –بلاد المغرب" المكتب الاسلامي ط1، بيروت دمشق 1411هـ/199م.

[2] -حسين مؤنس، **مرجع سابق**، ص 75.

بن المولى محمد الشريف ابن علي في محرم 1075هـ/1664م بعد مبايعته[1]، وقيل ان سبب ثورة الرشيد هو عدم تمكن أخيه محمد من توحيد المغرب وأن مصالحة أخيه لدلائيين تعتبر نوع من الضعف لذلك انشق الاخوان وكان هذا أول انشقاق للأسرة العلوية [2]. حيث تمكن الرشيد من **توحيد المغرب** في جمادى الثانية 1075هـ/1664م بعد الاستيلاء على فاس وقضى على الدلاليين وأحلافهم وتمت له البيعة على المغرب كله عام 1077هـ/1666م وبذلك توحدت المغرب على يد الرشيد بعد أن دخل وجنوده زاوية الدلاء في بلاد فازار شرقي ممر تازا، واستسلم الرئيس أبو عبد الله محمد ين الحاج الدلائي سنة 1078هـ/1667م وسار الى مراكش وانتزعها من أيدي المسؤولين عليها من عرب الشبانات[*] سنة 1079هـ/ 1668م وبذلك توحد المغرب تحت راية العلويين [3]، وبهدا أصبح المغرب كيانا سياسيا موحدا بعد القضاء على القوى المحلية(الدلائية –العياشية–السهلالية)وقد وضع السلطان الرشيد أسسا قوية للحكم حيث اهتم الرشيد بتوحيد البلاد وحمايتها من المطامع الغربية وقد استقر بفاس واعتنى ببناء قنطرة وادي سبو خارج فاس كما أنشأ مدرسة للشرطيين وعمر قصور فاس وجامع القرويين حتى وفاته في 2 دي الحجة 1082هـ/1672م وقد بويع بعده 3- **حكم المولى إسماعيل**: هو الابن الثالث لشريف بن علي وقد طالت مدة حكمه اكثر من نصف قرن ولقب بالمظفربالله، كما لقب بأبي النصر حيث كان معاصرا للويس الرابع عشر ملك فرنسا[4]، حيث اهتم بقمع الثورات مما جعله يشكل جيش منظم أطلق عليه "جيش السود" حيث جعل غالبية جنده من السودان وضم اليهم الاسرى المسيحيين والقرصان والمتطوعين من الشباب الاندلسي كما اهتم بتزويد الجيش بالأسلحة المعاصرة كالمدافع والبنادق والمنجنيقات وسائر أدوات الحصار أما المتطوعيين من الاجانب فقد اوكل اليهم سلاح المدفعية والهندسة كما كان في عهد المرنيين والسعديين[5]، من أهم اعماله تحرير المهدية والمعمورة وكذلك حلق الوادي 1681م والعرائش 1689م واصيلا 1691م كما استرجع طنجة من الانجليز عام 1684م واهتم ببناء القصبة كما اهتم بالعلم ومجالس الادب [6]؛**وفي اواخر ايامه بدأ أبناؤه يتورون عليه كما تدخل الجيش الاسود في سياسة الدولة مما جعل المغرب يعاني من الاضطراب والفوضى بعد وفاته** [7].

ثالثا– صراع الاسرة العلوية على الحكم:

عين السلطان اسماعيل أثناء حياته عددا من أولاده حكاما على بعض المقاطعات والمدن، وقد تمادى البعض منهم في

---

(1) – **المرجع نفسه**، ص 175

(2) –أحمد اين سودة، مرجع سابق، ص 91.

(*) –الشابانات: مجموعة قبلية عربية واسعة والتي كانت محور الجيش السعدي حيث قتل الرشيد يوم اقتحامع للمدينة في 1668م وقتل من وجد منها من الشباتات، لرقش دلندة، الورجع السابق، ص 28

(3) –لمزيد من التفاصيل يراجع حسين مؤنس، ص175

(4) – نجيب زينب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ج3، تقديم أحمد بن سودة، دار الامير ط1، بيروت لبنان1995.، ص 95.

(5) – **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ص 98، 99

(6) – لمزيد من التفاصيل **يراجع المرجع نفسه**، ص ص 100- 247.

(7) – نجيب زينب، **مرجع سابق**، ص 105

الفساد والمجون وثاروا عليه في أواخر حياه فعزلهم واستبدلهم بحكام وولاة من أهل البلاد المشهورين بالصلاح والتقوى، وبعد وفاته عاد أبنائه لتنافس، فازر جيش السود ابنه أحمد بعد ان وعد هم بأغداق الاموال عليهم، وكان هذا الاخير ضعيفا وعاجزا حيث اعتمد على دفع الاموال والهبات على اتباعه ليناصروه وقد تسبب في افلاس خزائن الدولة لذلك لقب بأحمد الذهبي واتسم حكمه بالفوضى ولما نفدت الاموال من الخزينة وعم الشكوى أخد الحاشية والجند يبحثون عن سلطان جديد ليومن لهم رواتبهم والمنح فاختاروا اخاه عبد الملك وخلعوا أحمد الذهبي وفرضوا عليه الاقامة الجبرية في سجلماسة[1].

1-السلطان عبد الملك: استدعي عبد الملك من طرف العبيد ليحل محل أخيه أحمد وكان عبد الملك مثال الجد والاستقامة والخلق حيث بايعه سكان مدينة مكناس وما كاد يحل بالعاصمة حتى بادر أهل فاس ببيعته[2]،

من أهم الأعمال التي قام بها محاولته حل جيش العبيد مما أدى اشتباكه في قتال عنيف مع جنود عبد الملك الذين لم يتجاوزوا عشرة الاف إلا بقليل وما كان خبر اعلان الحل يصل الى قيادة العبيد حتى اجتمعت كلمة أكثر من السبعين ألف فاشتبكوا في مكناس في قتال عنيف مع جنود عبد الملك وقد كاد جيش عيد الملك أن ينتصر لولا أن زوجة والده قامت بخيانتة بنت الشيخ بكار بن عبد الله المعافرئ وأم الأمير عبد الله بن إسماعيل حيث أمرت بفتح أبواب الجهة التي لم يكن عبد الملك وقيادته قد نصبو عليها حراسة كافية، وكان ولدها الى جانب أخيه غير أنه ابعد الى تافيلالت وبعد انتصار جيش العبيد لم يحقق رجاء ختانة بل عادوا الى صاحبهم أحمد لما الفوه منه من سخاء عكس عبد الملك، وقد عادوا به من تافيلالت وتم تنصيبه من جديد أما عبد الملك فقد عاد الى فاس وقد أختلف أهلها حول فكرة التمسك ببيعته والتحول الى أخيه والذي أرسل إلى أهل فاس يطالبهم بتسليمه غير أنهم امتنعوا عن ذلك وهذا بسبب الحرب التي اشتدت من جديد بين أهل فاس والودايا مما دفع بقواد جيش العبيد الى أن يحملوا سلطانهم ويتقدموا نحو فاس وقد دامت الحرب 5 أشهر متالية عرفت فيها مدينة فاس الويل والنكال وأخيرا حصلت الهدنة وتم الصلح بين أحمد الذهبي وأهل فاس على أن يسلموا عبد الملك يعدها انتقل السلطان بأسيره الى مكناس حيث أمر بحبسه[3].

2- حكم عبد الله بن اسماعيل:

بعد خنق عبد الملك ووفاة أحمد الذهبي يكون عبد الله قد وصل إلى نهاية العشرين فهو من مواليد 15دي الحجة 1121هـ/1709م بقصر الفرخ بتافيلالت وقيل بمكناس وقد عاد إليه عبد الله يوم قتل أخوه المنتصر ين اسماعيل في حرب عبد الملك مع جيش العبيد ومنه تمت بيعنه من طرف قواد الجيش العبيد وأهل فاس والعلماء[4].

استمر السلطان عبد الله في الصراع ضد جيش العبيد واهل فاس مما تسبب في تعطيل الكثير من المرافق في البلاد كالزراعة والعمران وفي شهر ربيع الاول 1147هـ/1734م وقد تميز بالحنكة والسياسة فبالاضافة لقوته وبؤسه في القتال، كان واعيا بان عصب الدولة هو المال لذلك كان يحمله معه أينما حل على ظهور البغال، لذلك كلما اشتدت الازمة

---

(1) - **المرجع نفسه**، ص ص 109، 110

(2) -عبد الكريم فيلالي، **مرجع سابق**، ص 276

(3) -عبد الكريم فيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب الكبير**، ج4، شركة ناس للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 2006، ص ص.278-280

(4) -محمد علي داهش، **المغرب العربي المعاصر "الاستمرارية والتغيير"**، ط1 الدار العربية للموسوعات، بيروت 2014، ص285

وضاق القوم ذرعا بالذي يحل مكانه على العرش لانه لا يجد ما يسدد به نفقات الدولة ومرتبات الجيش الا وتطلعت الانظار وتعلقت القلوب بالذي يحمل ما يكفي من الذهب حيث كان السلطان عبد الله يحمله معه أينما ارتحل، مع العلم أنه كان سخيا ذلك هو السبب الذي يحمل العبيد على العودة اليه في كل مرة، وهكذا كلما تأزم الوضع سياسيا لا تجد قيادة الجيش أمامها الا عبد الله لذلك نراه يتردد على العرش حوالي 6 مرات قبل ظهور ولده محمد بن عبد الله ووفاته في 27صفر 1171هـ/1757م[1].

3-حكم السلطان علي الاعرج:

فر السلطان عبد الله ناجيا من مؤامرة الاغتيال التي حاول تدبيرها سالم الدكالي وشيعته عادت قيادة الجيش الى البحث عن من يصلح للقيادة من أبناء السلطان اسماعيل وأخوه عبد الله ؛فوقع اختيارهم على علي بن اسماعيل المعروف بالأعرج ؛غير أن الامور لم تكن مستقرة في عهده رغم ما بدله من جهود خارقة لإعادة الامن والنظام بإلغائه الضريبة الجائرة على الشعب واكتفائه بالضريبة الشرعية مع هدا ظل الاقتصاد متدهورا لقلة الانتاج فأصيبت الخزينة بالعجز ولم يعد بين يديه ما يقدمه للزنوج [2]، فتحولت جموع جيش العبيد الى مجموعات من اللصوص تنهب وتسرق وتقطع الطرقات وخلعوا السلطان علي الاعرج يوم 10 محرم 1150هـ/1773م [3].

4-حكم السلطان محمد بن اسماعيل (ابن عربية):

بعد خلع عبد الله نتيجة تدمر أهل فاس ومكناس من أفعاله تحالفوا على بيعة أخيه المولى محمد بن عربية ؛فمشوا اليه وأخرجوه وهو بدار الشيخ أبي زيد الشامي وبايعوه في 10 جمادى الاول 1150هـ /1773م وتمت له البيعة العامة[4].

وهذا الاخير أطلق العنان لجيش العبيد حيث أنفق كل ما لديه كما أطلق يدهم على نهب الرعية، فكثر الهرج وعمت الفوضى فكانت أيامه أيام نحس وبلاء على المسلمين [5].

وفي السنة الموالية وفي 24 صفر 1774م ثار العبيد على السلطان المولى فقبضوا عليه، وكتبوا الى أخيه المولى المستضيئ بن اسماعيل بتافيلالت يدعونه للقدوم ليملكوه وكان أول ما قام به هو سجن أخيه وارساله الى سجلماسة[6].

5- حكم السلطان المستضيئ: بويع سنة 1738م ؛ وحسب وصف الي القاسم الزياني فالسلطان كان بخيلا ظلوما سفاكا للدماء ومهزوم الراية أينما توجه؛ وقد كثرت الفتن في أيامه وفرغت بيوت المال،، وقد وصل به الامر الى بيع مدخرات القصور لما وصل اليه من ضائقة مالية، حتى أنه حول مدافع النحاس الى عملة، غير أن ذلك لم يغير شيء بل انتهى الامر

---

(1) – عيد الكريم فيلالي، **مرجع سايق**، ص 340

(2) –لمزيد من التفاصيل يراجع محمود شاكر، أ **مرجع سابق .** ص 300-301، نجيب زينب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ج3، تقديم أحمد بن سودة، دار الامير ط1، بيروت لبنان1995.، ص 121.

(3) –محمود شاكر، **مرجع سابق**، ص 301

(4) – شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 143.

(5) –شهاب الدين أبو العباس، **المصدر نفسه**، ص 144-146

(6) –**نفسه**، ص ص 147، 148

الى عزله في 14 دو القعدة 1152هـ/ 1739م ولم يكن أمام قواد جيش العبيد الا العودة الى عبد الله الذي كان يحمل بيت المال معه كما أشرنا سلفا [1].

6–حكم السلطان محمد بن عبد الله

اراد عبد الله أن يضرب الكبش الاسود بالأبيض لكن هؤلاء اكتشفوا المؤامرة فتحالفوا مع اخوانهم بفاس ؛ فوحدت صفوفهم وتمكنوا من خلع السلطان عبد الله بعد ثلاثين سنة من المعاناة والثورة وتنصيب ابنه محمد سلطانا على البلاد، وحاول هذا الاخير برا بوالده بمسعى لدى الزنوج لتجديد البيعة لوالده لكن سكان الاطلس رفضوا بيعته كما ان موت السلطان عبد الله 1757 م حسم كل الخلافات وبويع اينه ولقب بمحمد الثالث بن عبد الله بن اسماعيل[2].

وقد قام هذا الأخير بإصلاحات عسكرية حيث قام بأبعاد الجيش عن السياسة ؛كما حرر الجيش من المشاغبين وقام بتوزيع الزنوج على أقاليم المغرب لتفكيك شوكتهم خاصة أنهم مستقرون في مكناس فامر بنقل الف عائلة منهم الى طنجة وكانت هده غلطته لانهم ثاروا في طنجة لكثرتهم، فارسل اليهم حملة بقيادة اينه يزيد وقاموا باستمالة ابنه ومبايعته سلطانا عليهم، فاضطر الخروج بنفسه على رأس جنود من العرب والبربر لإصلاح غلطته فغادر مراكش حتى اذا وصل مشارف مكناس هرب يزيد الى ضريح "سيدي ادريس" في حين طلب الزنوج العفو فاشترط عليهم طاعته وفرقهم بين المدن طنجة والعرائش والرباط وبلاد سوس. وبعد أن وطد علاقاته مع الدول الاروبية قرر ان يعمل على تحرير مرافئه المحتلة بطرد البرتغاليين من "الجديدة" 1763م ولما طلب من الاسبان الجلاء عن سبة ومليلة أعلنت عليه الحرب ففرض على المرفأين حصارا دام سنتين، غير أنه لم ينجح لان اسبانيا منعت قافلة بريطانية من تسليم السلاح الى المغرب وكان يحتاج إليه لمواصلة الحصار[3].، من مأثر السلطان محمد الثالث كذلك محاولته تحريره الاسرى المغاربة وكافة الاسرى المسلمين الموجودين لدى الاسبان فأجرى مفاوضات مع ملك اسبانيا وقد استجاب الملك الاسباني لطلبه وأطلق الاسرى[4].

7– حكم السلطان يزيد بن محمد:

بعد وفاة محمد عام 1204م توالى أولاده على الحكم فكان يزيد بعده اذ ثار هذا الاخير على والده فسار ليؤدبه غير أن المنية وفته وكان يزيد قريبا من تطوان فبايعه أهلها كما بايعه أهل طنجة والعرائش وبقية الاقاليم كلها [5]، بدأ عهده بإصدار عفو عام على الزنوج وهم من حرضه على الثورة ضد والده وسمح لهم بالعودة الى فاس ومكناس، وبعودتهم عادت الفتن والاضطرابات، من مآثره انه بنى 16قلعة مزودة بالمدافع لاستعادة سبتة ومليلة لكنه لم ينجح وفيما كان يحاصر سبتة تمرد ضده أخوه هشام [6].

---

[1] – عبد الكريم الفيلالي، **مرجع سابق**، ص ص 305، 307.

[2] – نجيب زينب **مصدر سابق**، ص 128

[3] – نجيب زينب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ج3، تقديم أحمد بن سودة ص ص 136، 137

[4] – **المرجع نفسه**، ص ص 39-141

[5] –محمد شاكر، **مرجع سابق**، ص334

[6] أ– نجيب زينب، **المرجع السابق**، ص145

وبعد تمرد اخيه هشام انقلب ضده الجنود وبايعوا اخاه هشام فدخل مراكش وعاقب أهلها وكان قد أصيب في المعركة فتوفى بعد زمن قليل عام 1206هـ[1].

8-حكم السلطان عبد الرحمان بن هشام:

بويع عيد الرحمان بن هشام يعد وفاة عمه سليمان الذي كان يقدمه على أبنائه لما عرف منه صلاح، وكان مقيما في تافيلالت فولاه عمه ميناء الصويرة فكان حسن السيرة فولاه بعدها فاس وعهد له بالخلافة من بعده[2]، وقد اهتم هذا الاخير ببناء الاسطول ورعاية العلم كما احتلت في أيامه فرنسا الجزائر فقام بمساعدة الامير عبد القادر غير أن فرنسا قامت بتهديده واحتلت مدينة وجدة فوجه عيد الرحمان جيشا لاستعادتها غير انه هزم أمام الفرنسيين فاضطر لنفي الامير عبد القادر من المغرب ؛ كما عقد اتفاقية تجارية مع انجلترا 1237هوتوفى بمكناسة 1279هـ[3].

9-حكم السلطان محمد الرابع:

هو الابن الرابع لعبد الرحمان تولى الحكم بعد وفاة والده وكان مقدما أيام أبيه ومفوضا في أمور الدولة يقود الجيش ويعين ويعزل فكان ساعد والده الأيمن' اهتم بإنشاء جيش نظاميا يتشكل من فيالق ومشاة وسلاح الفرسان كما عزز جيشه بمدافع جديدة و بأسلحة تقليدية مثل المنجنيقات والمهاريس كما استحدث السلطان فيلقين نظاميين متحركين زودها بالأسلحة الحديثة وأعطى قيادتها لضباط من رفاق الامير عبد القادر الذين اكتسبوا خبرة قيادية في الحرب ضد الفرنسيين واحرزوا انتصارات باهرة على القوات الفرنسية [4].توفى بمراكش عام 1290هـ وخلفة ابنه الحسن الاول وكان أبوه يعتمد عليه وقد سلمه قيادة الجيش[5].

10- حكم الحسن الاول: من أهم الاعمال التي قام بها اعادة تنظيم الجيش المبعثر ولم شمله بعد أن حرم المغرب من أسطوله القديم فأدخل نظام التجنيد الاجباري على المدن، ريثما يمكنه جمع المتطوعين من القبائل الريفية والجبلية التي لم تستسغ نظام التجنيد الاجباري ولكنه وقع في خطأ مدبر عندما لم يشكل قيادة مغربية عليا للاشراف على تنظيم الجيش وبدلا من ذلك اختار ضابطا انجليزيا وسلمه كتائب الجيش النظامي، واستقدم بعثة عسكرية فرنسية لتتدريب الجيش، كما أنشأ مصنعا للأسلحة في مدينة فاس وقيل في تبرير[6]، من جملة الاصلاحات التي أدخلها السلطان الحسن الاول على البلاد منع الاسترقاق وتحريمه وتنظيم الجمارك وكانت تسمى "الديوانة" وتنظيم البريد وانشاء مصنع في فاس لسك النقود وانشاء مصنع اخر لصنع الاسلحة؛كما انتهج الحسن الاول سياسة المرونة ضد المستعمرين لانها بنظره تجنب البلاد الكثير من الازمات والحروب ومن الامثلة على ذلك أن فرنسا التي تحتل الجزائر طلبت منه اقامة بعثة لها في وجدة القريبة على

---

(1) – محمد شاكر، **مرجع سابق**، ص334

(2) – محمد شاكر، **مرجع سابق**، ص334

(3) – **المرجع نفسه**، ص334

(4) – نجيب زينب، **المرجع السابق**، ص191

(5) –محمود شاكر، **المرجع السابق** ص335

(6) – نجيب زينب، **المرجع السابق**، ص ص 204، 205

الحدود الجزائرية لمعالجة حوادث الحدود بين المغرب والجزائر فوافق على طلبها حتى لا تقوم فرنسا باحتلال وجدة[1].

الحسن الاول ومؤتمر مدريد:

قرر السلطان الحسن الاول أن يتخلص من الامتيازات المخزنية المدمرة لسلطة الدولة المغربية وسيادتها والتي كانت من جملة التركة التي ورثها السلطان الحسن الاول عن أبيه فعمل على تخفيف مساوئها لذلك سعى الى عقد مؤتمر دولي في مدريد عام 1880م حضر مندوب السلطان وممثلو المانيا وايطاليا والنمسا وبلجيكا وهولندا والدانمارك والسويد والنرويج والبرتغال و"و.م.أ"، ولكن النتيجة لم تكن في صالح المغرب لان الدول الغربية تأمرت عليه وذلك بإبقائها للامتيازات والحماية لا بالنسبة لدول الثلاث فقط بل لجميع الدول التي حضرت المؤتمر وكان المطلب الايجابي الوحيد للمغرب هو الاعتراف بها كدولة حرة تحت سيادة السلطان[2].وقد توفي في تادلا عام 1894م عندما كان بطريقه الى الريف لقمع فتنة استجدت هناك بعد أن حكم 31سنة

10-حكم السلطان عبد العزيز:

كان الحكم في أيام الحسن الاول بيد الوزير "باأحمد" وهو اين جارية سوداء وكانت قبضنه على السلطة جيدة ؛فلما توفى الحسن الاول عام 1311هـ أخذ الوزير باأحمد البيعة لعبد العزيز بن الحسن الاول وقد عرف هذا الأخير بالإسراف مما ألزمه الاقتراض من البنوك الأوربية التي أخذت تتدخل في شؤون المغرب وخاصة بنك فرنسا وهولاندا ؛كما أن فرنسا أخذت تتحين الفرصة للانقضاض على المغرب وكذلك كانت اسبانيا التي تملك أجزاء ومدنا على السواحل المغربية مثل سبتة ومليلة.

وفي مؤتمر الجزيرة الخضراء؛ حاول السلطان عبد العزيز ومجلس الاعيان أن يعرض أمر مراكش على مؤتمر دولي اضعافا لنفود الفرنسي، وقد انعقد مؤتمر الجزيرة في 20دي القعدة 1323هـ حتى 24ربيع الثاني1324هـ وحضره ممثلو 15 دولة ومن أهم ما جاء فيه:

أنه تم الاعتراف بسيادة السلطان واستقلاله ووحدة أراضيه، ومساوات الدول جميعا في تجارتها مع مراكش ومساعدة السلطان على عبد العزيز على تنفيد يرامج الاصلاح ؛وتأسيس مركز مصرفي برأس مال دولي وتشكيل قوة من الشرطة لحفظ الامن الداخلي وتكون فرنسية اسبانية بأمرة سويسرية وكل منها في منطقة نفودها، كما توضع الجمارك تحت رقابة دولية وتوزع امتيازات المشاريع الاقتصادية بين شركات مختلف الدول وقد كلفت فرنسا بحماية حقوق جميع الدول في مراكش شريطة الاعتراف باستقلال البلاد.

وبهذا كان مؤتمر الجزيرة مظاهرة كبرى للدول الأوربية للتدخل في شؤون المغرب وتقاسم الارباح الناتجة عن ذلك التدخل وفرض سيطرتها على الحياة الاقتصادية والمالية والجمركية في المغرب الأقصى.

وفي السنة التالية لمؤتمر الجزيرة الخضراء قامت فرنسا بإثارة الفتن والاضطرابات في البلاد لخلق مبررات التدخل العسكري

---

(1) - **المرجع نفسه**، ص 207

(2) - نجيب زينب، **المرجع السابق**، ص210

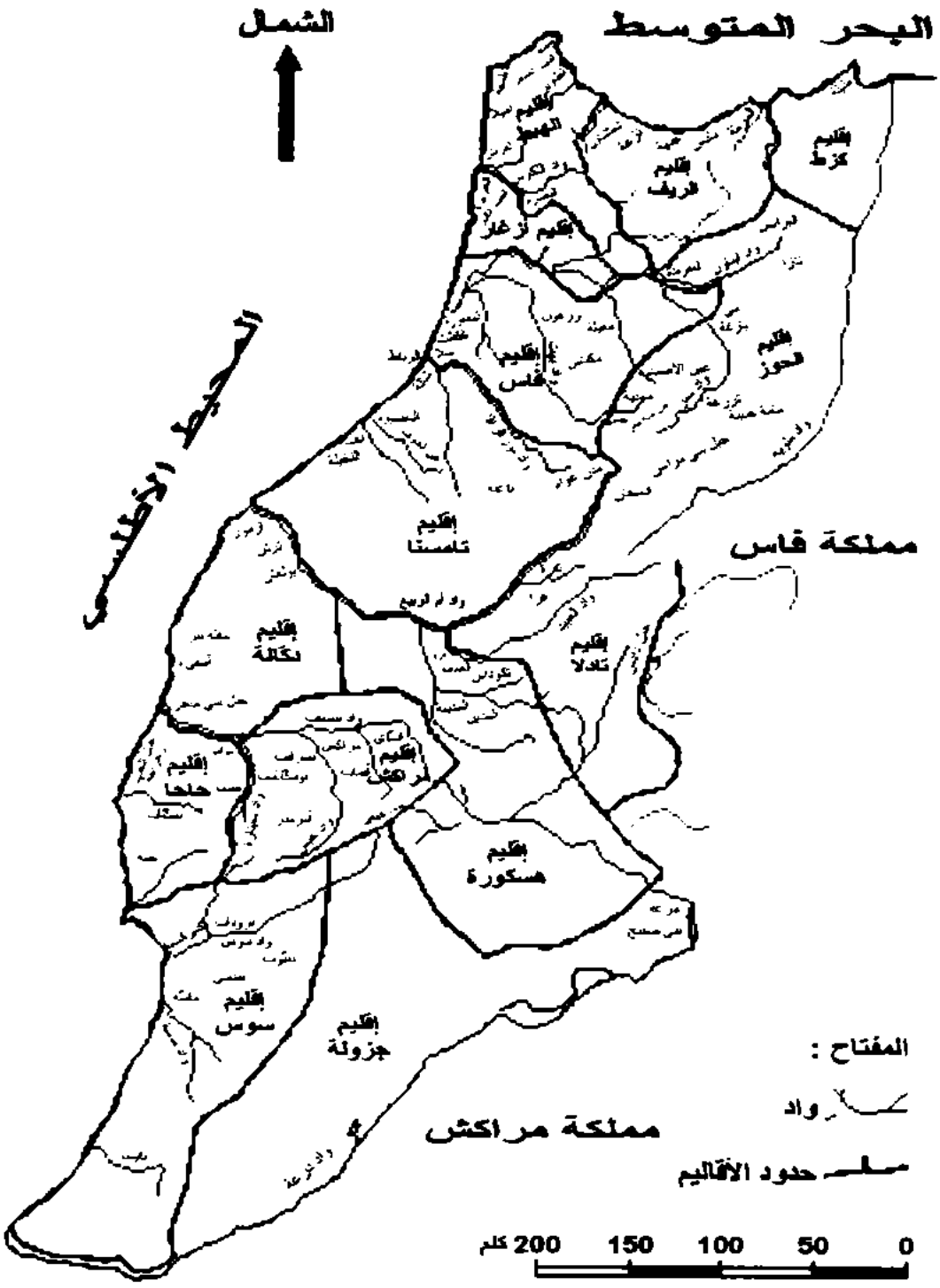
ففي 22مارس1907م قتل الدكتور "موشان" في مراكش الواقعة في جنوبي البلاد، فوجدت فرنسا في مصرعه سببا يحثها غلى التدخل عسكريا واجتازت قواتها الحدود المغربية من الجزائر واحتلت مدينة وجدة شمال شرقي المغرب، وبنفس الطريقة الانفة الذكر وقعت حادثة أخرى في مدينة الدار البيضاء حيث ضربت الدار البيضاء بالقنابل من واحتلوا المدينة كما احتلت مراكز بشار وقرطاسة والهضاب العالية والمشرفة على مدينة الملوية سنة 1906م، وتذرعت لهذه الحملة بحجة أن عاملي وجدة وتافيلالت خرقا الحدود ولان السلطان عبد العزيز استقبل زعيم ثورة الجنوب "ماء العينين" وغير ذلك من الاحداث التي جرت في طنجة والصويرة ضد الفرنسيين ومقتل الدكتور "موشان الفرنسي"، وبعد حادث احتلال الدار البيضاء احتلت القوات الفرنسية مدينة الرباط وطلبت فرنسا من السلطان تعويضا قدره ستون مليون من الفرنكات وأضافت فاتورة بقيمة 13.069.600 تعويضا على الاضرار التي لحقت بالتجار الفرنسيين أثناء الحملات التأديبية التي قامت بها القوات الفرنسية ضد المغاربة، وبذلك فرض السلطان عبد العزيز ضرائب جديدة وثقيلة على السكان ليتمكن من جمع جزء من التعويض المطلوب وقد اعتبر الشعب المغربي تلك الضرائب مهينة بكرامتهم واندلعت الثورة اثر ذلك مباشرة ففي عهد هذا السلطان المتخاذل فرضت على المغرب معاهدة الجزيرة الخضراء التي أدت الى احتلال فرنسا الاجزاء من أراضي ومدن المغرب لذلك كان عهد عبد العزيز تتمة لعهود الانهيار المغربي السابقة [1].

وأخر ما يمكن قوله أن ظهور الدولة العلوية تحصيل حاصل للأوضاع التي كان يعيشها المغرب في تلك الفترة فبوفاة السلطان المنصور عمت الفوضى السياسية وظهرت الزعامات المحلية الدينية والعسكرية، ضف الى ذلك الاطماع التوسعية للأوربيين على حساب المغرب لذلك ازدادت حاجة الناس لقيادة جديدة قادرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية وقد وجدوا ضالتهم عند الأشراف العلويين والتفوا حولهم

-بعدما دخل عهد جديد اتسم بنوع من الاستقرار خاصة في عهد محمد ين عبد الله وسليمان بن محمد الثالث غير أن سياسة التسامح التي تميز حكام هذه الفترة زاد من التدخل الاجنبي في المغرب عن طريق الامتيازات الممنوحة التي اتخذت فيما بعد ذرائع للتدخل العسكري بالمغرب.وكانت خلالها الاحداث تسير مع الثورة الفرنسية وقيام صراع قوي في اروبا كما أن الاوضاع في المغارب كانت في تقهقر في جميع المجلات مما شجع على هجوم المستعمر على السواحل المغاربية.

[1] – نجيب زينب، **المرجع السابق**، ص ص 242، 244

أقاليم المغرب الأقصى



المحاضرة 6: تطور نظام الحكم في تونس

مقدمة

عرف المغرب العربي ضعفا سياسيا وعسكريا سادته دويلات ضعيفة متصارعة فيما بينها، وقد أدى هذا الضعف إلى طمع الإسبان في بلاد المغرب[1] وخاصة تونس ما بين الفترة الممتدة من 1492-1541م، التي بدأت فيها التحرشات الاسبانية علي سواحلها ومحاولة السيطرة على جربة باعتبارها مفتاح حوض البحر المتوسط، [2] ومن ثم بدأت مرحلة جديدة من الصراع العثماني والاسباني في حوض البحر الأبيض المتوسط مما دفع الأهالي إلى الاستنجاد بالدولة العثمانية، واستطاع "سنان باشا" تخليص تونس من أيدي الإسبان سنة 1574 م وبذلك امتد النفود العثماني الى تونس عام كما أشرنا سابقا، وعمل على تنظيم إدارة الإيالة، وقد ترك فيها أربعة ألاف إنكشاري[3]. وكان هذا التاريخ هو بداية التواجد العثماني في تونس والذي سيبقى إلى غاية انتصاب الحماية الفرنسية عليها سنة 1881 م.

شهدت تونس تحت حكم العثمانيين أنظمة حكم مختلفة، هي الباشاوات والدايات، ونظام البايات[4]، امتدت على طول ثلاثة قرون كاملة. وقد كانت تونس في البداية تابعة للولاية الجزائرية لكنها فيما بعد أخدت الاستقلال لتصبح ولاية مستقلة تتبع الباب العالي من الناحية الروحية على أساس وحدة العالم الاسلامي وكان حكامها في البداية يطلق عليهم "داي" منذ 999هـ/1590م

أولا– نظام الباشاوات 1591 – 1574 – م.

يعتبر نظام الباشاوات أقصر أنظمة الحكم في تونس، حيث حكم البلاد خلال هاته الفترة عدّة باشاوات هم :حيدر باشا 1575 - 1574 (م)، ورجب باشا 1579 - 1575 (م)وجعفر باشا(1581-1579م) ومصطفى باشا (1581-1585م م)وحسن باشا (1558م-1587م)، ومحمد باشا (1587م-1590م)، وأخرهم جعفر باشا (1590-1591م).

---

(1) بعد سقوط الأندلس سنة 1492 بدأت مملكة فرديناند بالتحرك للقضاء على أخر معاقل المسلمين في الأندلس، بعد تحصلها على الدعم الأوروبي والبابوي، ومتابعة الفارين إلى شمال إفريقيا أو مايعرفون في التاريخ باسم الموريسكيون، للمزيد ينظر: أنطونيو دومينيغيث أورتيث وبيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، ط1، تر: محمد بنيابة، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص7، ينظر أيضا:
Fernand braudel، **les Espagnols et la Berbérie de 1492–1577**، belles-lettres، 2éme، éd، 2013، p 15.

(2) شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تع:محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، ط3، 1994، ص ص73، 74

(3) حسين خوجة، **ذيل أهل الإيمان بفنوحات آل عثمان**، تح:الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975، ص ص 87، 88 ؛ ينظر أيضا: رشاد إمام، **سياسة حمودة باشا في تونس (1782–1814)**، منشورات الجامعة التونسية، تونس،، 1980، ص 47.

(4) امتد الحكم العثماني في تونس سنة 1574م، و يتم التعيين من طرف الباب العالي، إلى غاية دخول الفرنسيين 1881، ينظر: وليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تح: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 136 137، ينظر أيضا: الحبيب ثامر، **هذه تونس**، (د.ط)، مطبعة الرسالة، مكتب المغرب العربي، (د.م)، (د.س)، ص 21

و كانت تقام الخطبة على المنابر باسم السلطان العثماني وما إن فتح سنان باشا تونس سنة 1574 م، حتى أنشأ بها ديوانا يجمع مسؤولين لتسيير شؤون البلاد [1] وكان السلطان العثماني هو من يرسل الباشا إلى تونس، حيث يقيم فيها مدة ثلاثة سنوات والهدف من تعيين الباشا ثلاثة سنوات هو خوف العثمانيين من استئثار الحاكم بالسلطة لنفسه، غير أنّ مدة الثلاث سنوات لم تكن دائما ثابتة، حيث استمر بعضهم حتى بعد انقضاء فترة حكمه، ؛ **كما اعتمدت على الجيش الانكشاري الذي تركه سنان باشا** وينقسم الجيش التونس إلى فرق عديدة، تتكون كل فرقة من مائة داي- أي جندي-، ويرأس كل فرقة آغا، ويرى بعض المؤرخين أن الجيش الإنكشاري كانت مهمته حماية الأقلية التركية في تونس، غير أنّ قولا مثل هذا لا يستند دائما إلى الصواب، حيث لعب الجيش دورا بارزا في الذفاع عن البلد من الهجمات الخارجية، وفي أحيان أخرى بلغ به الأمر إلى اختيار المصلحة الداخلية على الخارجية أو حتى الولاء للسلطان نفسه ؛، **كما كان للباشا** مستشاروا وهم هم خمسة [2]:الخازندا ر؛خوجة الخيل.؛الأغا.؛والبيت مالي.؛وكيل الخرج.

وقداهتم الباشا في الغالب بجمع الثروة، حيث كان يصل عند انتهاء عهدته إسطنبول محملا بالذهب والفضة، وهذه الغفلة جعلت جيش الإنكشارية ينمو ويزداد سطوة حتى أصبح ديوان الإنكشارية أداة تمتلك السلطة الحقيقية في يد القادة العسكريين.

كما برزت ثنائية السلطة داخل هذا الجهاز عالى جانب الباشا كان الاغا رئيس الديوان صاحب القرار الميداني في ظرف تميز بأسبقية المهام الحربية العسكرية على جانب تحديد الفترة الزمنية وقد أدى هذا الوضع الى غلبة رؤساء الطائفة الانكشارية وتحييد الباشا كحاكم سياسي وتهميشه وبالفعل سرعان ماتحول ديوان الانكشارية من مجلس عسكري أعلى له صلاحيات سياسية استشارية الى هيئة عسكرية تنفيدية صاحبة القرار والنفوذ في كافة شؤون الولاية، ورغم قوة الجهاز العسكري العثماني مع ذلك خلق هذا الصراع بدوره سطوة القبائل العربية في الداخل، فشوكة القبائل كانت قوية داخل البلاد وكما ذكر ابن أبي دينار في كتابه المؤنس"فان القواد الذين توزعوا في البلاد وخرجوا بمحالهم استحال عليهم تمهيد البلاد وقد استحود عليها الاعراب كأولاد سعيد بالوسط والجبالية أمثال عمدون والوسلانية وغيرهم..."

إضافة الى التحديات الداخلية واجهت تحديات خارجية على الحدود الجنوبية الشرقية والحدود الغربية فكان ولاة طرابلس يمدون نفوذهم انطلاقا من جربة حتى جهة صفاقس وكان التنافس قائما بين ولايتي طرابلس والجزائر على حساب تونس، وقد تظافرت كل هذه العوامل لتحد من اتساع المجال الترابي للسلطة الجديدة فكان على الاتراك استنباط نظام جديد واعادة ترتيب أجهزتهم وهياكلهم بحثا عن نجاعة أكثر لاستكمال نفودهم[3].

وأمام الوضع العام الذي ساد البلاد أعلن أربعون دايا الثورة ضد الباشوات سنة 1591 م يطلق عليها انتفاضة الجند، حيث اتفقوا مع وكيل الخرج طبال رجب أين أبقى مخزن الأسلحة مغلقا الأمر الذي جعل أعضاء الديوان غير قادرين عن

---

(1) – فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، **الحكم العثماني في الجزائر وتونس د ا رسة مقارنة**، دورية كان التاريخية، ع37 ، سبتمبر 2017 م، ص11 .

(2) – عبد الحميد الأرقش وآخرون، **مرجع سابق**، ص55

(3) – **المرجع نفسه**، ص ص 55، 56

الدفاع عن أنفسهم"، وعيّنوا ابراهيم ولد علي حاكما على البلاد، واضطر الباب العالي الرضوخ إلى الوضع الجديد، حيث اعترف بحكم الدايات.[1]

ثانيا–تظام الدايات (1591– 1632):

ولد هذا النظام الجديد وفق ظهور بوادر أزمة مالية اقتصادية بدأت تعيشها البلاد والسلطة الجديدة منحصرة في مدينة تونس وأهم المراكز الحضرية فاستغل الجند هذه الظرفية وقاموا بانقلاب عسكري في اكتوبر 1591م ؛وقد استهدف هدا الانقلاب كبار الضباط وأعضاء الديوان من البلوكباشية وكان ذلك بسبب احتكار الامتيازات من قبل الفئة العسكرية على حساب الجند والأهالي وقد تفاعلت بعض شيوخ القبائل مع ذلك الانقلاب الذي أسفر عن قتل البلوكباشية وتعويضهم بالديوان الصغير "اوضباشية"سموا بالدايات مند اكتو بر 1591م.وقد انتقل الحكم الفعلي من الباشوات إلى الدايات الذين تمكنوا من فرض نفوذهم قرابة النصف قرن بفضل الشخصيات القوية مثل عثمان داي (1594–1610م)ويوسف داي(1610–1637م)[2]. أين شهد هذا العهد استقرار سياسيا

ونشاطا بحريا ملحوظا، خاصة مع وجود رياس متميّزين أمثال الرايس وارد الذي فرّ من البحرية الإنجليزية، واعتنق الإسلام.[3] ويذكر بعض المؤرخين أن نظام الدايات هو عبارة عن نظام ديمقراطي عسكري، غير أنّ وصول الداي عثمان باي إلى السلطة عجل في تحول هذا النظام ليصبح نظاما أوتوقراطي عسكريا، أين أصبح الداي ذا صلاحيات كبيرة وشبه مطلقة[4].

وبنجاح الانقلاب انبثقت عنه سلطة عسكرية انقسمت إلى مجموعة الدايات الديوان وأصبحت بدلك القرارات داخل هدا المجلس جماعية كما أصبح التمثيل داخله قاعديا، غير أن هده التجربة لم تنجح اد سرعان ما ظهرت داخل الديوان بعض المحاولات التي انفردت بالسلطة وكانت أول محاولة ناجحة لعثمان داي 1598م ومند هدا التاريخ حقق الدايات ابتداء من عثمان داي (1598م – 1610م) إلى احمد خوجة داي[*] (1640–1647م) سلطة ذات سيادة في الداخل والخارج بالرغم من بقاء روابط التبعية للباب العالي [5].يعتبر هذا الأخير من آخر الدايات الأقوياء ويُذكر في الأسطورة" أن أحمد خوجة كان قد دخل حماما ببلدة المذكور صناب، وجلس بين يدي الطيّاب وكان الطيّاب ذا خبرة

---

(1) – حسين خوجة، **بشائر أهل الايمان في فتوحات آل عثمان**، المطبعة الرسمية العربية، تونس، 1908، ص03 – 02

(2) –محمد الهادي شريف، **تاريخ تونس من عصور مافبل التاريخ الى الاستقلال**، ط3دار نراث للنشر، تونس 1993، ص55.

(3) Vitkus Daniel ،**Three Turk Plays from Early Modern England**: Selimus ،a Christain Turned Turk ،and the Renegado ،New York: Columbia University Press ،2013 ،p24.

(4) –توفيق البرشوش، **جمهورية الدايات في تونس 1675 – 1591** م، مجموعة أيام الناس، (د.ت)، ص132 وعبد الحميد الأرقش وآخرون، مرجع سابق، ص34

(*) –كان الداي عثمان تركي المولد، تولى حكم تونس خمسة عشر سنة، استغل فيها سلطته على الإنكشارية ليتخطف الحكم لنفسه، حيث كان يعلم يجّدا خبايا الجيش الإنكشاري حيث ترقى في الرتب تدريجيا طيلة السنوات التي قضاها في تونس، وحكم البلاد وعمره خمسين سنةDe Brevés .، Relation de Voyages، Paris، 1628، .p309 وتوفيق البرشوش، مرجع سابق، ص137

(5) – لرقش دلندة، **المرجع السابق**، ص57

بفن الفراسة،

.قال له: ياهذا إنّك إن خرجت من بلدك هذه تتولى سلطنة، فلما خرج من الحمام سافر إلى إسطمبول فوجد بها غلائط تونس، فركب فيها وقدم إلى تونس وكان من أمره ما كان [1]، وقد شهد عهد عثمان داي سيطرة تونس على الجبهة الداخلية ونشاطا بحريا في المتوسط، "خاصة مع قدوم رجال بحر أقوياء مثل وا رد الإنجليزي، والذي علّم التونسيين طرق الولوج إلى المحيط الأطلسي "فكثرت الغنائم أما داخليا فقد تمكن القائد رمضان باي من قمع القبائل المتمردة مثل: أولاد شنوف وأولاد سعيد وألزمهم بدفع الضريبة .[2]"

وقد خلف الداي عثمان على هرم السلطة الداي يوسف بين سنتي 1637 - 1610 م، وكان أصله من الجيش الطرابلسي، حيث يذكر المنتصر ابن المرابط" أن الداي يوسف حكم عليه بالنفي من طرابلس إلى تونس "[3] ؛وقد برز النشاط البحري في عهده، وفي المقابل اشتد عود البايات، حيث لعب مراد باي (1612-1631م) دورا بارزا في منصبه، حيث جعل من منصبه وا رثيا فخلفه ابنه حمودة بك عام 1631م.، وأمام تنامي نفوذ البايات أصبح الباب العالي أمام حتمية الاقرار بهذا النظام الجديد، فاعترف السلطان العثماني بالباي سنة 1631 م، "خاصة مع تنامي نفوذ الباي في الداخل حيث لم تتبقى للداي سلطة إلا على حاضرة تونس وضواحيها.[4]

ثالثا– ظروف قيام الأسرة المرادية (1631–1702)

شهد الربع الأول من القرن السابع عشر ظهور بايات أقوياء تمكنوا من السيطرة على المناطق الداخلية، ورغم أن أول البايات هو رمضان باشا الذي عيّن سنة 1599 م، إلاّ أن سطوتهم ونفوذهم الفعلي لم يحدث سوى في عهد الباي مراد كورسو مؤسس الأسرة المرادية18 "[5]، حيث قام الاخير بقمع ثورات القبائل العربية في الداخل، ونظير جهوده اعترف به السلطان العثماني ومنحه لقب الباشا سنة 1631 م، ومنذ هاته اللحظة ا زاد نفوذ الباي وتوسع حتى لم يصبح نفوذ الداي مشتملا إلا على حاضرة تونس.19

1–التعريف بالأسرة المرادية:

الجدير بالذكر أنه خلال القرن 17 م انتشر الجهاد البحري بشكل كبير، ممّا أثار استياء الدول الأووبية [6]، وخلال هذه الفترة برزت مرحلة البايات وتراجع دور الدايات [7]، وكانت البداية مع الأسرة المرادية، التي قامت بتونس، وأسسها

---

[1]– توفيق البرشوش، **مرجع سابق**، ص136

[2]– عبد الحميد الأرقش وآخرون، **مرجع سابق**، ص58

[3]– توفيق البرشوش، **مرجع سابق**، ص136 .

[4]–الارقش الدلندة واخرون، **المرجع السابق**، ص 54

[5]– اطمة الزهراء آيت بلقاسم، **مرجع سابق**، ص11

[6]– رشاد إمام، **المرجع االسابق**، ص 53.

[7]– أحمد إبن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، تح: لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأُخبار، الدار العربية للكتاب، تونس، (د س ن)،، ص 41.

"مراد كورسو"سنة (1612- 1702)، قسمت فيها تونس إلي نظام البايات[1]، تداول عليها مجموعة من الحكام، وبذلك أصبح الحكم وراثيا في هذه الأسرة بفضل "مراد باي" الذي عمل على توريث منصب الباي في سلالته[2].

اعتمدت هذه الأسرة الحاكمة على مداخيل الجباية والانفتاح على رؤساء التجمعات الداخلية ومتنوا روابطهم المصلحية بهم وتحالفوا مع عدة قبائل ذات تقاليد عرقية في الخدمة المخزنية وذلك لإخضاع القبائل الخارجة عن سلطة الدولة، وبذلك تراجعت سلطة الدايات لتقوم سلطة البايات المراديين[3].

2-التعريف بمؤسسها:

مراد باي أو مراد الأول أو باي الأول أو مراد كورسو هو أول البايات المراديين ومؤسس الأسرة المرادية بتونس، تولى من الحكم عام 1613إلى غاية وفاته عام 1631، وهو أصيل جزيرة كورسيكا، عرف باسم "جاك سانتي" أسر وهو يبلغ من العمر 09 سنوات وتم بيعه عبدا للباي "سليمان" بتونس، الذي أسماه "مراد" ورباه علي يده وقام بتزويجه إحدى بناته، ثم منحه (لقب الباي) [4]، واستغنى "مراد من القرصنة في البحر الأبيض المتوسط وعمل علي كسب ثقة الدايات والباشا بتونس[5]، وهو ما تمكن منه إذ صار أكثر البايات المحبوبين بتونس في مطلع القرن السابع عشر الميلادي، ثم منحه السلطان العثماني عام 1631(قبل وفاته)لقب الباشا (الذي حمله مع لقب الباي)ثم ترك ولاية العهد لابنه حمودة باشا [6] مؤسسا بذلك الأسرة المرادية بتونس، كما أنه يتمتع بذاتية وقرار عقد معاهدات وصلح وسلام وتجارة مع أكبر البلدان الأوروبية في ذلك الوقت.

3-قائمة البايات المراديين:

1-حمودة باشا (محمد باشا)1631_1666: هو ثاني البايات المراديين وأطولهم فترة في الحكم، كان حمودة باشا الإبن الوحيد لمراد باي الأول، . وقد تولى منصب الباي عام 1631خلفا لوالده، وفي عهده تم بناء منشأت عديدة أهمها: دار الباي [7].

---

(1)- أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر نفسه**، ص 41.

(2)-شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، تع: محمد مزال والبشير بن سلامة، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس، 1983، ص 279.

(3)-عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286، ص225، 260

(4)-محمد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح:حمادي الساحلي، والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 50.

(5)-أحمد زكرياء الشلق، **العرب والدول العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 – 1916**، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2002، ص ص 132 -133.

(6)-إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ص 138.

(7)-عبد الله الشيخ بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286، ص139.



- مراد الأول (1628 - 1631)

- حمودة باشا (1631 - 1662)

- مراد الثاني(1662 - 1675) :استأثر بالسلطة بعد أبيه وكان شجاعا منصفا ؛ أخمد عدة ثورات حيث أخمد ثورة ضدعثمان باشا والي طرابلس الذي ثار عليه جند الانكشارية وقتلوه فأسرع مراد الى اخماد الثورة وعين أحد ابناء المقتول ؛كما خمد ثورة أهل جبل وشلات سنة 1663م، وبعد وفاته تنازع أبنائه على الحكم وزعزعوا عرش بنو مراد.

- محمد الثاني(1675 - 1675) :بعد وفاته اتفق أهل الحل والعقد على تنصيب محمد باي وهو الرابع من بينهم ولم يلبث أن حسد من طرف عمه (محمد الحقصي*(وأخد في زره الفتنة حيث أغرى شفيقه علي بالمطالبة وحقه بالولاية وحتى يتمكن من ذلك رجع الى داي المتولى انداك وهو "مامي جمل"فاستعان به علي لبلوغ غايته[1]

-علي الأول(1675 - 1675) : وقد أخد البيعة في مدينة تونس وبهد توطيد الامر بها خرج بمحلته لجباية الاموال فما ان بلغ القيروان حتى فاجأه الخبر بأن أخاه استولى على بلاد الجريد فأقله في اثره ولما شارف قفصة دخلها في جمع عظيم واستقر بها قليلا ريثما قدم أخوه علي فتقاتلا وقد تجرع السكان الامرين بسبب تنازع الاخوة الى أن قدم عمهما من الاستانة متقلدا منصب الباشا من الباب العالي وانتهز عترة صراعهما خارج العاصمة واستولى عليها وزادت الاوضاع سوء وارتباكا[2]

-محمد الثالث (1675 - 1675)

(*) - ان محمد الحقصي قام لحكم منطقة الكاف غير ان مراد باي تمكن من استرجاعها ولما عجز محمد الحفصي عن المقامة جمع الديوان بالحاضرة وأشهد نفسه بالخلع واستقدم ابن أخيه محمد وقد زحق محمد بتنصاره الى ابواب تونس واشترط خروج عمه الحفصي منها وابعاده عنها فركب هذا الاخير البحر وقصد الاستانة. محمود مقديش، **نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار**، م2، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت 1988، ص 107.

[1] - **المرجع نفسه**، ص109.

[2] - **المرجع نفسه**، ص109.

-محمد الثاني (1675 - 1676) للمرة الثانية

- علي الأول (1675 - 1688)

- محمد الثاني (1688 - 1695) للمرة الثالثة

- رمضان باي المرادي(1695 - 1698) : كان هدا الاخير ضعيق العزيمة خمولا ميالا للهو وقد فوض امر الولاية الى بعض معاونيه كما انه بنى كنيسة لامه بعد وفاتها لانها كانت نسيحية بباب قرطاجة وهي أول معهد للنصرانية وقد ثار عليه اين اخيه "مراد بن علي" وقتله وتولى مكانه[1].

- مراد الثالث (1698 – 1702) المدعوا مراد بوبالة: وقد استباح هذا الاخير كل المحرمات سواء من خلال هتك الحرمات أو المجاهرة بالفواحش كما اشتهر بحي سفك الدماء حيث كان له سيف يسمى "البالة"[*] حتى انه كان اذا لم يقتل يقول "ان البالة قد جاعت"لهدا عرف باسم مراد بوبالة. [2]

4-الأوضاع السياسية والعسكرية في عهد الاسرة المرادية:

تشير العديد من الدراسات إلى أن الحكم العثماني بتونس غلب عليه سيطرة ثلاث أطراف، وتتمثل في كل من الداي والباشا والانكشارية، [3] غير أن حكم الداي لم يدم طويلا في هذه الإيالة وبرزت سلطة الباي [4]، وهذا ما تجسّد في حكم الأسرة المرادية في تونس الذي كان بداية من سنة 1612 م.

والجدير بالذكر أن الدراسات التونسية قد أشارت إلى أن هناك منافسة شديدة بين سلطتي الباي والداي حول بسط النفوذ في البلاد، ومحاولة كل طرف التوسع على حساب القبائل المحلية [5]، حيث شهدت القبائل صراعات داخلية بسبب التمرد، وعلى سبيل المثال قبائل الكاف، القيروان...[6].

وبناءا على هذا قام مراد الاول وابنه حمودة باشا بعدة اصلاحات [7] أهمها العمل على كسر شوكة القبائل المحاربة الكبرى (أولاد شنوف، واولاد سعيد)، أما المجتمعات البدوية الأقل شوكة التي تعيش في الأماكن أقرب لم يكن أمامها إلا

---

[1]- حسن حسين هبد الوهاب، **المرجع السابق**، ص142

[*]- البالة عي لفظة تركية لنوه من السيوف حاد الشفرتين.

[2]- حسن حسين هبد الوهاب، **المرجع السابق**، ص142

[3]-**الداي**: يطلق على الملازم في الخدمة عند الإنكشارية، ينظر: حسن الحلاق، عباس صباغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية والأصول العربية والفارسية والتركية**، ط1، دار العالم للعالمين، بيروت، لبنان، 1999، ص 88

[4]-محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق.تح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 16

[5]-الشافعي درويش، **علي باي الحسيني التونسي 1759-1782، (مواقف من سياسته)**، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والانسانية، ع 3، المركز الجامعي، غليزان، الجزائر، 2021، ص 726.

[6]-أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1، مطبعة الدول التونسية، تونس، 1287 هـ، ص ص 370، 371.

[7]-عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر**، ج2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 343

الاستسلام، وأيضا إنشاء الجيش وتطويره من خلال دمج الأهالي من قبيلة زواوة (هم مشاه مستجلبون من القبائل البربرية وينظمون حسب النمط العثماني) السبايحية (وهم فيلق من الفرسان بمثابة الجندارمة)..

لكن هذه الأوضاع لم تدم لفترة طويلة الأمد، فبعد بوفاة "مراد باي" ابن حمودة باشا ابن مراد باي مؤسس البيت المرادي، تولي الحاج "محمد اوغلو" الحكم اضطربت الأوضاع، وهذا بسبب جهله لأمور التسيير، وسرعان ما تمّ خلعه وطرده من طرف الديوان[1]، لتشهد هذه الفترة العديد من الصراعات والتمردات بين الأمراء بسبب تنافسهم على السلطة، كان لها تأثير كبير على المجتمع وتفاعله مع السلطة، ومثال ذلك صراع الأخوين "محمد باي" و"علي باي" مع عمهما هذا ما قادهم إلى نهاية الحكم المرادي سنة 1702م[2].

إن هذا التنافس السياسي خلال 1675_1686 بين محمد وعلي أبناء مراد الثاني وعمهم، قد انتهى بابعاد "محمد باي" عمه "محمد الحفصي" وقتل أخيه بمساعدة الجزائر، ضف إلى ذلك الحروب التي دارت بين أفراد البيت الحاكم، ممّا أدخل البلاد في حرب أهلية دامت ما يقارب عن 20 سنة أي من 1677_1699 [3].

مميزات الحكم المرادي

لقد اقترن ظهور الباي بمهمة قيادة المحال وترويض القبائل وضمان ربح جبائي وكان القائد رمضان هو أول باي عينه الدايات (1599-1613) ؛ غير إن هذا النظام لم يبرز إلا مع مملوكه مراد كورسو[*] الذي عينه يوسف داي على المنصب اثر وفاة سيده في 1613م ورغم الظروف الحرجة التي ميزت فترته لا سيما حرب تونس ضد الجزائر في 1628م حول قضية الحدود، مع ذلك تمكن مراد كورسو من تركيز المنصب في أفراد الأسرة المرادية وواجه مختلف المصاعب لا سيما قمع تمردات القبائل كقبائل جبل وسلات وعمدون وأولاد سعيد واولاد حمزة واولاد بالليل وغيرها وازداد نفوذه بحصوله على لقب الباشا من الباب العالي فأصبح بدلك يمثل سلطة موازية لسلطة الداي وذلك سنة 1613م ومند ذلك الوقت أخدت أهمية كبرى وتحول النفوذ شيئا فشيئا من الداي إلى البايات الى أن استقلوا بالأمر تماما [4]، وقد خافت القبائل من سطوت البايات فأدعنت للجباية والطاعة؛كما تمكنوا من السيطرة على دواخل البلاد وأوطانها وذلك من خلال مدا خيل الجباية التي مكنته من تطوير الجيش من خلال تزويده بعناصر خاصة من القبائل المخزنية، كما قام بربط علاقات مع مختلف الفئات المحلية الحضرية والريفية وبتالي ضمن ولاء النخب المخلية الحضرية والريفية وأصبح الباي اواسط القرن 17 الحاكم الأول بالبلاد خاصة ببنائه لبلاط باردو وتنظيم الاحتفالات والولائم وتقريب الأدباء والشعراء وازداد نفوذ "حمودة باشا " مثلا

---

[1]-أحمد ابن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 43

[2]-أحمد بن تيشة، **الحياة السياسية والإجتماعية الثقافية في تونس خلال العهد العثماني _الأسرة الحسينية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، إشراف الدكتور مكحلي محمد، سيدي بلعباس،، 2021.2020م، ص 16، 24

[3] كوثر العايب، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711_1830)**، 2013، ص 82

[*] -هو مملوك من أصل كرسكي أسر صغيرا وأتي به الى تونس فاشتراه رمضان باي ورباه على قيادة المحلة فكان يحوي الارياف في مواهيد منتظمة ليستجلب الضرائب لمزيد من التفاصيل ينظر محمد الهادي شريف ا، **المرجع السابق**، ص 77.

[4] -حسن حسبن عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط3 دار الكتي العربية الشرقية، تونس1954، ص139.

بحصوله على لقب باشا 1658م

6- سقوط ونهاية الاسرة المرادية:

بعد ثورة "مراد الثالث" على عمه رمضان باي وقتله له ظهر "ابراهيم الشريف هذا الصراع وقام بثورة داخلية فقتل جميع افراد الاسرة المرادية واخذ منها لقب الباي في عام 1702م واتبعه برتبة الباي ثم تعيينه باشا من قبل السلطان العثماني، وبذلك جمع السلطات الثلاث في شخصه وقد كانت له حروب مع الجزائرين انتهت بهزيمته واسره فكانت ولايته ثلاث اعوام.قام الداي حمدان خوجة بأطلاق سراح ابراهيم الشريف باي تونس سابقا مقابل غرامة مالية كبيرة علي ان يسترجع عرش ويعترف بسيادة الداي، لكن بنزوله الاراضي التونسية تلقاه جند حسين بن علي بن تركي وقضى عليه عندما نزل غار الملح ودلك سنة 1703 [1].

كانت إيالة تونس في هذه الفترة الحديثة، تشهد الظلم والاستبداد الممارس على السكان والقبائل المحلية من طرف الحاكم "إبراهيم الشريف"[2] ومن أمثلة محاولة جمع الضرائب بالقوة في مختلف قبائل البدو، وأيضا دخوله في حرب مع أتراك الجزائر، والتي انهزم فيها وتم أسره سنة 1705 [3]، ومعاناة العناصر السكانية من نتائجها.[4].

وفي نفس السنة تمكن "الحسين بن علي" من الوصول إلى السلطة[5] والذي حاول هو الآخر القضاء على الخلافات والاضطرابات وتأسيس أسرة جديدة ذات حكم وراثي، امتد حكمها ما بين (1705/1785م) مستندا على الدولة العثمانية [6].

وبعد انفراد الحسين بن علي[7] بالحكم قام بالعديد المهام السياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية والتي بفضلها شهدت البلاد التونسية تطورا وازدهارا في شتى الميادين بحيث عمّ الرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي وهذا راجع إلى دهاءه وحنكته في التسيير والتنظيم[8].

وفي ظل هذه الأوضاع استفاد بايات تونس من التنافس الخارجي الحاصل بين الدول الأووبية، خاصة بين فرنسا

---

(1)-امال مسهل، **حمودة باشا الحسيني ودوره في بعث الوطنية التونسية 1782_1814**، 2016، ص13

(2)-تقلد وظيفة الباي بعد ان قضى علي مراد الثالث في جوان 1702، واكتسب لقب الداي ونال فرمان الباشوية من السلطان العثماني.

(3)-أحمد بن تيشة، **الحياة السياسية والإجتماعية الثقافية في تونس خلال العهد العثماني _الأسرة الحسينية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، إشراف الدكتور مكحلي محمد، سيدي بلعباس،، 20212020م، ص 24

(4)-لرقش دلندة، **المرجع السابق**، ص ص 59، 61.

(5)-للمزيد حول بن علي (1705_1740) والأسرة الحسينية، ينظر: محمد الهادي الشريف، **المرجع السابق**، ص 81

(6)-عبد الكريم غلاب، **المرجع السابق**، ص 351

(7)-حسين بن علي: هو أبو عبد الله حسين بن علي من أصل تركي من مواليد (1086هـ – 1675م)أتى لتونس كمتطوع للخدمة الوطنية وقامٌ بتأسيس أسرة حكمت تونس وذلك سنة 1705م ينظر: أحمد إبن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، تح: لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأُخبار، الدار العربية للكتاب، تونس، (د س ن)، ص ص 85، 86، 87

(8)-لندة الأرقش وأخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، تونس، 2003، ص 62 ؛ علي محجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، ط1، دار سراس للنشر، تونس، 1986، ص ص 17، 18

وانجلترا، وهذا ما جعلهم يتقربون إلى الدول الأوروبية لكسب ودّهم[1]، وذلك من خلال عقد اتفاقيات ومعاهدات صداقة بينهم.

علم الاسرة المرادية:



رابعا–حكم الأسرة الحسينية بتونس 1705–1882:

عرفت المرحلة الثالثة من الحكم العثماني بتونس، سيطرة سلطة الباي الذي تمكن من توطيد العلاقات مع الأهالي، والقضاء على مختلف الفتن والتمردات التي ظهرت خلال هذه الفترة، والحفاظ بشكل عام على أمن الإيالة، غير أن الأسرة المرادية انتهت على يد "إبراهيم الشريف " سنة 1702 م، ممّا أدى إلى اعتلاء الباي "حسين بن علي بن تركي" الحكم سنة 1705م، فكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة جديدة تحت حكم الأسرة الحسينية.

1– ظروف قيام الأسرة الحسينية:

–كانت هذه الفتن بداية على تراجع وضعف الأسرة المرادية في تونس، فأحيانا هناك استبداد في الحكم، فأرسل "ابراهيم الشريف" [2] بذلك إلى "مراد باي"، ممّا دفعه إلى الاصرار على حرب الجزائر 1702 م، ممّا أدى بالسلطان "مصطفى " إلى تكليف "ابراهيم الشريف" بقتل "مراد باي" وكتب له الولاية خلفا له [3]، وبعد ذلك قام "ابراهيم الشريف" بإخبار صديقه التركي "حسين بن علي " بهذا السر.

والجدير بالذكر أن "حسين بن علي" كان كاهية (نائبا) لمراد باي، ونظرا لذلك فقد كتب رسالة سرية إلى "مراد

---

[1] –محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي في العهد العثماني**، ج 7، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، 2000، ص 517

[2]–إبراهيم الشريف: هو ضابط تركي تولى مقاليد في تونس سنة 1702–1705، دخل في حرب مع دايات الجزائر، هزم وأسر سنة 1705، للمزيد ينظر: محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع:محمد شاوش، محمد عجينة، ط3، دار سلسلة للنشر، تونس، 1993، ص 80

[3]–ج أوهابنسترايت، **رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1445هـ–1732)**، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ص116 الوزير السراج، المصدر السابق، ص 673 ؛[3] أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 94.

باي"يخبره بهذه الفتنة، غير أنها لم تصل في الوقت المناسب، ولهذا تمكن "ابراهيم الشريف " من قتله في العاشر من جوان 1702 م، وأطاعه الجند بعد ما أظهر القرار السلطاني بتعيينه [1].

وعلى اثر القضاء على الأسرة المرادية خرج "حسين بن علي" إلى طرابلس خوفا على نفسه من "ابراهيم الشريف"، غير أن هذا الاخير راسله وأخبره بأن" تخلصه من "مراد باي" كان من أجل مصلحة المسلمين وطلب منه الإعانة من أجل تسيير الولاية [2]، ولهذا قرر "حسين بن علي" العودة إلى تونس.غير أنه لم يمض وقت طويل في حكمه لهذه الولاية حتى بدأ يغير سياسته ويستبد بالحكم، ويظلم الرعية ويسلب أموالهم، واستولى على منصب الداي، والملاحظ أن رسائله تحتوي على اسمه بصيغة جديدة وهي" ابراهيم الشريف باي داي" [3].

وقد قام هدا الاخير بتغيير سياسته الداخلية والخارجية في تونس، حيث اشتعل التوتر بينه وبين " باي طرابلس" خليل الأرنؤوطي"، غير أن الطاعون قضى على هذا الخلاف سنة 1705، كما أراد الدخول في حرب ضد الجزائر (عزم الداي مصطفى حجي من الجزائر على محاربة تونس)، فاتجه "ابراهيم الشريف " إلى الحدود الجزائرية التونسية، غير أن قبائل أولا سعيد خذلوه، وانضموا إلى الجيش الجزائري، كما خذله وزيره وصاحب سره "محمد بن مصطفى " [4]، بالرغم من هذه المعطيات إلا أن "ابراهيم الشريف"عزم على مقاتلة داي الجزائر، من جهة أخرى عارضه أيضا " حسين بن علي"، ممّا أدى إلى وقوع "إبراهيم بن شريف" في أيدي الجزائريين سنة 1705 م [5].

وأمام هذه المستجدات وخوفا من رد فعل داي الجزائر على تونس بعد القبض على "الشريف ابراهيم "، فقد اجتمع الجند وأهل العقد على مبايعة "حسين بن علي"، هذا الأخير لكنهم أصروا عليه[6]، فوافق على تولى الحكم منذ سنة 1705.

2- قيام الأسرة الحسينية (1705 -1735):

في ربيع الأول سنة 1118 هـ يوليه 1705م انتقلت الولاية تونس العثمانية إلى "حسين بن علي" فأسس أسرة حاكمة جديدة هي الأسرة الحسنية التي استفرد بالحكم في تونس إلى الاستقلال وإعلان الجمهورية بها عام 1958.

مؤسس هذا البيت "حسين باي "الأكبر يرجع أصله إلى جزيرة كنديا[7]، جاء والده خلال أوائل حكم المراديين، تقلد عدة مناصب مثل الانخراط في ديوان الجند ثم تقلد لرئاسة المتطوعين من الأعراب ولبث على هذه الخطة إلى وفاته سنة

---

[1]-احمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 95.

[2]-، **المصدر نفسه**، ص 95.

[3]-أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، **المصدر السابق**، ص 676، 395

[4]-البارون ألفونصو روسو، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تح و تر محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي (د.ت) ،، ص 156.

[5]-أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، **المصدر السابق**، ص 704.

[6]-أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 103، ينظر أيضا: عبد المجيد بن عمر العياري، **مكثر عبر التاريخ (1705-1755)**، ج2، تونس، 1997، ص 30

[7]-محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدول العلية العثمانية**، تحق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ص 288.

1143 [1]. ونشأ ابنه "حسين" في كف الدايات، وتم انتخابه للولاية، ممّا فتح له الأمر لجعلها وراثية بهدف القضاء على كل التطلعات والخلافات، وقد انتظمت أمور الإيالة التونسية العثمانية بمهمة أفراد العائلة الحسينية الذين أنشئوا المعالم الهامة وشيدوا المدارس ووضعوا القوانين العدلية ومجملا مهدوا لرقى تونس.

إذن تمت البيعة لحسين بن علي من طرف ديوان المدافعة أمام القصبة في تاريخ 20 ربيع الأول 1118 الموافق ل 13 جويلية 1705 م ودام حكمه مدة 30 سنة، شهدت تونس خلالها احداث متعددة [2]. ولم يكن لهذا الباي في أول أمره ولد فتبنى ابن أخيه علي بن محمد وأحسن تربيته وضم إليه العلماء وحرضه على اقتناء المعارف[3]، فلما كبر علي استعان به في أمور الدولة ثم رزق حسين باي أولاده الثلاث محمد وعلي ومحمد من جارية نصرانية.، ولما رزق "حسين بن علي" بأولاد، قام بخطوة هامة تتمثل في توليتهم الحكم، وإبعاد ابن أخيه (علي باشا) عن المسؤوليات، مما جعل هذا الاخير يشعر بالعداوة والحقد اتجاه عمه "حسين بن علي" قام بإبعاده[4].

3- قيام الحرب الأهلية (1735-1740):

أ-ولاية علي باشا:

تعتبر الحرب الأهلية التي شهدتها تونس من أبرز الأحداث في تاريخها الحديث، والتي تمثلت في الصراع بين الأسرة الحسينية والباشوات، وكان سبب هذه الحرب هو ولادة ور يثٌ لحسينٌ بن علي، وهو الأمر الذي جعله يزيح ابن أخيهٌ علي باشا عن ولاية العهد [5]، ممّا ولد لديه مشاعر الحقد ضد عمه وابنيه بسبب ذلك، واكتفى بتنصيبه باشا.، واثر هذا التعيين، قرر "علي باشا تمرده ضد عمه، وقد دخل تونس بتاريخ سبتمبر 1735 م، ونصب نفسه باي مكان عمه الذي فر إلى القيروان، وبعد صراع دام خمس سنوات بين علي باشا وعمه حسين، انتهت الحرب بتفوق الباشا علي، ومقتل حسين بن علي سنة 1740 م، أما أبناء حسين بن علي فقد لجئوا إلى الجزائر [6].

---

[1] -أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 105، أحمد الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ط2، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ، ص 115.

[2] Jean Mallon ،**l' influence français dans la régence de Tunis avant l 'établissement du protectorat** ،publications coloniale ،paris ،1931 ،p 80.

ينظر أيضا: أحمد بن عامر، **تونس عبر التاريخ من أقدم العصور إلى اعلان الجمهورية**، ط1، تونس، 1960، ص 249، ينظر أيضا: محمود علي عامر، **تاريخ المغرب العربي الحديث الجزائر وتونس**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، (د ط)، 1994م، ص18 .

[3]-محمد بن الخوجة، **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، تحقيق وتعليق :جيلاني بن الحاج يحي وحمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 306، 310 ؛ جلال يحي، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د:ط، 1999م، ص25

[4]-عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، العهد التركي في تونس والجزائر**، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 351 ؛ ينظر أيضا: محمد الهادي الشريف، **المرجع السابق**، ص 84، وأيضا: محمد صالح مزالي، **الوراثة على العرش الحسيني ومدى احترام نظامها**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص 23.

[5]-أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 110 ؛ محمد الهادي الشريف، **المرجع السابق**، ص 84.

[6]-أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 144.

حكم علي باشا البلاد بصرامة وحزم [1]، اشتهر بالدموية في حكمه، حيث استعمل سلطة السيف ضد مؤيدي عمه وابنيه [2]، كان السبب في إدخال البلاد في دوامة الحروب مثل انتفاضة الإنكشارية سنة 1743 م.

وعن علاقته مع الجزائر، والتي ساعدته في وقت سابق للوصول إلى الحكم، منذ سنة 1735 م، إلا أن تعنته ومطالبة أتراك الجزائر بدفع ضريبة سنوية، الأمر الذي دفع علي باشا إلى الاصطدام ثم مقاطعة الجزائر، لتتحرك حملة جزائرية ضد الباشا علي، وكان ذلك سنة 1746 م، إلا أن الإخفاق كان حليفها عند أسوار مدينة الكاف [3].

وقد ظل أبناء حسين بن علي، أي كل من محمد وعلي في الجزائر ينتظران الفرصة للعودة إلى تونس، واستعادة ملكهماحيث تحقق مرادهما [4] اثر نجاحهما في الدخول مع جند إيالة الجزائر لمدينة تونس ف 30 يسبتمبر 1756[5]، شهدت سلسلة من أعمال السلب والنهب لم تسلم منها حتى الفنادق القنصلية ومساكن التجار الأوروبية[6] قد انتهت هذه الحرب بقطع رأس علي باشا، ودفع ضريبة سنوية للجزائر ومنذ مقتل علي باشا عاد الحكم لأبناء حسين بن علي[7].

ب- أشهر البايات الحسينين وأهم إنجاز ا تهم::

1-عهد محمد باي بن حسين بن علي (1756-1759):

تولى محمد باي الحكم بعد انتهاء الحرب ضد ابن عمه علي باشا، ونظرا لما كان يتمتع به من حلم وحسن خلق استطاع أن يكسب ود الرعية حيث كان يهتم بشؤونهم، حتى أطلقوا عليه لقب" الرشيد"، فكان يجمع بين اللين والشدة في حكمه، لذلك تميزت فتره حكمه بالاستقرار، لكن وفاته المفاجئة يوم 11فيفري 1759م، تاركا وراءه ابنين قاصرين هما (إسماعيل، محمود)، فتولى عمه علي بن حسينٌ الحكم متعهدا بترك الأمر لإسماعيل عند بلوغه سن الرشد [8].

2-عهد علي باي 1759-1782:

بعد وفاة محمد باي وبداية حكم علي باي على إيالة تونس، عمل على تحقيق الازدهار لتونس، حيث اهتم بالزراعة، وأعاد تنظيم الجيش، وفتح الباب أمام التجارة الخارجية، وشهدت تونس استقرارا شمل جميع المجالات، واعتبرت فترة حكمه بداية العصر الذهب لتونس كما يشير إلى ذلك معظم المؤرخين والذي سوف يمتد إلى خلفه حمودة باشا[9]، ويرجع سبب

---

[1] - **المصدر نفسه**، ص 144.

[2]-محمد الهادي الشريف، **المرجع السابق**، ص 75.

[3] - **المرجع نفسه**، ص 79

[4]-أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 149.

[5]-**المصدر انفسه**، ص 152.

[6]-ألفونسو روسو، **الحوليات التونسية من الفتح العرب حتى احتلال الجزائر**، تع، وتحق: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات قاريونس، بنغازي، ص 140

[7] Narcisse faucon ،**La Tunisie avant et depuis l'occupation française histoire et colonisation** ،2T ،libraire coloniale ،Paris 1893 p164

[8]-ألفونصو روسو، **المصدر السابق**، ص 171

[9]-**حمودة باشا:** ولد حمودة باشا ليلة السبت 18 من شهر ربيع الثاني من سنة 1137 هـ/ ديسمبر1759 بالجزائر، من أم جارية من أعلاج القرج، اسمها محبوبة تزوج بها أبوه في الجزائر، في بداية حياته تكون حمودة باشا كباقي أفراد أسرته، وفي سن الخامسة اعتنى أبوه بتربيته تربية خاصة، فقرأ ما تيسر من القرآن الكريم، وتميز حكمه بأحداث كثيرة، عرف عهده استقرارا وازدهارا كبيرا، ينظر أيضا: حمودة بن عبد العزيز، **الكتاب الباشي**، قسم السيرة، ج1 ، تحقيق :محمد ماضود، الدار

ذلك إلى الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي [1]. وقد ألم المرض بعلي باي، ممّا أثار مشاعر القلق عما سيؤول إليها لوضع بعد موته، وأعْلن عن تولية ابنه حمودة لتنتقل ولاية العهد بسلام، وقد وافت المنية علي باي يوم 31ماي 1782م، ليؤول حكم إيالة تونس إلى ابنه حمودة[2].

3- حمودة سنة 1782 - 1814 م: الذي يعتبر من أبرز الشخصيات في الأسرة الحسينية وقد استمد شهرته من خلال المواقف التالية[3]:

- يعتبر أول من اعتمد على تجنيد أبناء العرب والتخلي عن الانكشارية وهذا العمل ساعده على اقامة توازن داخلي في تونس كما أقام تنظيما عسكريا واداريا محكم تمثل فيما يلي:

التنظيم العسكري:يتكون الجيش مما يلي:

العسكر:وهو الجيش النظامي التي من بلاد الترك

المجندون المحليون:وهؤلاء يقومون بحفظ الامن

الوحدات:وهذه الخيرة تساهم بها القبائل الموالية كلما دعت الحاجة الى ذلك وقد ظلت القيادة من نصيب الاتراك لكن باب الاندماج انفتح في وجه بعض أعضاء النخبة المحلية وعندما زاد هذا التطور وضوحا حاول الاتراك توقيفه فتارت الانكشارية مرارا أيام الباي علي باشا (1156هـ/1743م)ثم أيام حمودة ومحمود باشا.

التنظيم الاداري:في نهاية القرن 12هـ/18م اتخذ حمودة باشا الثاني عددا من المستشارين كون منهم هيئة لها صبغة حكومة قارة فاستعملت من جديد ألقاب العهد الحفصي كالوزير ؛الكاتب وتداولت من جديد بين المسؤولين اللغة العربية خاصة في الشؤون الداخلية اضافة الى المصالحة مع العنصر الحضري المحلي وقد ظهرت بوادر هذا التطور مع محمد باي المتوفي (1108هـ/1696م)الذي سوى بين الامة حتى أن أكابر العسكر لا يسوغ لهم الجرؤ على أقل الرعاع.

كما أنه كان واضحا مند أواخر القرن 11هـ/17م أن داي الجزائر لم يكن ليرضى بتقلص نفود داي تونس اذ في ذلك خطر على استئثار الاتراك بالسلطة لذلك كان يتدخل كلما نجم خلاف بين أعضاء الاسرة الحاكمة في تونس فقد تدخل الداي ابراهيم داي الجزائر أولا لصالح علي ابن أخ الباي حسين وولي عهده قبل أن يروق عمه ولده محمد وعندما قرر الباي أن يسحب من ابن أخيه ولاية العهد طلب هذا الاخير مساعدة جيش الجزائر ودخل تون منتصرا سنة 1148هـ/1735م في البداية رضي أن يؤدي للداي اتاوة سنوية ثم ما لبث أن غير رأيه في علاقة التبعية عندها قرر الداي أن ينتقم منه بمساعدة

التونسية للنشر، تونس، د:ط، 1970،، ص 70، أحمد بن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص11 ؛كمال مايدي، **علاقات تونس مع دول غرب أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية في عهد حمودة باشا من1782 –1814**، مذكرة نيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث، إشراف :عمار بن خروف، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2012/2011، ص 42.

[1] Narcisse faucon ،**op.cit** ،p 167.

[2]-أحمد إبن أبي الضياف، **المصدر السابق**، ص 112، ينظر أيضا:

de Paradis(Venture) ،**Tunis et Alger au XVII Siècle** ،Sind Bad ،Paris ،1983 ،p 32.

[3]- للاطلاع أكثر عن الموضوع ينظر الإمام، رشاد، " سياسة حمودة باشا الحسيني بتونس 1814 - 1782 " م "**المجلة التاريخية المغربية** عدد6 جويلية/ يوليو 1976 م تونس من ص 111 إلى ص120

أبناء الحسين بن علي الدين كانوا قد لجأوا الى قسنطينة وقد طالت المواجهة ولم يتم الفوز على علي الا سنة 1169هـ/1755م وبهذا التاريخ توقف عهد التدخل الجزائري بقضايا تونس

4- **أحمد المشيرأو أحمد باي 1855 – 1837** م: أبطل هذا الأخير الرق وأقفل أسواقه تحت الضغط الأوربي، كما أطلق حرية العبادة لليهود تحت نفس الضغط كما طور أجهزة الحكم والإدارة وفي نفس الوقت اعتنى بمؤسسات التعليم ورعاية مؤسسات الثقافة العربية الإسلامية وخاصة جامع الزيتونة. وأنشأ مدينة جديدة اسماها" المحمدية" واتخذها مقرا له وهي تبعد **14 ميل**عن تونس "وكان البايات قبله يسكنون في مكان أخر لتونس إسمه " باردو "سبق الإشارة إليه "ونظم الجيش مجددًا على الطرق الحديثة وا زد في عهده حتى بلغ ثلاثين الفًا 30 " ألفًا "وأنشأ مدرسة حربية جلب إليها المعلمين الضباط والمدربين من أوروبا " وقوى الأسطول وضمّ إليه 12 " إثني عشرة باخرة منها باخرة من الطر ارز الأول وأحدث مرسى حربيًا في غار الملح أنفق عليه الأموال الطائلة وأنشأ دا رلصناعة أو لبناء السفن في ثغر حلق الوادي كما أنشأ فيه معامل لصنع السلاح واصلاحه، ومستودعات شحنها بالذخائر وشراء سفن بخارية حربية.[1]

5- **محمد بن أحمد أو محمد الثاني1855 ، 1859**م:

يقول الكثير من المؤرخين أن أحمد باي هذا تطلع إلى بناء دولة عصرية متأثرا ر بما رآه في فرنسا خلال زيارته لها سنة 1846 م من مظاهر الحضارة الحديثة، زد على ذلك أن البايات الحسينيون عاصروا في بداية القرن 19 م محاولات إصلاحية قام بها السلطان" محمود الثاني في الدولة العثمانية"و"محمد علي "في مصر بهدف تطوير الدولة واقامتها على أسس الحضارة الحديثة، وبناء على ذلك أ راد بعض أولئك البايات سلوك نفس الطريق وخاصة بعد احتكاكهم بالدول الأو ربية نتيجة للاتفاقيات التجارية التي عقدتها تونس معها.

وعليه فقد منح شعبه دستورا نص على المساواة بين الناس في الحقوق وسماه" **عهد الأمان** "وقد تلي هذا الدستور بحضور نواب الدول الأوربية وكبارا لموظفين والأعيان يوم 20 محرم 10 سبتمبر 1857 م وأقسم في الحفل إجراء العمل بمقتضاه واستبشر الناس

بصدوره وكان ذلك تحت ضغط القناصل الأوربيين، ولكن هذا الدستور[2] ؛في حقيقية أمره نلاحظ أن معظم موارده صيغت لترسيخ النفوذ الأوربي بتونس حيث نص على حق الأوربيين الكامل في المواطنة والمساواة ومنحهم امتيا زات اقتصادية واسعة بدون قيود.ويدل على وجود ضغط أوربي راء إصدار هذا" **العهد** "رسو الأسطول الفرنسي في ميناء" **حلق الواد** "وقتما كان الباي يتلوه أمام ممثلي الدول الأوربية واطلا ع نابليون الثالث عليه قبل الإعلان عنه.

كما أنشأ مجلسًا بلديًا على النظم الأوربية ليتولى تنظيم تونس وإصلاحها وهو أول من أدخل إلى تونس الطباعة الحرفية المعدنية وكانت الطباعة قبل ذلك حجرية، وجرّ المياه في الأنابيب إلى تونس العاصمة، في حين كانت أموال الخزينة

---

[1]-للمزيد من التفاصيل ينظر توفيق علي _**العرب والأتراك**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1975 وخير الدين التونسي :**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك الشركة التونسية** للنشر، تونس، -المؤسسة الوطنية للكتاب، وعبد الكريم محمود غا ربية، **تاريخ العرب الحديث**، دار لأهلية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1984- وعطاء الله شوقي، **المغرب العربي، تونس الجزائر المغرب**، تونس دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1995 .

[2]-للمزيد من التفاصيل ينظر توفيق علي _**المرجع السابق** . وخير الدين التونسي :**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** وعطاء الله شوقي، **المغرب العربي**.

تنفق على بذخ أسرته وحاشيته كما أشار إلى ذلك بعض المؤرخين.

6- حكم محمد الصادق 1859-1882 والحماية الفرنسية:

قام هدا الأخير على تطبيق عهد الأمان فأنشأ مجلسًا منتخبًا مؤلفًا **من 60** عضوًا للنظر في مصالح البلاد وسن قانوناً يضمن حقوق الفلاحين، ووضع منهجًا خاصًا لتوزيع الاراضي الأميرية على سكان البادية وأصلح مناهج التعليم، وأسس المدرسة التي عرفت باسمه " الصادقية "للعلوم واللّغات "، كما وطد علاقات تونس مع فرنسا وكان متحمس للتجديد والإصلاح غير أنه كان يعتمد في تنفيذ مشاريعه على أساتدة من الدول الأجنبية، وقد استخدمت فرنسا تلك الديون للتدخل في شؤون تونس الداخلية وتسيير جهازها الحاكم.

ومن إصلاحاته كذلك استبدال" عهد الأمان "بوثيقة "دستورية "في عام 1891 وأهم ما نصت عليه[1]:

الحريات الشخصية، والمسا واة أمام القانون، وعلى تشكيل مجلس استشاري مختلط(أوربي، تونسي) بجوار المجلس الكبير المؤلف من أعضاء المجلس الشرعي وأهل الرأي، والمجلس الكبير، قانونيًا هو السلطة العليا التي يخضع لها حتى الحكام، أما موقف هذا الدستور من الامتيازات الأجنبية فقد أكدها، إذ منح الأ وربيين حق امتلاك العقا رات المزارع في كل أنحاء تونس، كما نص على عدم أحقية الدولة التونسية في احتكار موادها.

ولقد أخذت فرنسا تتربص بتونس وتطمع في الاستيلاء عليها بعد أن استولت على الجزائر وتهيئ الأسباب لتحقيق هذا المطمع وقد شجعت بعض البايات على الاستقراض من فرنسا حتى عظمت ديون الدولة وارتبكت حالتها المالية. وقد فرض الباي محمد الصادق بعض الضرائب لتفادي العجز فأدى ذلك إلى هياج الشعب وأخذ قناصل الدول الطامعة وخاصة فرنسا وايطاليا يتصارعون من أجل لاستيلاء على تونس.

وفي هذه الأثناء اجتاحت بعض القبائل التونسية حدود الجزائر فاغتنمت فرنسا هذا الحادث

فرصتها المنشودة فسيرت حملة من الجزائر بحجة التنكيل بالمعتدين عام 1881م وتقدمت الحملة إلى أن بلغت" قصر باردو "مقر الباي محمد الصادق وأرغمه قائدها على توقيع المعاهدة المشؤومة التي عرفت" بمعاهدة باردو "والتي وافق فيها الباي مرغما على احتلال القوات الفرنسية الأماكن التي ترى احتلالها ضروريًا، وتمثيل المملكة التونسية وحماية مصالحها ورعاياها في البلاد الأجنبية بواسطة الممثلين الفرنسيين،، وتمثيل فرنسا لديه بوزير مقيم عام تكون وظيفته الاشراف على تنفيذ أحكام المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية والسلطات التونسية ومنع إدخال السلاح والذخائر الحربية لمراسي المملكة التونسية[2].

هكذا وفي الأخير يمكننا أن نقول:أنه بالرغم من وجود بعض النتائج الإيجابية للمشاريع الإصلاحية التي قام بها البايات الحسينيون فإن النتائج السلبية لها كانت أكثر وضوحًا وسببًا لتغلغل النفوذ الأجنبي وتحوله في النهاية إلى احتلال" سمي

---

(1) – للمزيد من التفاصيل ينظر توفيق علي _**المرجع السابق**، وخير الدين التونسي :**أقوم المسالك في معرفة أحوال**، 1984 وعطاء الله شوقي، **المغرب العربي**.

(2) – للمزيد من التفاصيا ينظر توفيق علي _المرجع نفسه، وخير الدين التونسي :أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك الشركة التونسية للنشر وعبد الكريم محمود غاربية، **تاريخ العرب الحديث** وعطاء الله شوقي، المغرب العربي، **تونس الجزائر المغرب**.

حماية". وقد ظلت الاسرة الحسينية تحكم تونس حتى اعلان الجمهورية سنة 1957م.



المحاضرة7:تطور نظام الحكم في طرابلس الغرب

(1551م– 1911م)

تمهيد

تعرضت طرابلس الغرب كما أشرنا في المحاضرة السابقة الى الغزو الايبري بعد سقوط غرناطة 1492م وقد حكمت اسبانيا طرابلس حكما مبشرا من 1510-1530 بعدها سلمها شرلكان الى فرسان القديس يوحنا لانشغال الملك شارلكان الخامس بحروبه مع ملك فرنسا فرانسوا الأول من سنة 1530-1551 إن كثرة المظالم والفساد الذي لحق بأهل طرابلس الغرب جعلهم يستنجدون بالسلطان العثماني **سليمان القانوني** الذي لبى طلبهم وأمر بإرسال قوة عسكرية بقيادة **مراد أغا** الذي تحصن بمدينة **تاجوراء** واتخذها مقرا ومنطلقا لحملاته لتحرير مدينة طرابلس الغرب وافتكاكها من قبضة فرسان القديس يوحنا، وأمام صعوبة المهمة طلب مراد أغا المدد من السلطان العثماني الذي أرسل أسطولا بحريا بقيادة **سنان باشا** ومساعده **درغوث** المتواجدين في حصار مالطا، واتجها صوب مدينة طرابلس الغرب وبعد حصار طويل اجبر فرسان القديس يوحنا على تسليم المدينة في شهر أوت من عام 1551 م، فترك سنان باشا المدينة بعد أن ثبت الحكم العثماني فيها وأصبحت ايالة تابعة للخلافة العثمانية، حيث قام العثمانيون سنة 1551 بضمها تحت راية الدولة اعلى يد سنان باشا وطرغوث ريّس **لتصبح بذلك إحدى أهم الايالات** العثمانية في شمال إفريقيا، نحاول في هذه المحاضرة تناول تطور نظام الحكم العثماني في طرابلس الغرب من خلال التطرق لمراحل الحكم التي مرت على طرابلس، فالمرحلة الأولى بدأت من الحكم العثماني في طرابلس الغرب (1511م- 1711م)، والمرحلة الثانية مرحلة الحكم القَرَمانْلي (1711-1835م) أما المرحلة الثالثة فتمتد من العهد العثماني الثاني(1835-1911 م)

أولا- المرحلة الأولى: الحكم العثماني الأول في طرابلس من 1551م-1711م)

تميز هذا العهد في كافة ولايات الايالة بالهدوء والاستقرار وقد حققت الدولة العثمانية توسعها وشهرتها وقوتها نظرا لحكامها الأقوياء حققت بعض سماتها الإدارية والعسكرية وينقسم بدوره الى مرحلتين:

أ -مرحلة حكم البايلربايات(1551م- 1606م)

حيث كان يتولى شؤون ليبيا باشا يعين من طرف السلطان العثماني، ويسانده الانكشارية من أجل دعم الحكم العثماني،.

ب -مرحلة حكم الدايات(1606م- 1711 م)

وقد تميز بسيطرة ضباط الانكشارية والصراع على السلطة، بالرغم من محافظة الديوان على الوضع المستقر إلا أن هذا لم يدم طويلا وعاد التفكيك والصراع وتدهورت الأوضاع إلى غاية قيام الأسرة القرمانلية سنة 1711 م.

1-مرحلة حكم البيلر بايات (1551م-1606م)

عين سنان باشا بتعيين مراد أغا 1551-1559م واليا على ايالة طرابلس الغرب مدى الحياة وأصبحت مركزا مهما للعثمانيين في شمال إفريقيا[1]، حيث أعاد هذا الأخير الامن والاستقرار لطرابلس الغرب كما دعا السكان الدين هاجروا بعد احتلال فرسان مالطا للعودة الي أراضيهم وشجعهم على الاستثمار أراضيهم الزراعية [2] وكما تمكن من القضاء على

---

[1]- الطاهر الزاوي، **ليبيا من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي**، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت 1970.ص-ص 266-305

[2] -عبد المنعم إبراهيم الجميعي، **موسوعة الثقافة الحضارية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 34

التمردات الداخلية كما قام بكثير من الاعمال الخيرية وأوقف جميع ممتلكاته وثروته [1]، حيث استمر في حكمه حتى شيخوخته عام 1556م كما شيد الكثير من المؤسسات العلمية كالجامع الكبير والمدرسة التي بناها في تاجوراء [2]، بعد وفاة مراد أغا خلفه درغوث باشا.

تتمثل أهم أعمال مراد آغا فيما يلي:

-طرد بقايا الفرسان من تاجوراء.

-اتخاذ القلعة مقرًا للحكم وتحويل كنيستها إلى مسجد.

-ترميم الأبراج والأسوار وبناء حصون إضافية خوفًا من هجوم إسباني.

-إصلاح الطرق وملاحقة قطاع الطرق

خلف مراد اغا بعد وفاته درغوث بسا 1555 1553-1565م عرف عهده بالتشييد والتعمير اول ما قام بتشييده جامع باسمه ووجعل ضريحا ليدفن به وتشييد البناء المعروف باسمه سرايا درغوث باشا واحاط بها الحدائق[3] وبناء القلاع الحصون[4] وجعل من الجهاد البحري هدفا أساسيا في حياته حيث قام بإصلاح الجيش والاسطول حتى استشهاده في حصار مالطا ((1563 م 1565 – م) وجيء بجثمانه الى طرابلس[5]، بعد وفاة درغوث باشا تولى أمر طرابلس الغرب ولاة ضعاف وسيطرة طبقة الجند الانكشارية والضباط على أمور البلاد وازداد نفوذهم أفبعد وفات درغوث باشا غدا لقب أمير الأمراء مجرد لقب خال من مضمونه لان الذين خلفوه لم يصل الى مرتبة درغوث وانصرفوا الى اللهو والعبث والمجون والانسياق وراء الثروة تسبب ذلك في انتشار الفساد والصراعات العسكرية بين الجند الذين أذاقوا السكان الدل والهوان فأهملت بذلك الزراعة والصناعة كما أقيمت التكتلات بين الجند الانكشارية وسيطروا على مقاليد الحكم العسكري والإداري ولم يبقى لأمير الأمراء المعين من اسطنبول سوى التسمية، لذلك كلف يحي باشا بإدارة الولاية وضبط الانكشارية وإلزامها بالطاعة ومند لحظة وصوله بدأ بضرب المفسدين من الجند وقام بإعدام عدد منهم كما لاحق المشاغبين وقطاع الطرق واللصوص فاستقرت الأمور نسبيا في عهده [6].

2- مرحلة حكم الدايات(1610م-1711 م)

عرف بعهد الدايات وكان أول داي هو خليل بك البكلربكي محمد باشا وبقدومه إلى طرابلس تمكن من تحقيق الأمن والنظام بالبلاد وأحي بها مختلف الأنشطة الاقتصادية والثقافية، كما أمر ببناء السفن وأحيا عمليات الجهاد البحري من

---

(1) – رابحة محمد خيضر، "دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1500م "، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، ع2، جامعة الموصل 23-24. ماي 2007 ص 106

(2) – محمود ناجي، **تاريخ طرابلس الغرب**، تر محمد أدهم عبد السلام، د.ط، منشرات الجامعة الليبية،، كلية الاداب، ص 153

(3) –نيقولا ايفاتون، **الفتح العثماني للاقطار العربية 1506-1574م** ت، ر يوسف عطا الله، الفرابي، بيروت ص 225. ص266

(4) –شارل فيرو، **الحوليات الليبية نمند الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تحقيق محمد عبد الكريم الوافي / ط3، منشورات جامعة غازيونسن، بنغازي 1994، ص 1010-111

(5) –الطاهر الزاوي، **ليبيا من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي**، المرجع السابق،، ص، ص 157، 158.

(6) – محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **تاريخ المغرب الحديث، المغرب الاقصى ليبيا**، مرجع سابق، ص176

جديد وأقام الجامع الكبير في المنشية غير أنه تميز بتوتر العلاقة مع تونس حتى أن حاكم تونس أرسل قوات لمحاصرة طرابلس غير أن هذا الحصار رفع بسبب انتشار المرض بين الجند وقد استمر في الحكم حتى 1709م/1121هـ فقد أجبر على ترك الايالة من قبل **ارغليلي ابراهيم** هذا الاخير الذي استغل خلو طرابلس من القوات الموالية للداي وسيطر على الوضع غير أن الفوضى انتشرت وتسببت في تغيير الكثير من الدايات في فترة وجيزة الى أن انتخب أحمد بك دايا[1].

من أشهر الدايات الذين تميز عهدهم بالقوة هو الداي **محمد باشا الصاقزلي** حيث بلغت الايالة في عهده مرحلة الازدهار الاقتصادي والبحري كما عمل على تحسين العلاقات مع مختلف الدول الاروبية [2]، وغمرت الاسواق بالبضائع الاروبية كما قام بتنظيم السجلات التجارية والمالية وشجع الزراعة مما أدى الى ازدهار الاقتصاد كما اهتم بتظيم الجيش وفرض عليه تنظيما عسكريا محكما؛كما قام بتحديد نسبة الضرائب المفروضة على المدن الليبية وأمن الطرق كما وسع دار صناعة السفن وزودها بالمدافع كما ترك إدارة الولاية على ما هي عليه من تنظيم.[3]

3-التنظيم السياسي والإداري للحكم العثماني بطرابلس:

أولا –نظام الحكم:

تكونت ليبيا من تقسيمين إداريين منفصلين هما:

أ- **ولاية رابلس**: وكان يحكمها حاكم برتبة باشا يعرف بالوالي ويساعده مجلس استشاري يعرف بالديوان ويتكون من قاضي القضاة والمفتي والسكريتر والدفتردار وستة أعضاء ينتخبهم الشعب لمدة عامين ومهمة هذا المجلس دراسة المسائل الاقتصادية والقضائية المتعلقة بالبلاد والشؤون السياسية العامة للولاية؛وتنقسم الولاية الى عدة متصرفيات على رأس كل منها متصرف يعاونه هو أخر مجلس ادارة كما تنقسم كل متصرفية الى عدد من القائم مقاميات يتبع كل منها عدد من النواحي والمديريات.

ب-متصرفية بنغازي: يحكمها حاكم برتبة بك يعرف بالمتصرف ويعاونه ديوان يتكون من قاضي ومفتي ودفتردار وأربعة أعضاء منتخبين وله نفس اختصاصات مجلس ولاية طرابلس وتنقسم المتصرفية الى عدد من القائم مقاميات يتبع كل منها عدد من النواحي والمديريات بكل قائم مقامية مجلس يساعد القائم مقام في ادارتها.

-أهم الموظفين:

الوالي: وهو الحاكم في الولاية بأمر من السلطان العثماني.

المتصرف: وهو أهم موظف في الادارة بعد الوالي.

الدفتردار: وهي وظيفة تعادل وزير المالية في عصرنا.

المفتي: يهتم بأمور الافتاء كما يشغل أكبر وضيفة قضائية بالدولة.

---

[1] -فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال المغربي**، ط1، دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008، ص566 كما أن الكاتب استعمل لفظة القرصنة دون الجهاد.

[2] – محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع السابق**، ص177.

[3] – **المرجع نفسه**، ص194

قاضي القضاة: يلي المفتي.

عضو مجلس الادارة: وهو عضو ينتخبه الشعب[1]

المجالس النيابية: لقد نص الدستور العثماني على تشكيل مجلس لتسيير الايالات يشارك فيه ممثلون ينوبون عن سكان الايالات عرف ب"مجلس المبعوثين"وقد مثل الشعب الليبي عددا من أبنائه هذا الاخير يعاونه الوالي بطرابلس والمتصرف في بنغازي وكان لكل متصرفية مجلس ممثل من أعيان المنطقة وكبار موظفيها تتمثل مهمته في دراسة شؤون السكان.

التقسيم الاداري:قسمت ولاية طرابلس إلى أربع متصرفيات كالتالي:

1-طرابلس:وتنقسم هذه الأخيرة إلى قائم قاميات كما سبق وأشرنا "طرابلس"؛"الزاوية"، العجيلات"؛ "زوارة"؛"ترهونة"؛"ورفلة"؛"غريان"

2-الخمس:وتنقسم الى قائم قاميات التالية"الخمس"؛"مسلاتة"؛"زليتن"؛"مصراتة"؛"سرت"

3-الجبل:وتنقسم الى "يفرن"؛"فساطو"؛"الجوش"؛"نالوث"؛"غدامس"

4-فزان:ومقرها مرزقوتنقسم الى"الشاطئ"؛"سوكنة"؛"غاث"

5-متصرفية برقة:وتنقسم الى "بنغازي"؛"درنة"؛المرج"؛اجدابيا"؛"جالو"؛"الكغرة"[2]

4- مميزات الحكم العثماني الاول بطرابلس1551-1711

ويطلق عليه عهد البكلربكي أي امير الامراء(1551-1711) ويعرف بالعصر العثماني الاول: حققت الدولة العثمانية في هده الفترة أقصى توسعاتها حيث تميزت بوجود حكام أقوياء تمكنوا من السيطرة على الانكشارية كما تميزوا بالإخلاص للسلطان العثماني والاستقرار الإداري كما أن البعض منهم خان لقبه وسلطانه؛كما ان جلهم كان من رجال البحرية وهذا ساعدهم على فرض السلطة العثمانية، إلا أن فقدت الولاية الهدوء والاستقرار بسبب الانكشارية وهي طبقة اجتماعية نتيجة اختلاط جند الانكشارية الذين أحضرهم درغوث باشا ثاني الولاة الأتراك وبعد ازدياد عددهم زاد نفوذهم بما حصلوا عليه من امتيازات عسكرية ومالية ومساهمتهم في إفساد الإدارة واضطراب الأمن مما جعل الكثير من السكان يلجئون للهجرة كما أن هؤلاء الانكشاريون لم يكتفوا بظلم الأهالي وتشريدهم بل حاولوا إخضاع الرياس أيضا[3]، وقد مرت البلاد بفوضى شاملة نتيجة سوء الحكم والإدارة وقيام الثورات الشعبية في مختلف أنحاء البلاد وقيام الفتن بين الانكشارية والكولغولية[4]، مما تسبب في هجرة الشبان من بلادهم والفساد الإداري؛ وكذلك فرض ضرائب ثقيلة على الرعية، فقدان الأمن بالايالة، والصراع على الحكم بين الدايات [5].

---

(1) – التليسي خليفة محمد، **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، الدار العربية للكتاب الإسكندرية 1999، ص38

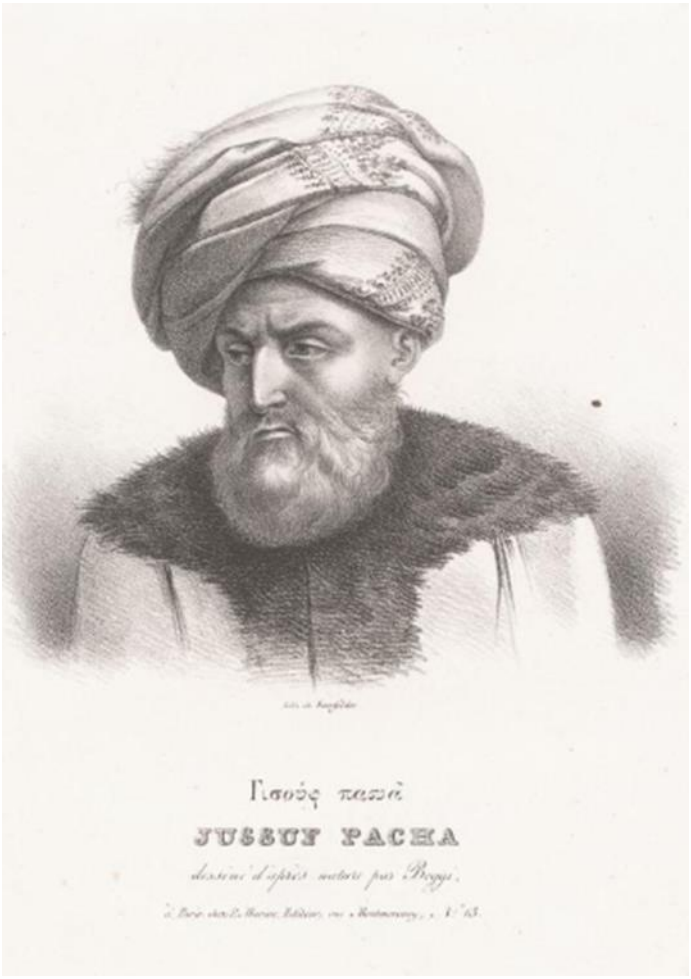
(2) – **المرجع نفسه**، ص39

(3) –محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **تاريخ المغرب الحديث، المغرب الاقصى ليبيا**، مرجع سابق، ص167.

(4)–زين العابدين شمس الدين نجم، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار العسيرة ط1، عمان 2011م/1432هـ، ص122.

(5) – محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع السابق**، ص203.

ثانيا–حكم الأسرة القرمنلية بطرابلس (1711–1836):



تعد هذه المرحلة استمرارًا للعهد العثماني، لكنها تميزت بظهور حكم محلي شبه مستقلة، حيث تمكنت في السنوات الأولى من القرن 18م الأسرة القرمنلية من السيطرة على الحكم ابتداء من 1711م الى غاية 1835م وذلك بسبب الفوضى والاضطرابات والنزاع على المنصب –منصب الوالي في البلاد.

1--مؤسس الاسرة القرمنيلية:

تمكن أحمد بك القرمنلي 1711-1745 وهو من اصل تركي بعد إجماع رؤساء الجند والأعيان واستقطابه لكثير من الانكشارية ومن تولى الولاية في ليبيا ولم يتجاوزه عمره 25 سنة في 27جوان 1711م[1] وقد عرف بدهائه فكسب تقة الشعب بعد فترة من الفوضى والفتن والدسائس الأجنبية وقد تم انتخابه واليا من طرف السكان وحصل على موافقة السلطان العثماني وبدلك بدأ عهد حكم الاسرة القرمنلية [2]ولا يعرف شيئ عن نشأة أحمد بك وتاريخ وصوله الى طرابلس الغرب بعد انتخابه دايا بموافقة قادة الانكشارية وانفرد بإدارة طرابلس بعد أن قبض على البكلربكي وقتله كما انه قام بتصفية

(1) -زين العابدين شمس الدين نجم، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، ص122، 133.

(2) -مفيد زايدي، **العصر العثماني**، دن، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان الاردن، 2009، ص148.

الموظفين والضباط الأتراك بعد أن دعاهم إلى مأدبة عشاء كما انه لم يسمح للمبعوث العثماني بتحقيق فيما جرى وأخبره بالرجوع الى طرابلس[1]، ومند توليه الحكم حدثت بينه وبين الباب العالي عدة مشاكل حيث لم يرغبون في توليته الحكم غير أن السلطان العثماني أحمد الثالث اضطر الى اصدار فرمان بتقليده الولاية وقد استقل أحمد باشا بالولاية مع بقاء تبعيتها اسميا للدولة عثمانية وأورث الحكم لأبنائه من بعده[2]، من أهم الأعمال التي قام بها أحمد باشا هو الحد من نشاط الانكشارية لأنها الوحيدة التي قد تعيق تحرك نشاطه إضافة لكره الأهالي لها لما تسببت به من أفعال لذلك قام بإعداد وليمة لهم وقام بذبح رؤسائها كما فر بعضهم تاركا ممتلكاته وراءه ؛ كما قام بالقضاء على حركة التمرد في كل من تاجوراء وترهونة كما اعتمد على أقربائه في تنظيم أمور الايالة إضافة لمشاورته للعلماء والاعيان مما مكنه من تعميق نفوذه وتقوية مركزه فضمن من بعده الحكم الوراثي لأبنائه واتسمت السنوات الأولى من حكمه بالعدل والرخاء الاقتصادي وتخفيف الضرائب كما قام بإنشاء الجسور والحصون والقلاع كما بنى مسجدا كبيرا بطرابلس واهتم كثيرا بالجيش والأسطول حتى يتمكن من مواجهة الغزو الصليبي وكذلك فرض الضرائب على السفن الاروبية المارة بسواحل وإنشاء دار لصناعة السفن في طرابلس على النمط الاروبي واهتم بالتجارة والطرق البرية والبحرية، [3]، غير أن الفترة التي سبقت إصابته بالعمى شدد قبضته على الأهالي وأثقل كاهلهم بالضرائب الى أن تنازل لابنه عن الحكم بعد أن أصيب بالعمى لابنه محمد باشا ويقال أن عزة نفسه دفعته الى اطلاق النار على نفسه[4].

2- حكام الاسرة القرمنلية:

وقد حكم ليبيا من الاسرة القرمنلية 5 باشوات **هم**:

محمد باشا 1745-1754:هو أحمد بن مصطفى القرمنلي أنه عربية ليبية من أهل طرابلس وهو سليل أسرة تركية كان قوي الشخصية [5] وعرف بدكائه وحنكته العسكرية فكسب ثقة الجنود والشعب بعد فترة من الفتن والدسائس

---

[1] – فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال المغربي**، مرجع سابق، ص565.

[2] – ينتسب القرمنليون الى مدينة قرمان بالاناضول وقد جاء جد الاسرة الى طرابلس بصفته بحارا صغيرا وتمكن من امتلاك بعض المزارع والنخيل في المشتة المجاورة لطرابلس ومع مرور الزمن أصبحت له عصبية قوية خاصة بعد تزويج ابنائه من الاسر القوية في الاقليم ووصل ابنه يوسف الى مرتبة باشا أغا الفرسان في منطقة الساحل في عهد الوالي خليل باشا وهو والد أحمد باشا القرمنلي الذي تمكن من الوصول الى الحكم.، ويذكر أحمد شلبي رواية مختلفة حيث بين أن محمود كان ضابطا في الانكشارية عثمان باشا السافرني ومنهم يوسف الذي لا يعلم عنه شيئ الا أن مات في ريعان شبابه تاركا ابنه أحمد في سن الطفولة ولقد تزوجت ارملة يوسف من الحاج يوسف الذي يحمل لقب "بك" في عهد محمد باشا شائب العين والذي قام بتربية أحمد الصغير كما لو كان ابنه وكان أحمد القرملي أول حكام هذه الاسرة وكان يكن أعظم احترام لزوج والدته كما يبدو من لقب "الاب المحترم" الذي كان يخلعه عليه في الوثائق الرسمية كما يبدو أنه ترك له وظيفة الداي ولو اسميا مع لقب "دولتلو".احمد شلبي، **موسوعة التاريخ الاسلامي**، جامعة القاهرة، ط7، 1914، ص، ص358، 359.

[3] –مفدي الزيدي، **العصر العثماني**، مرجع سابق/ ص، ص148، 149.

[4] – محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع السابق**، ص-ص209-211.

[5] – سمية تركي، سناء ديب، **الاسرة الحسينية بتونس والقرمنلية بطرابلس الغرب (عهد التأسيس والمواقف)1705-1745م**، جامعة الشهيد محمد لخضر، الوادي2017-2018، ص30

والفوضى [1] استلم الحكم بعد وفاة أبيه وعمل على اتباع سياسة والده استطاع ان يحكم بزمام الامور بقوة وحزم

أعماله: اهتم بتحسين العلاقات مع الدول الاروبية فقام بتجديد الاتفاقيات التي كانت قائمة في عهد والده والتي كانت تبرم دون موافقة السلطان العثماني من أهم انجازاته أنه عمل على تجديد الأساطيل البحرية وتقويتها وهذا ما أكسبه قوة بحرية كبيرة وكانت تقاتل ضد الاروبيين وتعود محملة بالغنائم كما اهتم بتأمين الحدود ولهذا تمتعت طرابلس في فترة حكمه بالهدوء والرخاء الاقتصادي والاستقرار الاداري[2]؛

خلفه **علي باشا** ولم يكن قد بلغ مرحلة النضج فصغر سنه جعل الضباط أوصياء عليه فستغلو الفرصة لاستعادة مجدهم لا سيما الانكشارية وقد تميزت سنوات حكمه الأولى بتعرض الايالة للوباء الطاعون والمجاعة بسبب سوء الإدارة وانحراف الموظفين وفوضى الضباط وانتشار الفقر والقتل مما جعل الحكومة تقف عاجزة عن مواجهة المصائب ونشب القتال بين القبائل في كل من طرابلس وترهونة وتاجوراء ؛ وفي نهاية على باشا ذّب خلاف بين أبنائه الثلاثة أحمد وحسن ويوسف وقد عمل يوسف على التخلص من أخويه اللذين يكبرانه فقتل حسن غدرا وبحضور والدهما ثم بدأ الأخ الأصغر ينافس الأوسط حتى تمكن فيما بعد من إبعاده والجلوس على كرسي الولاية 1795م وعمره لا يتجاوز 30سنة[3] وخلال فترة حكمه تمكن من تدعيم الاستقرار والتقدم.

ويعتبر **عهد يوسف باشا** من أبرز العهود حيث تمكن من توطيد الامن والنظام في البلاد كما قام بتحصين أسوار طرابلس وعمل على تطوير اقتصاد البلاد؛ وانشاء الابراج كما تمكن من مضاعفة الأسطول الليبي حتى أن يوسف باشا بفضل قوة أسطوله تمكن من فرض الضرائب على السفن الاجنبية الراسية على الشواطئ الليبية، كما اهتم باعادة النظام حتى شعر السكان بطمأنينة التي فقدوها [4]، وقد بلغت الدولة أوج قوتها في عهده وفي أيامه غزت أمريكا طرابلس وضربتها بالمدافع ورجع أسطولها خائبا الى مالطة كما أجبر واشنطن على التفاوض مع يوسف باشا لتجنب الحرب ولما فشلت المفاوضات أعلن عليها الحرب عام 1801م واشتبكت السفن الليبية مع الامريكية وانتصر يوسف باشا مما اضطر واشطن لدفع غرامة مالية كبيرة[5] وقد تخلى عن الحكم في 12أوت 1836م بعد أن بقي في الحكم حوالي 20عام[6].

خلفه في الحكم **علي باشا** وقد حاول هذا الأخير فور تسلمه للحكم رغبته في تطبيق العدالة وإنصاف المظلومين وتوطيد الأمن والاستقرار فدعا أولا لإجراء صلح بين الأطراف المتنازعة غير أن الثائرين رفضوا ذلك مما جعله يعمد الى توجيه مفرزة عسكرية الى منطقة المنشية والساحل ومنحها صلاحية اخماد الفتن والاضطرابات [7]

---

[1] – مفيد الزيدي، **المرجع السابق**، ص148.

[2] – زين العابدين شمس الدين نجنم، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص802.

[3] – محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع السابق**، ص، ص214، 215

[4]–أحمد بك، **المنهد العدب تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجانيأطرابلس، ص312.

[5] – مفيد الزيدي، **المرجع السابق**، ص149.

[6] – محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **المرجع السابق**، ص211

[7] –الطاهر أحمد الزاوي، **ولاية طرابلس**، دار الفتح للطباعة والنشر ط1، بيروت 1970، ص232.

جدول يمثل حكام الاسرة[1]

الحاكم	فترة فترة الحكم
احمد الاول	27جوان1711-4نوفمبر1745
	27
محمد باشا	4نوفمبر1745-24جوان 1754
علي باشا الاول	24جوان 1754-30جوان1793
علي الثاني برغل باشا	30جوان1793-20جانفي1795
أحمد الثاني باشا	20جانفي-11جوان 1795
يوسف باشا	11جوان1795-20اوت1832م

3- عوامل ضعف الاسرة القرمنلية

1-العوامل الداخلية:

أ-تراجع القوة الطرابلسية في عهد علي القرمنلي وانتشار الفوضى:لقد أدى تقلص نشاط القرصنة الى انخفاظ مداخيل البلاد وتردي وضعها الاقتصادي فتزايدت المصاعب الاقتصادية وهو ما أدى في النصف الثاني من القرن 18 إلى تقلص أعداد الجيش والأسطول كما ازداد تدخل الانكشارية في حكم البلاد أي تفاقم النزاعات الى النهب وقطع الطرق والى ضعف التجارة كما تميز عهده بانحراف الموظفين وفوضى الضباط كما استغل يهود الولاية الذين قدموا من الأندلس الوضع المتردي وبدؤوا يشترون المناصب ويسخرونها لمصالحهم الشخصية كما استغلوا فقر الأهالي وقاموا بشراء منازلهم.وقد شهدت الايالة في عهد علي القرمنلي الفوضى والاضطراب الذي أدى إلى ضعف قدرته الاقتصادية والعسكرية خاصة بعد القحط[2]

---

[1] httpsM//pearis.yaho.com17/15/2019 ;17.31

[2] -حليمة النحاس، فايزة مزاوي، **ليبيا خلال العهد الفرمنلي 1711-1835م**، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة2015-

الذي أصاب الولاية عام 1767م مما دفع بالأهالي للهجرة إلى مصر وتونس، كما شهدت طرابلس الغرب في 1784م المجاعة وظهور مرض الطاعون في ربيع 1785الذي فتك بالعديد من الاهالي وقتل حوالي 27ألف شخص ويعد هذا من الاسباب في الانهيار الذي حل بطرابلس الغرب نتيجة لما جره من أضرار فادحة حيث وقف الباشا عاجزا عن تسيير الامور ودفع مرتبات الجنود، كما شهد ظهور مجموعة من الثورات بين قبائل النوائل ورشفانة وبين الغوايد وبين العلايا والجوازي[1].

ب–اسراف يوسف باشا وتدمر الاهالي:

من الأسباب التي أدت إلى ضعف الأسرة القرمنلية انهماك يوسف باشا في الملذات والموسيقى كما عاش أهله حالة إسراف، فبعد أن قام بالاستدانة من الدول الاروبية وذلك نتيجة نقص الاموال قامت الدول الاروبية بمطالبته بدفع المبالغ ومنها انكلترا التي طلبت منه تسديد 33ألف فرنك بالإضافة إلى الضغط الشديد من القنصل الفرنسي وإزاء هذه الأحداث لم يجد يوسف القرمنلي حلا سوى فرض الضرائب على الأهالي لتحصيلها[2]، وكانت نتائج هذه الضرائب الباهظة أن ثار الأهالي بسبب ذلك أمثال قبيلة أولاد سليمان وعرب المنشية بهذا تفاقم سخط الاهالي ورفعوا السلاح وطلبوا بخلعه وقد قاموا بمحاصرة طرابلس ؛كذلك مجموعة من الاضطرابات في مدينة بنغازي.

2– العوامل الخارجية:

تدخل قناصل الدول الاروبية:منذ بداية القرن 19أصبحت طرابلس الغرب محط أنظار كل من انجلترا وفرنسا.

ثالثا – المرحلة الثالثة فتمتد من العهد العثماني الثاني(1835–1911 م)

بعد احتلال الجزائر سنة 1830م لم يعد مصير ليبيا في يد علي باشا ولا في يد منافسيه حيث وجه اهتمام الدول الاروبية الى تونس وليبيا وقد زاد الخلاف بين بريطانيا وفرنسا على ليبيا فاستغلت الدولة العثمانية هذا الخلاف وأرسلت حملة بحرية بقيادة نجيب باشا تمكنت في 1835م من استعادة طرابلس تحت الحكم العثماني وانهت حكم الاسرة القرمنلية وأعادت تنظيم حكم الباشوات بها بتعيين مباشر من الايالة العثمانية وقد استمر حكمهم من 1835م الى 1911م تولى الحكم خلالها 33والي وهذا العدد الضخم من الولاة أدى إلى عدم الاهتمام بشؤون الولاية فترتب عن ذلك ضعفها في جميع المجالات وزيادة أطماع الدول الاروبية بما فيها ايطاليا.

1- لتنظيم الاداري لطرابلس خلال العهد العثماني الثاني من (1835–1911)

وضع نجيب باشا حدا لحكم الاسرة القرمنلية وقد حاول اعادة التنظيم الاداري السابق حيث قسمت ولاية طرابلس الى مقاطعتين هي ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي وقد ألحقت بالحكم المباشر بالاستانة ووضعت تحت الإشراف المباشر للوالي حيث يمثل السلطة التنفيذية والسياسية ويعين من قبل السلطان لمدة محددة ويساعده مجلس أعلى للولاية يدعى (مجلس الادارة)وتنقسم ولاية طرابلس الى أربع سنجقات على رأس كل منها متصرف يتبع الوالي وكل سنجق ينقسم الى

2016، ص50.ا

(1) – **المرجع نفسه**، ص50، 51.

(2) – **المرجع نفسه**، ص–ص51–73.

مقاطعات تعرف باسم الاقضية ويدير شؤونها قائم مقام يهتم بجباية الضرائب وتحقيق الامن، وتقسم كل قام مقامية الى نواحي يرأسها مدير.

كما أن الجهاز الإداري يتشكل من كاتب وعدد من الجندرمة كما أنه لكل قبيلة شيخ وهو مسؤول أمام السلطة عن تصرفات أتباعه، كما يساعد المتصرف والقائم مقام مجالس إدارية محلية مشكلة من أعضاء فخريين [1]، وكانت الاستانة تقوم بتعيين المتصرف والقائم مقام أما المدير فيعين من قبل الوالي.

وقد قسمت ولاية طرابلس الى أربع **سنجقات أو متصرفيات** وهي كما يلي:

طرابلس عاصمتها طرابلس؛الخمس مركزها الخمس؛الجبل الغربي؛فزان مركزه مرزق[2].

غير أن الاهتمام الاكبر كان **بمتصرفية بنغازي** لأهمية موقعها الاستراتجي وذلك لقربها من السواحل الاروبية الجنوبية ووقوعها على طريق القوافل التجارية الى السودان اظافةعلى ذلك مناخها المعتدل وخصوبة أرضها [3]

2-نظام الحكم:هدفت كل هده الإصلاحات تنظيم إدارة الولايات وكان المسؤول الاول هو:

الوالي:يتربع على قمة السلطة له صلاحيات واسعة يعينه السلطان مباشرة بواسطة فرمان ويمنح لقب باشا وقد حدد الدستور العثماني صلاحيته المتمثلة في تحديد مواعيد مجلس الادارة للولاية، العمل على تعمير الاراضي وتنمية الغابات وتطويرها، تطوير الجانب الاقتصادي للولاية، وكذلك تحركات الجيش.

نائب الوالي:يساعد الوالي في جميع الأمور المتعلقة بالولاية وينوب عن الوالي في ادارتها أثناء غيابه وقد حدد الدستورصلاحياتها كالتالي:أبداء الرأي في قرارات الوالي، الاطلاع على جميع المراسلات التي ترد الى الوالي.

الدفتردار:وهو المسؤول الاول عن الامور الماليةفي الولاية

مجلس الولاية:تتكون من مفتشين الاحكام الشرعية يساعد الوالي في ادارة شؤون الولاية يهتم بالامور الاقتصادية والعناية بالاشغال العامة لسكان وتنظيم الملكية العامة والخاصة، تقديم الإعانات للاهالي، الإشراف على الأمور المالية للولاية، الاهتمام بنشر الأدب والثقافة.

مدير الامور الخارجية:مسئوول عن جميع المراسلات والاتصالات مع قناصل الدول

مدير الزراعة والتجارة:تابع إداريا للوالي مسؤول عن الزراعة والتجارة

مدير المعارف:مسؤول على الناحية العلمية والثقافية

أمين الطرق:مسئول عن إنشاء الطرق وتطويرها[4]

مميزات العهد العثماني الثاني:

---

[1] – فرانسكو كورو، **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني**، تعريب خايفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ط2، طرابلس 1984، ص، ص25، 26.

[2] – لمزيد من التفاصيل ينظر: **المرجع نفسه**،، ص27، 28

[3]– كامل علي مسعود الويبي، **الادارة العثمانية في طرابلس**، مراجعة طاهر خلف البكاء، وزارة الثقافة الليبية، ليبيا2005، ص58.

[4] –لمزيد من التفاصسل يراجع كامل علي مسعود الويبي، **المرجع السابق**،، ص-ص59-77.

-تعزيز المركزية وتقليص نفوذ القبائل.

-تحديث الإدارة والجيش.

-بناء المدارس والمرافق الحكومية.

-زيادة التدخل الأوربي خصوصًا مما مهد للغزو الإيطالي عام1911 م.

خاتمة

تميز الحكم العثماني في طرابلس باتساع نفوذ البحرية، وظهور أسرة محلية قوية، ثم العودة للإدارة المركزية .وقد ساهمت هذه المراحل في تشكيل البنية السياسية والإدارية التي ستقوم عليها ليبيا الحديثة لاحقًا.

المحاضرة 8: علاقات الأقطار المغاربية الخارجية بالمشرق العربي (القرن19–16 م)

مقدمة:

عرفت العلاقات بين الأقطار المغاربية والمشرق العربي خلال القرنين السادس عشر إلى التاسع عشر تحولات عميقة،

ارتبطت بصعود الدولة العثمانية من جهة، وباشتداد التوسع الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى. وقد تشكلت هذه العلاقات في سياق سياسي وديني وعسكري مشترك، جعل من المجال العربي الإسلامي وحدة مترابطة رغم التباعد الجغرافي. حيث ساهمت وحدة الانتماء الديني والوجود العثماني في تعزيز هذه العلاقات[1]

فقد شكلت العلاقات بيف الأقطار المغاربية(تونس، الجزائر، طرابلس، المغرب الاقصى) والمشرق العربي(مصر، بلاد الشام، الحجاز) خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر نسيجان معقدان من التفاعلات السياسية والاقتصادية والثقافية، تأثرت بصعود الدولة العثمانية وتحولات التوازنات الإقليمية، حيث كان للجناحين قواسم مشتركة ذات بعد اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي وعلمي وفكري؛ اذ جمعت بينهما حضارات البحر الأبيض المتوسط المختلفة والحضارة الإسلامية.

ونهدف من خلال هذه المحاضرة إلى إبراز **طبيعة هذه العلاقات، مظاهرها، وأهم العوامل المؤثرة فيها** من خلال طرح إشكالية مركزية مفادها:

هل كانت العلاقات المغاربية–المشرقية خلال القرنين 16–19م علاقات وحدة سياسية حقيقية وهل كانت **امتدادًا لوحدة سياسية وحضارية متماسكة داخل الفضاء العثماني**، أم ارتباطًا ظرفيًا فرضته التهديدات الأوروبية؟ **فالحديث عن العلاقة بين المشرق والمغرب يقتضي البحث عن عوامل التواصل الثقافي المغربي المشرقي.**

لذلك تنطلق هذه المحاضرة من خلال النقاط التالية:

أولا– **عوامل العلاقة والتواصل بين المغرب والمشرق**

ثانيا– **العلاقات السياسية والدبلوماسية**

ثالثا– **العلاقات الإدارية والمؤسساتية**

رابعا– **العلاقات الدينية والعلمية:**

خامسا: العلاقات الاقتصادية والتجارية:

خاتمة:

ثالثا: العلاقات الإدارية والمؤسساتية

من مميزات الحكم العثماني بالمغارب أنه ساهم في انتقال النظم الإدارية العثمانية من المشرق إلى المغرب، حيث حافظت الدولة العثمانية على مختلف التنظيمات الإدارية في مختلف الايالات التي انطوت تحت لوائها في مختلف العهود سواء في المشرق أو المغرب بمختلف أجهزتها ورتبها الإدارية كنظام الإيالات والديوان وحتى الإنكشارية

رابعا– العلاقات الدينية والعلمية:

عرف المغرب علاقات وصلات دينية، ثقافية، اقتصادية، اجتماعية وسياسية وطيدة بالدولة العثمانية عموما وولاياتها

[1] – عبد الجليل التميمي، **دراسات في التاريخ العربي العثماني، مركز الباحثين والدراسات العثمانية و الموريسكية والتوثيق، ط1، 1994 تونس**، ص15

المشرقية خصوصا بحكم احتضانها للحجاز الذي كان قبلة للمغاربة من أجل أداء فريضة الحج وطلب العلم فكان لرحلة المغاربة نحو المشرق الأثر الكبير في توطيد هذه العلاقات،

كما تعتبر الطرق الصوفية ورحلة الحج من أهم قنوات التواصل بين المغرب والمشرق، حيث استقبل الأزهر الشريف أعدادًا معتبرة من الطلبة المغاربيين[1]، وتظهر مظاهر الارتباط من خلال **المؤسسات الدينية حيث نلاحظ** ارتباط علماء المغرب بالأزهر (مصر) **و**الحرمين الشريفين **وكذلك** مدارس الشام، **إضافة لتبادل** الإجازات العلمية والفتاوى.

كما ساهمت حركة تنقل القضاة والعلماء والعسكريين بين المشرق والمغرب في توحيد المرجعية المذهب الحنفي رسميًا في الإدارة العثمانية. ولعل أبلغ هذه الروابط توطدت بفعل الرحلة، إذ كان المغاربة يتوجهون إلى المشرق وخاصة إلى الحجاز لأداء مناسك الحج وطلب العلم، وبذلك يتم تبادل مختلف ألوان العلوم والفنون وتجديد أواصر المحبة والوحدة الروحية والفكرية بين العلماء المغاربة والمشارقة، فتتوج بايجازات وإفادات لم تقتصر على العلماء فقط، بل شملت أيضا الملوك والسلاطين، خاصة بين القرنين 11هـ-12هـ/17-18م، رغبة في توثيق الأسانيد التي كان العلماء يتواردون من المغرب بالآلاف كل عام على مختلف أقطار المشرق فيصلون أسانيد المغرب بأسانيد المشرق، وهذا ما سمي بعلم الإسناد الذي اختصت به الأمة الإسلامية عن مختلف الأمم[2].

-وقد ساهمت قوافل الحجيج بين المغرب والمشرق في جعل الحج جسر تواصل بين المغرب والمشرق من خلال:

- قوافل الحج المغاربية التي تمر عبر مصر والحجاز.
- مساهمة الحجاج في نقل الأفكار وتوحيد الوعي الديني وتعزيز الروابط الاجتماعية.

وفي هذا الإطار، لا يمكن إلا أن نؤكد على مساهمة الحجاج في ربط أواصل العلاقة بين المغرب والمشرق فالحجاج المغاربة منذ بداية طريق الحج إلى حين عودتهم إلى مسقط رأسهم، فكل محطة أو نزل إلا ورد بخصوصه قول مأثور أو فيه مدفن رجل صالح أو ولي من أهل الله أو عالم فقيه ...، أما المحطات الكبرى خاصة منذ القاهرة فإنها مبتغى كل مسلم ومطمح كل مؤمن، لدرجة أن أبا سالم العياشي قد قال عنها بأن دائرة الخيال عنها أوسع من دائرة الحقيقة، حيث نجد فيها ما لا يتصور، ناهيك عن مشاعر مكة المكرمة ومزارات المدينة المنورة.

أما بخصوص الجانب الثاني الفكري، فهو بدوره يعكس تلك العلاقات الحميمية التي جمعت المغرب بالمشرق، واتخذت صيغا مختلفة، منها القراءة والإقراء، والإجازات والمناظرات والإنشادات وتبادل الكتب، وهي أشكال متباينة في النمط، مختلفة في المبنى، لكنها متحدة في الجوهر إذ تمثل آليات من آليات التواصل ضمن المكون العربي الإسلامي الذي يؤطر هذه العلاقات، ويدعم جانبها الحضاري.

وبحكم أن المغاربة كانوا عابرين للبلاد المشرقية، حالين بها لأجل محدد، فقد أثبتوا أن عبورهم لم يكن ليمر دون تخليد أثرهم، فدرسوا غيرهم، وكتبوا الإجازات لأقرانهم من العلماء، وحتى من فاقهم علما، فضلا عمن هو دونهم، وناظروا غيرهم

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، الجزائر، ص.91

[2] - نبيلة همار، "العلاقات المغربية المشرقية في كتب التراجم"، **مجلة المعرفة**، العدد ا لسادس عشر - يوني و2024، ص947-

من العلماء المشارقة وأفحموهم أحيانا نموذج ذلك مسألة الدخان التي أثارت الكثير من الجدال الفقهي من جهة إلى أخرى:.[1]

كما أكدت الدكتورة إكرام عدنني (أستاذ العلوم السياسية بجامعة بن زهر بالمغرب)، من خلال تقديمها ورقة بعنوان: «العلاقات المشرقية المغاربية: عوامل الدين والهوية واللغة»، أشارت فيها إلى البُعد التاريخي للعلاقات الروحية والدينية بين المغرب الكبير والمشرق، وأن الرحلات الدينية لزيارة بيت الله الحرام جعلت هناك تواصلًا بين المشرق والمغرب وأن العلاقات مع مصر كانت متأصِّلة والدليل على ذلك وجود عدد كبير من الأضرحة في مصر لأئمة مغاربة أو ذوي أصول مغاربية، مؤكدة أن هذه الروابط كان ومازال يتم الحديث عنها ليس على مستوى القيادات السياسية وحسب ولكن على مستوى الشعوب..».[2]، كما ساهمت الرحلات العلمية وانتقال المخطوطات في توحيد المرجعيات الثقافية والفقهية داخل العالم الإسلامي[3] . فالرحلات تزخر بالعديد من المعارف المتنوعة بتنوع أهدافها ومقاصدها، وتعددت بتعدد أسبابها وهي من دعائم الاتصال والتواصل بين المشرق والمغرب، حيث كان حج بيت لله الحرام من أهم دوافعها ومن أعظم البواعث لسفر المغاربة نحو الحجاز لأداء هذه الفريضة العظيمة ولطلب العلم، قال ابن خلدون في ذلك" :إن الرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، فالرحلة لابد منها في طلب العلم والفوائد، والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال" .

بالنسبة لرحلات العلمية خلال العهد الحديث كان يغلب عليها الطابع الديني والصوفي، كما دلت على ذلك العديد، كما دلت على ذلك العديد من التراجم مثل" الإمام العلامة أبي محمد عبد الواحد "(ت 1040 هـ 1630 /) 29 و"الشيخ العالم الصوفي أ بي عبد لله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي" 1722م، وهؤلاء وغيرهم كانت الوجهة عندهم في الغالب خلال القرنين 11-12هـ/17-18م الى المشرق بحكم الاعتقاد السائد انداك وهو أن الشخصية العلمية المغربية لا تكتمل معارفها وعلمها إلا

بالأخذ عن المشارقة، فكانت الرحلات المغربية إلى المشرق في كتب تراجم الإفراني أكثر بكثير من الرحلات المشرقية إلى المغرب، حيث لا تكاد تخلو أي ترجمة من الإشارة الى ان صاحبها قد حج أو رحل الى المشرق من أجل زيارة الديار المقدسة والأخذ عن الشيوخ والعلماء هناك، لأن" أهل المشرق

على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم، بل في سائر الصنائع.[4]، وكان ممن شدوا الرحال الى المشرق "الشيخ زين الدين بن سقين " الذي درس عن القلقشندي علوم الحديث وتابع دراسته على يد أبي فهد بمكة وغيره ثم "محمد عبد الزقاق

---

[1] – عبد العزيز بلبكري في موضوع: **علاقات المغرب الأقصى مع المشرق العربي بين عامي 1012 هـ/ 1603م– 1246هـ/1830م من خلال الرحلات الحجازية المغربية**، (الاستمداد الروحي والتواصل الفكري) " تحت إشراف الدكتور أحمد البوزيدي يوم الثلاثاء 11 مارس 2014م، نشر منذ 17يناير، 2015

[2] – مؤتمرًا: «العلاقات بين المشرق والمغرب العربيين.. ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا: رؤى في إعادة كتابة التاريخ»، وذلك في الإسكندرية، بين 24 و25 سبتمبر (أيلول) 2018م.

[3] عبد الهادي التازي،، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم (عهد العلويين)، ج9**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر 1988ص67 .

[4]– نبيلة همار، "العلاقات المغربية المشرقية في كتب التراجم"، مجلة المعرفة، العدد ا لسادس عشر – يوني و2024 ،، ص951-952

"الذي درس بمصر على يد ناصر الدين اللقاني وكانت وفاته ضربا بالسياط عام 961هـ[1]، من خلال ماسبق يمكن ايجاز الروابط الدينية والعلمية فيما يلي:

1-رحلات العلماء :إلى الأزهر والحجاز حيث زار العديد من علماء فاس ومصر الأزهر للتدريس والدراسة[2] .

2-التبادل الفكري:

-نقل المخطوطات والكتب.

-الإجازات العلمية بين الشيوخ، حيث أخذ العديد من علماء تونس عن علماء مصر والشام الإجازات العلمية[3]

3- البعد الديني(الحج والأوقاف)

1-رحلات الحج :طريق الحج المغاربي عبر مصر، فقد اجتمعت قوافل الحجاج المغاربة في مصر قبل التوجه إلى الحجاز.[4]

2-لأوقاف المغاربية في المشرق فقد كانت هناك أوقاف للمغاربة في الأزهر والقدس[5]

خامسا: العلاقات الاقتصادية والتجارية:

نشطت المبادلات التجارية بين الطرفين عبر الموانئ المتوسطية وطرق الحج، وشملت تبادل السلع الزراعية والمنتجات الشرقية، حيث كان النشاط والتبادل التجاري واسعا بين موانئ الجزائر، تونس، طرابلس **و**موانئ الإسكندرية، إسطنبول، الشام ساهمت في تبادل مختلف السلع فقامت بتصدير الحبوب **و**الجلود والزيت وفي المقابل استوردت العديد من السلع منها التوابل والمنسوجات والمنتجات الشرقية،. وقد تحدث الدكتور مصطفى الكثيري عن «الأبعاد الاقتصادية في العلاقات المشرقية المغاربية»، فأشار إلى اتّسام هذه العلاقة عبر التاريخ بالحركية والاستمرارية والتواصل بأشكال متعدّدة، من هجرة وترحال وانتقال قوافل التجارة وقوافل الحجيج. كما تميّزت بتبادل اقتصادي مهم كانت له آثاره على المستويين الاجتماعي والثقافي، وقد استمرت هذه العلاقة عبر النضال والتآزر بين مصر والمغرب في فترة مواجهة الاستعمار[6]، وفي الأخير قال الكثيري: إن هذا التواصل والتبادل الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين مصر والمغرب تم توثيقه في كتاب «الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية المصرية» الصادر من الرباط يوم السبت الماضي، وهو في مجلدين، و995 صفحة، ويضم 31

---

(1) -إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ، من بداية المرنيين الى نهاية السعديين**، ج2، دار النشر دار الرشاد الحديثة، 2000، ص ص 181، 182

(2) – أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص201

(3) – محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002، ص245 .

(4) – – محمد ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق :علي المنتصر الكناني، دار إحياءالعلوم، بيروت، 1987، ص189 .

(5) – عبد الرحمن الجبرتي، **مرجع سابق**، ص167

(6) – مصطفى الكثيري عن «الأبعاد الاقتصادية في العلاقات المشرقية المغاربية»، في جلست بعنوان: «التجارة والاقتصاد في العلاقات المشرقية المغربية»، مؤتمرًا تحت عنوان: «العلاقات بين المشرق والمغرب العربيين.. ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا: رؤى في إعادة كتابة التاريخ»، وذلك في الإسكندرية، بين 24 و25 سبتمبر (أيلول) 2018م.

مساهمة، منها 11 مشاركة لباحثين مصريين و20 مساهمة لباحثين مغاربة.[1]. ويمكن أن نوجز العلاقات التجارية كالاتي:

1-طرق التجارة:

-طريق القوافل الصحراوية(طرابلس-مصر، تونس-ليبيا) حيث كانت القوافل التجارية بين تونس وطرابلس ومصر منتظمة رغم المخاطر.

الطريق البحري عبر المتوسط [2].

2 -السلع المتداولة:

-من المغرب :الصوف، الجلود، الحبوب

-من المشرق الأقمشة، البهارات، الكتب [3]

خاتمة:

تؤكد دراسة العلاقات المغاربية-المشرقية خلال القرنين 16-19م أن المجال العربي الإسلامي شكّل وحدة تاريخية متماسكة، قوامها **الدين، السياسة غير أن ضعف الدولة العثمانية والاحتلال الأوروبي أدى إلى تراجع العلاقات السياسية، مع استمرار الروابط الدينية والفكر الإصلاحي**[4]، وهو ما يفسر لاحقًا **ضعف الموقف العربي المشترك أمام الاستعمار الأوروبي.**، فقد تميزت العلاقات المغاربية – المشارقية بتوازن بين التعاون والتنافس كما أنها تأثرت بالتحولات الإقليمية والدولية وتميزت بالاستمرارية رغم التحديات، ساهمت في صياغتها عدة عوامل أبرزها: العامل العثماني المشترك، التهديدات الأروبية المشتركة، والروابط الثقافية والدينية، والمصالح الاقتصادية المتداخلة.

المحاضرة 9: علاقات الأقطار المغاربية الخارجية بافريقيا

مقدمة:.

إن منظومة العلاقات بين الدول والشعوب تحكمها المصالح التجارية والعلاقات السياسية ثم الروابط الاجتماعية التي تنتج عنها الاداب والمعاملات ثم العلائق الثقافية ؛ فإن كانت المصالح الاقتصادية تنتهي بمجرد انتهاء الفائدة – المصلحة –والعلاقات السياسية تخضع لقانون الغالب والمغلوب فإن الروابط الاجتماعية تنتج عنها تلاقح في المعارف والعادات وتكسب الآداب والمعاملات وتعزز العلاقات الثقافية والعلمية والفكرية التي تقوم على تطوير الذات والكف عن الملذات

---

(1) – مؤتمرًا، «العلاقات بين المشرق والمغرب العربيين.. ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا: رؤى في إعادة كتابة التاريخ»، مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع مركز جامعة الدول العربية بتونس وذلك في الإسكندرية، بين 24 و25 سبتمبر (أيلول) 2018م

(2) – أحمد ابن أبي الضياف، **مصدر سابق، ص 134**

(3) – أبو محمد التجاني، **رحلة التجاني**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981، ص178

(4) – لمزيد من التفاصيل ينظر عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ط 5 المركز الثقافي العربي، بيروت 1996.

مصداق لقوله عزوجل: **﴿يا أيها الناس ان خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ان أكركم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير﴾**[1] **صدق الله العظيم**

ارتبطت الأقطار المغاربية (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) بعلاقات تاريخية عميقة مع إفريقيا جنوب الصحراء شكلت مجالًا حيويًا للتفاعل والتواصل الاقتصادي والديني والثقافي والسياسي.، وقد ساهم الموقع الجغرافي للمغرب الإسلامي، ووحدة الدين الإسلامي، وازدهار الطرق التجارية العابرة للصحراء في بناء شبكة علاقات متينة امتدت لقرون طويلة، وبلغت ذروتها خلال الفترة الممتدة من القرن 16 إلى القرن 19م.

أولا– العلاقات السياسية والعسكرية مع الامبراطوريات الإفريقية:

1- البعد الدبلوماسي: بسطت إيالات الجزائر وطرابلس والمغرب الأقصى وتونس خلال الفترة الحديثة نفوذًا غير مباشر على مختلف المناطق الإفريقية بعقدها عدة تحالفات مع زعماء محليين، **واهتمامها بالتبادل الدبلوماسي مع مختلف الدول الافريقية ويظهر دلك من خلال** إرسال وفود سياسية وتبادل الهدايا ويظهر ذلك من خلال الأمثلة التالية:

أ – امبراطورية سنغاي(القرن16): تبادل سفراء مع المغرب.

ب – سلطنة بورنيو علاقات دبلوماسية مع فزان وطرابلس.

ج _مملكة كانم :تحالفات مع المغرب الأقصى.[2]

2–البعد العسكري:

عملت البلاد المغاربية خلال الفترة الحديثة على فرض قوتها سواء على الإقليمي البحري أو البري من خلال القيام بحملات عسكرية عديدة على مختلف البلدان الافريقية

كوصول الحملة العسكرية لبلاد السودان خلال الحكم السعدي والتي فتحت طريقًا جديدا اقتصادية أمام المغاربة ممّا جعل خزائن الدولة تعرف زخمًا ماليًا وثراء لا مثيل له وجعل أحمد المنصور من أغنى حكام العالم آنذاك. فالمغرب الآقص خلال وصول السعدي إلى سّدة الحكم بدأ يسعى إلى توسيع نطاق حكمه من الشرق والجنوب من خلال البحث عن موارد ثانية تمكنهم من البقاء ودعم تطوير الاقتصاد فكان من أهم الموارد الحيوية استغلاله لسكر سوس وملح تغازا ووذهب السودان.

فمن الجهة الشرقية وأثناء تولي هذه الآسرة الحكم كان المجتمع الدولي آنذاك في اضطراب وتوتر خاصةالدولة العثمانية ومن الجهة الغربية الشمالية الغزو البرتغالي والإسباني إضافة إلى وجود القوة الإنجليزية والفرنسية، أمّا العلاقات المغربية العثمانية توترت في بادئ الآمر للمحاولات المتكررة للدولة العثمانية في إيالة الجزائر لضم المغرب لها. لكن بدأت العلاقات تستقر في عهد السلطان مراد الثالث عندما أبرم حلفًا مع المغرب – أحمد المنصور – يستهدف غزو إسبانيا واستعادة الأندلس خاصة وإسبانيا كانت تعيش أحلك أيامها بعد هزيمتها في معركة أرمادا مع الإنجليز سنة 30 جويلية إلى 10

---

[1] – سورة الحجرات، الاية 13

[2] – عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق :أحمد السعيد سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص89

أوت1588م.

بدأت المراسلات والمكاتبات الدبلوماسية بين البلدين وتردد السفراء أبو الحسن علي التمكروتي خاصة بين 1588-1590م أمّا المنصور فقد اسقبل السفير التركي سنة1589 ؛م في ظل تلك الظروف كانت الدولة العثمانية تعيش بعض الإضرابات الداخلية كثروات طرابلس وتونس وثروات بلاد القبائل في الجزائر إضافة إلى الفوضى ى داخل اليمن مع الإضرابات الخارجية وقد أرسل المنصور مكاتبات يؤكد فيهاعلى توحيد كلمة الإسلام بالقضاء على القوة الإسبانية والبرتغالية وهما عدوان للدولة العثمانية وجنوبًا حتى يضمن سكوتهما.

في تلك الظروف تكتلت القوى الاستعمارية الصليبية لاحتواء كل الساحل المغربي والقضاء على دولة المنصور للوصول إلى إفريقيا الغربية وهذا بتحالف وتوقيع السلطان المخلوع محمد المتوكل مقابل إمداده بالجيش البرتغالي، فتكتلت تلك الجيوش الصليبية وقد قدر عددها 125 ألف مقاتل من البرتغال، الآسبان، ألمانيا مع فرسان البابا والرهبان حاملين أجراسًا لتعليقها في مسجد وجامعة القيروان، حصلت المعركة في وادي المخازن بعيدًا عن نقاط التموين البحري في سهل محيط بالأنهار التي قطعت جسورها وكان النصر حليف المنصور في 4 أوت 1578 وقتل في المعركة ثلاثة ملوك وهي نقطة التحول في تاريخ المغرب وإفريقيا فأعتمد المنصور في سياسته بعدها على أهداف ثابتة أهمها:

-اعتماده سياسة متزنة بين القوى الخارجية.

-محاولة ضربها البعض بالبعض الاخر

_إخراج المغرب من العزلة والعمل على فتح ثغرات للنفوذ المغربي إلى جهات بعيدة خاصة جنوب وغرب إفريقيا .واحتلاله توات يمكنه منقطع الطريق على الآتراك العثمانين بالجزائر.

بدأ المنصور في رسم سياسته التوسعية أساسها التمركز في المواقع الإستراتيجية- من حيث طرقها وثرواتها واتخاذها مواطن ارتكاز منها بلاد توات وتيكورارين-في الجنوب الشرقي شعورًا منه بالدور الهام لهذه المنطقة فها هو الفشتالي يقول عنها مايلي: ...." فالقطران عالم من عوالم الآرض...بما جمع من الآمم وتراكم فيه من القصور وإتصل من العمران وتخلله من العيون."..

خرجت الحملة السعدية إلى توات وتيكوارين سنة 1583م من فاس ومراكش الآولى بقيادة أبي عبدالله بن بركة والثانية بقيادة أبي العباس أحمد بن الحداد العمري المعقلي فألحقوا تيك وراين بعد إحكامها على قاعدتها تيميمون ثم ألحقوا تمنطيط قاعدة توات وأحكموا عليها الشيخ عمر بن محمد بن عبد الرحمان الذي أعلن الطاعة للمنصور)[1](هذه الخطوة كانت عامل مشجع على التماري في التوسع كونها -توات – قريبة من مملحة تغازي التي دار حولها التوتر بين ملوك سنغاي وسلاطين الدولة السعدية2 .

الخطوة الثانية للمنصور فقد كانت المفاوضات والمراسلات المتتالية مع أساقي سنغاي في ما خصت مملحة" تغازي

[1] – يقول الفشتالي..."وبعد أن التقت القوات الفاتحة سجلماسة قصدت تيميمون قاعدة قصور تيكو ا ررين قدّموا إلى أهلها إعلان الطّاعة والولاء للمنصور، وكانوا قدموا إلى أهلها كتب أمير المؤمنين بالإعذار والبراءة والدعاء إلى الطاعة فأساؤوا الرد ولادوا بالمنع واستعدوا للحصار."..ينظر : الفشتالي ص47

"خاصة بعد موت السلطان " **الأسكيا داود**)2 ("والذي كانت تجمعهما أواصر علاقات ود وصداقة المحبة خاصة بعد أن بعث الآسكيا داود[1] هدايا معتبرة (عشرة آلآف ذهب)حيث يدفع الملك السوداني نصيب من المال مقابل ترك الممالك –تاوديني وتغازي وفي سنة 1582 تولى الآسكيا محمد الحاج الثاني وتبادلا الهدايا.

بعد الاستيلاء على توات واصل طريقه في التوسع إلى سنة 1584 حيث إستولى على وادّان ومجرى السنغال ثم طلب من(بقيادة محمد بن سالم والثانية بقيادة عبد المولى بن عيس ى ثمّ وصل إلى تغازي وألزمها بالطاعة وأقام عليها حصنًا وفرض مثقال من الذهب على كل حمل سنة 1586 م3 .

إن موقف الآسكيا محمد كان سلبي حيث وهو مقاطعة لمملحة وعدم التعامل مع المغاربة – فأثار ذلك حفيظة شعب السودان وثارت الفوض ى فانقلب عليه أخوه ثم توفي ثم تولى الآسكيا إسحاق سنة1588-1589 [*] وصل إلى مراكش أخ الآسكيا إسحاق هو علي بن داود فاستشير المنصور بذلك، فأرسل المنصور بقائمة مطالبة في تسليم البلاد والإذعان بالطاعة لكنه رفض وبعث له مايستفزه

–نعلين من حديد وسلسلة حديد – فأقام المنصور الحجة على الآسكيا إسحاق الثاني وبدأ في تجهيز الحملة بعد أن طوّق نفسه بالحجج الشرعية، حينها أعدّ المنصور العدّة واتخذ قرار الحملة وأقنع مستشاريه بحتمية الدخول إلى السودان وكان ذلك بقيادة الباشا جؤذر وكبار قادته معلنًا يوم الخروج 16 أكتوبر 1590 م متحذ طريق(مراكش درعه – تندوف – حمادة البركة–عرق إقدي وشاس، تغازي – تاوديني – أونان، عروان تنكت _ بامبا _ بورم _ تنديبي _ عاغو.

قبل أن يصطدم الجيشان بعث جودر برسالة يناشده بالتفكير في عروض المنصور تجنبًا لإراقة الدماء لكنه رفض. شكل له هيئة إستشارية من كبار القادة هم :مصطفى التركي، مصطفى بن عسكر، أحمد الحروسي الآندلسي، أحمد عطية العلجي علي بن منصور العلجي...فاختار جودر باشا. التقى الجمعان في كاغو(غاو)يوم **13 مارس 1591م**

لقد تبعت ممالك السودان الغربي إلى الحكم السعدي المغربي منذ 1591م المحيط الآطلسي إلى إمارة "كنو "المتاخمة إلى مملكة" برنو "التي أعلنت ولائها سابقا للسلطان أحمد المنصور السعدي حيث أخذ السلطة السعدية في السودان اسم الحكم الباشوي ثم اسم الرماة لحكم من جاء بعدهم من أولادهم[2]. **وتهدف هده الحملات الى** حماية القوافل **و**مكافحة قطاع الطرق إضافة الى دعم بعض الممالك الإفريقية ضد الخصوم.

ثانيا–الروابط الثقافية والدينية:

1 –انتشار الإسلا م والمذهب المالكي :

بعد نشر الإسلام في إفريقيا وتعزيزه في القرن الخامس هجري على يد المرابطين انتشر المذهب السني المالكي في البلاد ولم يتغير ولم يتأثر بالتيارات الإسلامية الأخرى شيعة وخوارج فقد كان للدولة المرابطية سياسة دعوية واضحة تعمل

---

(1) – يسميها بعض المؤرخين بمعظلة تغا ا ز

(*)–1588قامت فوضى داخل سنغاي وثار أحد الولاة في تنكيت هو محمد الصادق وحاول جعل نفسية أسكيا لكن الأسكيا إسحاق قضى عليه ونكل بأهل تنكيت إنتقامًا وممّن ثار عليه أخوه الذي قبض عليه ونفاه إلى تغازي بإشارة من جاسوس المنصور (منصوربن القيلالي).

(2)– لمزيد من التفاصيل ينظر محمد أمين الشنقيطي، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، ط1، مطبعة الروم بمصر 1339هـ/1978م

على نشر المذهب المالكي في إفريقيا وانتشرت المتون المالكية وشكلت مرجعية دينية منها:

- كتاب المدونة للإمام مالك وقد اجتهد عليه أبن القاسم وسحنون
- كتاب التهذيب لأبي سعيد خلف المعروف بالبرادعي
- مختصر المدونة لأبي زيد القيرواني
- جامع مسائل الأحكام لأبي القاسم بن أحمد الجزولي
- مختصر شرح خليل

من أسباب إقبال الأفارقة على المذهب المالكي ابتعاده على التحريف والتأويل وتمسكه الشديد بالقرآن والسنة واعتبار الإمام مالك إمام دار الهجرة – المدينة المنورة _ وهي مكانة خاص في قلوب المسلمين المغاربة والأفارقة وهو يراعي المسائل المرتبطة بالأعراف والعادات والمصالح المرسلة كما يراعي الخلاف ويواكب النوازل والمستجدات .لقد أصبح المذهب المالكي قارًا في السودان الغربي لم يزاحمه مذهب آخر.

وقد انتشر في غرب أفريقيا من خلال العلماء والفقهاء، ومرّ عبر المغرب والجزائر .ملوك مالي، السنغال، النيجر، وبوركينا فاسو وغيرى من الممالك الإفريقية اعتمدوا مذهب المالكية، واستقدموا فقهاء من المغرب وانتقال الطلبة الافارقة الى جامعة القروين وجامع الزيتونة وعودة العلماء الى بلدانهم لنشر العلوم الشرعية واللغة العربية.كما انتشر عبر التجار وقد شكل اطارا حضاريا مشتركا أسهم في توحيد القوانين والعادات.

2– .الطرق الصوفية :مثل التيجانية والقادرية لعبت دورا في الربط الثقافي والروحي

بين المغرب والأقطار الأفريقية وتقيم نشاطا في مراقبة الصلاة، و تعليم القرآن،

إقامة الملتقيات الدينية، والمناسبات الروحية التي تربط المغاربة مع 1المجتمعات الأفريقية، حيث يكوف لزاوية المغربية فروع ومريدون في دول غرب أفريقيا.[1]

3–الهجرة والتأثير الاجتماعي

أ – الهجرة من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء إلى الدول المغاربية من جهة، والمغاربة إلى تلك الدول بدور اقتصادي أو دبلوماسي أو تجاري هذه الهجرة تُسهم في تبادل ثقافي من خلال الزواج، اللغة، وأساليب المعيشة.

ب– ا للغة، الموسيقى، الملابس، العادات والتقاليد تتشابك من خلال التماسات البشرية والتبادل التجاري وكذلك التأثير الثقافي.

4– التبادل الفكري :كان عميقا ومترابطا بين مراكز المعرفة في إفريقيا جنوب الصحراء مثل تمبوكتو، وكانم، وأغاديس) ومراكز العلم في المغرب العربي (فاس، تلمسان، تونس.) وقد اتَّسم هذا التبادل بالثنائية والتكامل، مدعوما

[1] – محمد بللو، **إنفاق الميسور في تاريخ تمبكتو**، تحقيق :محمد محمود الدوعاجي، الجزائر1985 ، ص123

بشبكات الطرق الصوفية، وقوافل التجارة، ورحلات الحج [1].

أ– قنوات التبادل الفكري: رحلة الحج والعلم :مثَّلت رحلة الحج القناة الأهم للتبادل، حيث كانت المدن المغاربية محطات إجبارية يتزود فيها الحجاج بالعلم والكتب .وكان العلماء المغاربة ينتقلون الى الصحراء الافريقية لتعليم الطلبة مثل (الشيخ عبد الرحمن التميمي من أهل تلمسان، وكان من أفاضل العلماء، فانتفع به الطلبة).[2]

ب– ا لتجارة ودورها في نقل المعرفة :كانت القوافل التجارية تنقل المخطوطات والكتب كبضاعة ثمينة بين الشمال والجنوب، فلم تكن تنقل الذهب والملح فحسب، بل كانت تحمل معها أمهات الكتب الفقهية والصوفية من فاس وتلمسان إلى تمبكتو وكانو، حيث كانت تُنسخ وتُدرس في حلقات العلم.[3]

ج –مجالات التبادل الفكري :خاصة في الفقه فقد شكّل المذهب المالكي القاسم المشترك الذي سهل الحوار الفقهي بين المدرستين (المغاربية والافريقية [4]) وفي مجال العلوم والطب والفلك انتقلت المؤلفات العلمية المغاربية إلى مراكز العلم الإفريقية فقد انتشرت المخطوطات الطبية لابن سينا والقصيري (عالم مغربي) في مكتبات تمبكتو، حيث وجدنا نسخا محلية بها شروح لهوامش كتبها علماء محليون.[5]

د –شخصيات محورية في التبادل الفكري

هجرة وانتقال العلماء والدعاة إلى بلاد السودان وعملوا على نشر الدين من خلال التدريس نذكرمنهم على سبيل المثال لا الحصر.

–عبد الرحمان القصري ت 659 هـ)الذي تتلمذ على أحمد زروق ومخلوف البلبالي كان يدرس في مدينة كانو النيجيرية.

–علي الزوادي المراكش ي، محمد بن عمر المكناسي، الشيخ الحاج محمد الوجدي.

–سعيد بن علي الحزولي، أبو عثمان سعيد الدكالي والذي أقام في السودان مدة 35 سنة وقد اعتمد.

عليه العمري في " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار."

–القاض ي أبو عبد الله محمد وانسول في مدينة غاو وقد اعتمد عليه ابن خلدون أثناء حديثه عن مملكة مالي.

–الحافظ مخلوف البلبالي مارس التدريس في كانو وكاتسينا (النيجر ونجيريا) المتوفى في 1534م

–القاضي عبد الله بن أحمد الزموري(ق 888 هـ)شارح كتاب الشفاء، مدرسا بولاته ومن تلاميذه الشيخ النحوي ابن أندغ محمد.

–**أحمد بابا التمبكتي(توفي سنة1627**) يمثلا نموذجا للتبادل القسري لكنه المثمر، أثناء منفاه في مراكش (1594

---

(1) – عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، **تاريخ السودان**، ترجمة هوداس باريس، مطبعة برادين 1981، ص 184

(2) – **المرجع نفسه**، ص185

(3) – محمد إبراهيم الكتاني، **العلاقات بيف المغرب وافريقيا جنوب الصحراء**، منشو رات كلية الآداب، الرباط، 1991، ص 156

(4) – **المرجع نفسه**، ص210

(5) – علي عبد الله منتصر، **تاريخ الطب في ليبيا وعلاقتها بإفريقيا**، دار الثقافة، بنغازي، 1985، ص122

1607 -)، استفاد من خزانات كتب المكتبات المغربية، واجتمع بكبار علماء المغرب، وألّف في المغرب معظم كتبه التي اعترف بها المغاربة أنفسهم[1].

-عبد الكريم المغيلي(توفي سنة :1505)عالم من تلمسان قام برحلات إلى كانو وتمبكتو وناقش قضايا الحكم الإسلامي، وكان جسرا بين المشرق والمغرب وافريقيا فقد ترك مؤلفات في كانو لا تزال تدرس مثل "المرشد المعين" الذي كتبه لسلطان كانو محمد رومفا[2]

فبعد أن أنهى الشيخ المغيلي حربه على اليهود توات وتطهير أرضها منهم استخلف عليها ابنه عبد الجبار وأعطاه رسالة استخلافية يوصيه بها على تقوى الله في الحكم وبين له أمور سياسة البلاد وآثر المغيلي الهجرة إلى بلاد السودان عاملا على مواصلة الدعوة إلى الله.و أول بلدة وصل إليها هي" أهير"، وتكتب- أصير -أوكاهر، بلدة صغيرة غرب إفريقيا ودخل تكدة وجلس ينشر العلم ويعلم الناس، والشيخ المغيلي ممن يقرأ القرآن ويعمل به وهو أيضا من أصحاب الهمم مؤمن قوي يغير المنكر بلسانه وقلبه ويده، فقد وجد في تكدة تلك القرية الصغيرة آخر مدينة تامسنا أهلها غارقون في الخرافات، فعمل على القضاء عليها ووجد أهلها يشربون المياه المالحة فحفر بئرا في طريق المارة وسأل الله أن يجعل ماءه سائغا للشاربين ثم بنى مسجدا.

ثم سافر المغيلي إلى مدينة كانو واتجه مباشرة إلى حاكم كانو" محمد بن يعقوب زنقا -"رونقا- 1463-1499م وقد وصلت سمعة العالم الى هذه البلاد، لذلك رحب به السلطان وأحسن ضيافته وفتح له أبوابه ليجعله مستشاره الأول، فاستقر المغيلي بالإمارة وبنى مدرسته المعروفة باسمه وجلس يدرس فيها فقصده القاصي والداني من طلاب العلم.

وفي ذلك يذكر أحمد بابا عن لقاء المغيلي سلطان كنو" واجتمع لصاحب كنو واستفاد عليه وكتب له رسالة في أمور السلطة يحضه على إتباع الشرع"..[3].

ت- الاجازات العلمية :تمثل الاجازات العلمية أحد أبرز مظاهر التبادل الفكري

بين علماء المغرب العربي وافريقيا جنوب الصحراء خلال الفترة ما بين القرنين16 و19وقد شكلت هذه الاجازات شبكة للتواصل العلمي المعتمد على التلقي المباشر أو المراسلة، ومن اهم النماذج في الاجازات العلمية بين المغاربة وافريقيا نذكر:

-اجازات علماء تمبكتو من المغرب: حصل علماء تمبكتو على اجازات من علماء مغاربة، خاصة في رحلات الحج .ذكر أحمد بابا التمبكتي في كتابه "كفاية المحتاج "أنه حصل على اجازات من علماء مغاربة أثناء منفاه في مراكش[4]

---

(1) – محمد حجي، **الحركة الفكرية في المغرب في عيد السعديين**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1976، ص315

(2) –عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص328

(3) – للتفاصيل أكثر ينظر ناصر الدين، سعيدوني، من تراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، و مقدم بن مبروك، الإمام المغيلي ابن القاضي، درة الحجال مصدر سابق، ج3 ، وعبد الحق حميش، مبارك جعفري، الموسوعة، ص 291. وينظر أيضا، عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، تراجم أعلام توات، ص 279. وخير الدين شيرة، **الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي**، ج 1، ص 149.

(4) – حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حققه اكمال الدين احسان اوغلي وبشار عواد معروف، دار النشر الفرقان للتراث الإسلامي

اجازات الصوفية :مُنحت اجازات الطرق الصوفية (كالقادرية والتيجانية)

بشكل واسع: مثل منح الشيخ أحمد التيجاني(الجزائر/فاس) اجازات لخلفاء في غرب إفريقيا مثل الشيخ عمر الفوتي (السنغال)[1]

–الاجازات عبر المراسلة :كانت المراسلات وسيلة لمنح الاجازات بين العلماء عند تعذّر اللقاء عبر الرسائل[2] .

ثالثا: العلاقات الاقتصادية والإطار المؤسساتي للعلاقات

1– مؤسسات التجارة: الوكالات التجارية المغربية–الإفريقية(القُرنين 16 –19) شكّلت الوكالات التجارية (أو" الفوندوق "كما كانت تُسمى في المصادر التاريخية)العمود الفقري للتبادل الاقتصادي والتجاري بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال الفترة الحديثة المبكرة لم تكنه هذه الوكالات مجرد مراكز للتبادل السلعي، بل كانت نقاطنا لالتقاء الثقافات وتبادل المعرفة ونشر التأثير السياسي[3] .

أ. طبيعة الوكالات التجارية ودورها :كانت الوكالات مؤسسات تجارية مستقرة تقع على طرق القوافل، تستخدم كمخازن للبضائع، وأماكن لإيواء التجار، ومراكز لتبادل المعلومات .[4]وأهم ادوارها:

–الدور الاقتصادي:مثل تخزين البضائع الصحراوية(الذهب، العاج، ريش النعام، العبيد) والبضائع المغربية(الملح، الأسلحة، المنسوجات، الكتب.) وتوفير الحماية للتجار وتسهيل المعاملات المالية.

–الدور الفكري: انتقلت عبر هذه الوكالات المخطوطات والكتب (فمكتبة أحمد بابا في تمبكت واحتوت على كتب مغربية، وكان التجار ناقلين للثقافة(فقد اشترى تجار المغرب مخطوطات من تمبكتو وجلبوا كتبا من فاس إلى إفريقيا)، وتبادل الأخبار والمعرفة(نقل التجار أخبارا عن الأحداث السياسية والعلمية بين الشمال والجنوب)، كما استخدمتها الطرق الصوفية(كالقادرية والتيجانية) هذه الوكالات لنشر تعاليمها.

ب. أهم الوكالات التجارية المغربية–الإفريقية:

–سجلماسة(جنوب شرق المغرب) محطة رئيسية لقوافل الذهب والملح، ومركز لتبادل المخطوطات[5] .

–تَوات(تيميمون بالجزائر) مركز للتجار المغاربة والسودان، انتقل عبره الفقه المالكي .مخطوطات مكتبات توات (مثل مكتبة عبد الكريم المغيلي.)

ط1، لندن 2021..، ص 317

(1) –سيدي علي حرازم بن العربي برادة الفاسي، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمان، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص ص 81-87

(2) – أحمد بلعراق التكني، **إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط**، تج وتع: الهادي المبروك الدالي، ص 125

(3) – أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5، ص 98.

(4) – أحمد بلعراق التكني، **المصدر السابق**، ص122

(5)– أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **مصدر سابق**، ص98

-تمبكتو(مالي الحالية:) سوق للكتب، ومقر لوكالات التجار المغاربة [1].

-أغاديس(النيجر الحالية:) محطة للقوافل بين كانو والمغرب.

ت - تراجع وانحدار دور الوكالات أواخر القرن 19 للأسباب التالية:

-التوسع الاستعماري الأوروبي الذي قطع طرق القوافل.

-انفتاح إفريقيا على التجارة الأطلسية بدلا من الصحراوية.

-تراجع دور الملح والذهب مع ظهور منتجات أخرى.

-الصراعات السياسية وتدهور الامن[2].

2-طرق التجارة العابرة لصحراء:

يذكر ابن خلدون أبا را أرتوازية بالصحراء في البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غربية في إسنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهواء تطوى جونبها إلى أن يوصل الحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق ثم تصعد ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها على الماء فيعث صاعدًا فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديًا.

وقداكتسبت طرقا تجارية أخرى أهمية خلال القرنين 15م - 16م وهي طريق كانم بورنو خاصة بعد انهيار سلطنة سنغي وقيام ممالك الهوسا، ازدهرت الطريق التجاري الشرقي وأصبحت مدينة كاشنة وكان ومن أنشط المراكز التجارية. الجوار الجغرافي غالبًا ما يؤدي إلى اشتراك القبائل وتداخلها بين القبائل وإلى تأثير وتأثر وتشابه في العادات والتقاليد ولذا فإن موقع التشاد في البوابة الجنوبية للبلاد العربية أهلها لأن تكون موطنًا حضريالامتداد اللغة العربية وجعلها ترتبط بجذور تاريخية وعرفية وثقافية من أهم هده الطرق:

أ — طريق غدامس-كانو :ربط تونس وطرابلس بمنطقة هوسا.

ب - طريق سجلماسة-تمبوكتو :ربط المغرب بإمبراطوريه سنغاي.

ج _طريق غات-أغاديز :ربط فزان بمنطقة إير [3]، وكانت القوافل التجارية تتكون أحيانًا من مئات الجمال، وتحظى بحماية سياسية وعسكرية[4].

3-السلع التجارية:

أ- من الجنوب :الذهب (خاصة من بورنو وغانا)، العاج، الرقيق، ريش النعام

ب - من الشمال :الملح، الأسلحة، المنسوجات، الكتب.[5]

---

[1]- عبد الرحمن السعدي، **المرجع السابق**، ص184

[2]- أحمد بن خالد النّاصري السلاوي، **مصدر سابق**، ص152

[3] - احمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة**، ط 2دار الكتاب، طرابلس 2000، ص234

[4] - حسين مؤنس، *إفريقيا وحضارتها في التاريخ الإسلامي*، عالم المعرفة، الكويت، ص 87.

[5] - أحمد التيجاني، **مصدر سابق**، ص167

أمّا جودر باشا أدخل سنة 1599 أدخل 10 آلاف عبدو10 آلاف جارية 400 حمل من التبر وألف حمل من العاج وأربعة أفيال. لقد عرفت العلاقات المغربية السودانية الاقتصادية رواجًا على صعيد تبادل البضائع فلم يكن ذهب السودان المادة الوحيدة الجاذبة للمغاربة فقد عرف الملح والجلود ور يش النعام والرقيق والزعفران رواجًا كثيرًا خاصة من مدينة كانم وإمارات الهوسا ومدن سنغاي وخلال ق 16[1].

رابعا– التحديات والمخاطر

1–مخاطر الطريق :من قطاع الطرق والعواصف الرملية، وندرة المياه في الصحراء

2–المنافسة الأوروبية والتوسع الاستعماري.

3– .انخفاض أهمية الطرق الصحراوية وظهور الطرق البحرية(تحول الطرق التجارية إلى السواحل [2]

خامسا–تراجع العلاقات نهاية القرن 19م

1– .أسباب التراجع

- الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830م)
- التوسع الاستعماري في إفريقيا
- إغلاق الطرق الصحراوية
- تحول التجارة نحو الموانئ الأوروبية

2– النتائج

- تفكك الشبكات التجارية التقليدية
- عزل إفريقيا جنوب الصحراء
- إخضاع العلاقات لمنطق الاستعمار الأوروبي

خاتمة

تُبرز دراسة العلاقات المغاربية الإفريقية أن هذه العلاقات لم تكن هامشية أو ظرفية، بل شكلت **نظامًا متكاملًا** قائمًا على:الاقتصاد والدين والثقافة والسياسة

وقد ساهم هذا النظام في بناء وحدة حضارية إفريقية–إسلامية سبقت التدخل الاستعماري، وتشكل اليوم مرجعًا تاريخيًا لفهم عمق الانتماء الإفريقي للمغرب العربي.

---

[1] – أحمد الناصري السلاوي، **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5، **المصدر السابق**، ص167

[2] – شوقي الجمل عطا الله، **تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها**، مكتبة الانجلو المصرية، 1971، ص178

خرائط تمثل الطرق التجارية بين الشمال وجنوب الصحراء الإفريقية





المحاضرة 10: العلاقات الخارجية للأقطار المغاربية

مع الدول الأوروبية(القرن 16-19م)

مقدمة

تمثل منطقة المغرب العربي مجالاً جيو-استراتيجياً بالغ الأهمية في حوض البحر الأبيض المتوسط، بحكم موقعها الرابط بين إفريقيا وأوروبا والعالم الإسلامي وتتزايد أهمية الإقليم المغاربي أكثر فأكثر مع تعقد العلاقات الدولية، وقد جعل هذا الموقع الأقطار المغاربية في احتكاك دائم بالقوى الأوروبية، ما أفرز علاقات معقدة تراوحت بين الصراع العسكري، والتعاون التجاري، والتحالفات السياسية، وانتهت في القرن التاسع عشر إلى الهيمنة الاستعمارية.

وقد كان للحضور العثماني في غرب المتوسط أثر كبير على سير الاحداث التي كانت تشهدها منطقة الغرب الإسلامي خلال القرن 10هـ-16م اذ أن العثمانيين من خلال تحركاتهم في غرب البحر وتدخلاتهم في منطقة المغرب وذلك عن طريق تثبيت الوجود العثماني في المتوسط عبر محطات رئيسية مثلتها جزيرة جربة ومالطة وتونس ورودس [1] جاءت للرد على

[1] - كمال صحراوي، " الصراع الإسلامي المسيحي ومؤشراته في البحر المتوسط خلال القرن 16م" **مجلة الحضارة الإسلامية**، العدد -20-21، فيبراير 2014 وهران

الزحف المسيحي الذي تزايد بعد الاتفاق الاسباني والبرتغالي المعروف "توريديسلاس "في جوان 1449م[1]، وقد ساهموا في إعطاء نفس لحركة المقاومة التي انطلقت للرد على الهجمات المسيحية التي كانت تستهدف منطقة المغرب خلال هده الفترة

وتتمحور إشكالية المحاضرة فيما يلي:

إلى أي مدى اتسمت العلاقات بين الأقطار المغاربية والدول الأوروبية خلال القرن (16-19م) بالتكافؤ والتوازن، ومتى تحولت إلى علاقات هيمنة وتبعية مهّدت للتدخل الاستعماري المباشر؟

أولا– العلاقات خلال القرن السادس عشر" الإطار العام للعلاقات المغاربية–الأوروبية:

تأثرت العلاقات بعدة عوامل أهمها الموقع الجغرافي، وأهمية البحر المتوسط كمجال تجاري وعسكري، إضافة إلى الدور العثماني في حماية السواحل المغاربية.، وقد تميزت هذه العلاقات بازدواجية واضحة جمعت بين الصراع والتعاون، خاصة بعد سقوط الأندلس وتزايد الزحف الإسباني والبرتغالي .وقد لعب العثمانيون دوراً محورياً في دعم الأقطار المغاربية، بينما برز الجهاد البحري كوسيلة للدفاع عن السواحل وتنظيم العلاقات عبر المعاهدات، ففي سنة 1535م بادرت فرنسا بعقد معاهدة سلم وصلح مع الباب العالي مكنتها من الناحية القانونية على الأقل من الحصول على الامتيازات عديدة من ضمنها عدم تعرض قراصنة الولايات العثمانية بالمغرب العربي الى سفنها كما تمكنت إنجلترا والمقاطعات المتحدة سنة 1512م من الحصول على نفس الامتيازات من الباب العالي[2].

ثانيا –طبيعة العلاقات بين الأقطار المغاربية الخارجية باروبا:

شهدت العلاقات بين دول المغرب العربي وأروبا خلال القرنين 16و 19تحولات جذرية من التنافس العسكري والتجاري إلى الهيمنة الأوربية المباشرة.

1- **طبيعة العلاقات(صراع وتعاون)**: تميزت العلاقات بالصراع والعداوة احينا والسلم والتحالف أحيانا أخرى ويمكن توضيحها كالاتي:

أ– خلال القرن السادس عشر:

-**الجهاد البحري والصراع العسكري** :حيث سيطرت الأساطيل المغاربية (خاصة الجزا ئرية والتونسية)على غرب المتوسط، وهاجمت السواحل الأوروبية فقدكانت سفن المسلمين من الجزائر وتونس تغير على سواحل إسبانيا وايطاليا، وتأسر من تقدر عليه [3].

-**التبادل التجاري ولتحالفات** :أبرمت معاهدات تجارية مع فرنسا وانجلترا وهولندا، فقد تعامل تجار فاس مع تجار مارسيليا وليفورنو، وتبادلوا البضائع رغم الحرب..[4]

ب – خلال القرن السابع عشر والثامن عشر(:توازن مصالح)

---

(1) –صالح حيمر، **التحالف الاروبي ضد الجزائر 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة 2007/2006

(2) – دلندة الارقش، عبد الحميد الارقش، جمال بن طاهر، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، المصدر السابق**، ص –ص 312-315

(3) – أحمد بن خالد الناصري، **مصدر سابق**، ص89

(4) – أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، ط2 ، دار نشر المعرفة لمنشر والتوزيع، المغرب، ص234 .

–العلاقات الدبلوماسية :حيث تميزت بتبادل السفراء والهدايا مثل العلاقات المغربية–الإنجليزية(أرسلت الملكة إليزابيت أولى رسلها إلى السلطان أحمد المنصور الذهبي تطلب تحالفا ضد إسبانيا سنة1600 ، كما أرسل ملك فرنسا هدايا إلى السلطان سليمان المغربي سنة1788 ، تمثلت ساعة فاخرة وخرائط بحرية..

–القرصنة وتبادل الأسرى :فقد استمر الجهاد البحري مع توقيع معاهدات لفدية الأسرى(كان تجار المغرب يتبادلون الأسرى الأوروبيين بالبضائع عن طريق الوسطاء.[1]

ج _القرن التاسع عشر(:الهيمنة الأوروبية)

–**الغزو العسكري المباشر** :احتلال فرنسا للجزائر(1830) وتونس(1881)وإيطاليا(لليبيا1911)، فقد بدأ الأوروبيون يتدخلون في شؤون المغرب العربي بعد ضعف العثمانيين3 [2]

–**المعاهدات غير المتكافئة** :فرض اتفاقيات تجارية مجحفة (مثل معاهدة الصلح والصداقة والتجارة بين المغرب وانجلتر ا1856 ، حيث فتحت المعاهدات الباب للتدخل الأجنبي في الاقتصاد. [3]

ثانيا– نماذج عن العلاقات المغاربية الأوربية:

اتسمت العلاقات المغاربية والأوروبية بتوازن المصالح، وتكثيف التمثيل الدبلوماسي، وتوقيع معاهدات السلم، وتنظيم تبادل الأسرى، مع استمرار التوترات البحرية.

أولاً– العلاقات الجزائرية والدول الأوروبية: تميزت العلاقات الجزائرية-الفرنسية بالتقلب بين السلم والحرب، بدءاً بإنشاء القنصلية الفرنسية سنة1578 م، مروراً بقصف الجزائر، وانتهاءً بحادثة المروحة.، وكانت بداية العلاقات الرسمية بإنشاء القنصليات ويمكن تفصيلها كمايلي:

1–بداية العلاقات الرسمية:

1.1– إنشاء القنصلية الفرنسية بالجزائر:

على الرغم من تقارب العلاقات الجزائرية الفرنسية، فان هذه العلاقات لم تتخذ صيغة رسمية إلا حوالي سنة1578 ، وذلك بإنشاء القنصلية الفرنسية بالجزائر، وتعود اولى المحاولات في هذا الصدد إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر حين قام الملك" شارل التاسع "بتعيين احد الرعايا ويدعى:" بارتول " لمنصب القنصل بمدينة الجزائر في 15 سبتمبر 1564.و لم تحض هذه المحا ولة بالتوفيق نظرا للمعارضة الشديدة التي أبداها كل من الباشا والديوان لفكرة إقامة دائمة لممثل عن دولة مسيحية فرجع المرشح من حيث أتى،. وفي عهد" هنري الثالث" الذي عزم على إيجاد تمثيل دبلوماسي ببلاد المغرب عموما حيث جددت فرنسا المحاولة،.بينما أصرت حكومة الجزائر على اعتراضها وأمام هذا الرفض المتواصل،

---

(1) – أحمد بن خالد الناصري، **مصدر سابق**، ص152

(2) – محمد الصغير الافراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشادلي**، ط مطبعة النجاح الجديدة ط1، الدار البيضاء 1998، ص198

(3) – عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الاثار في التراجم والاخبار، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، القاهرة 2012**، ص312

فهمت فرنسا ووجهت جهودها صوب الباب العالي حتى يتدخل، ولم يتم ذلك إلا في أوائل سنة 1578 حيث أصدر "مراد الثالث" أمرا مستعجلا يقضي بقبول " مورتس ي سوردن "قنصلا.

و قد تميزت العلاقات الجزائرية – الفرنسية منذ الثلاثينات من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر، فترات خفية من التعاون، فكانت البحرية الجزائرية تقدم دعما نافعا لفرنسا في تصديها للأعداء سوآءا على الصعيد الداخلي والخارجي

2.1-- دور لويس الرابع عشر في توطيد علاقات الصداقة مع الجزائر:

لقد حرصت فرنسا على كسب صداقة الجزائر الضرورية لضرب اعدائها، فقام الملك بارسال قنصله بالجزائر مع ما قيمته ستة الاف فرنك ليوزعها على شكل هدايا على حكام مدينة الجزائر لتحريضهم على قطع علاقاتهم بهولندا وإنجلترا، وفي 1669 صارح لويس الرابع عشر حكومة الجزائر من اجل التحالف ضد اوربا ويقطع علاقاتها مع مختلف الدول الاوربية وان تبقى على اتحادها مع فرنسا فقط.

3.1 – توتر العلاقات بين البلدين:

ان الوفاق الذي اتسمت به العلاقات أصبح مشروطا بظهور الدايات واعتلائهم الحكم، فظهر تخلي واضح من جانب الحكومة الجزائرية عن أية ليونة، فالتحالف بين هما لم يدم طويلا حيث بدأت العلاقات تسوء منذ سنة1672 ، بالرغم من كون الجزائر كانت في حالة حرب مع هولندا وانجلترا، وهو الهدف الذي سعت إليه فرنسا، وتمثل الرسالة الموجهة من الداي الحاج محمد المؤرخة في 23 سبتمبر1674 حجز الزاوية في العلاقات الجزائرية – الفرنسية فقد حددت الأسس التي وضعتها الجزائر في سبيل إقامة سلام وصداقة بين البلدين، كما يلاحظ من خلالها اللهجة الحادة التي خاطب بها الداي حاكم فرنسا، في حين ذكر بالسلام القائم بين البلدين، حيث هدد فرنسا بالقطيعة في حالة امتناعها عن احترام تلك القواعد، ومن خلال الرسائل التي أرسلها ملك فرنسا عن طريق القنصل **ارتيو**ان فإن هذه الأخيرة وافقت على تلك الشروط.

و بعد مرور حوالي سنة على تاريخ رسالة الداي الحاج محمد شرعت في تطبيق ما عرضت عليه، فاحتجزت الفرنسيين الذين قبض عليهم على متن سفن أعدائها، كما فعله الرايس ميزومورطو عن استيلائه على سفينتين الأولى من جنوه والثانية من ليفورنه، واللتان كانتا تحملان 23 فرنسي.

4.1-توتر العلاقات من جديد:

استنادا الى رسالة القنصل الفرنسي إلى حكام مدينة مرسيليا يعود قطع الحكومة الجزائرية لعلاقتها بفرنسا، لكون هذه الأخيرة لم تلتزم بإحدى القواعد المشار إليها، وهي عدم حجز الجزائريين الفارين من اسبانيا وغيرها.

وكانت حادثة سنة 1679 سبب مباشر في ذلك، حيث اعترضت سفينة بمرسيليا جماعة من الجزائريين كانوا قد افلتوا من قبضة الأسر الاسباني، ولقد كان هذا الاعتداء خرقا صارخا لنصوص المعاهدات،.و ظلت المسالة محل خلاف بين الحكومتين لمدة ثلاث سنوات من 1679 إلى1681 ، وحسب ما أ وردته بعض المراجع انه تم توصل الطرفين إلى اتفاق بشان تبادل الأسرى بتاريخ 1681 غير أن فرنسا لم تلتزم لوعودها.، عندئذ قرر الديوان في 18 أكتوبر نقض

السلام وأعلان الحرب ضد فرنسا، ويعني ذلك العودة إلى نشاط البحرية ..وتمكن البحارة في ظرف شهر واحد من إلحاق خسائر كبيرة بالبحرية الفرنسية، و.لم ترض فرنسا أن تعلن الجزائر الحرب ضدها، خاصة وأن الجزائر قد أبرمت معاهدة مع هولندا بتاريخ أول ماي 1680 تعهدت بمقتضاها تزويد الجزائر بالعتاد الحربي من بارود وقذائف ومدافع كما قامت انجلترا هي الأخرى بعقد معاهدة بتاريخ 22 افريل 1682 اعترفت فيها أيضا بتزويد الجزائر بالعتاد الحربي.

فأي سبيل تختاره فرنسا، بعد أن سالمت حكومة الجزائر كلا من هولندا وانجلترا ؟ هل تتفاوض معها أم تعلن الحرب ضدها ؟ أن التفاوض بالنسبة لها لم يكن شيئا مضمونا لامتيازين اثنين، بيدوا أن لويس الرابع عشر وضعها في الحسبان، وقد ترفض الجزائر التفاوض مع فرنسا وفي حالة قبولها بذلك فإنها تفرض عليه معاهدة مثل التي تمت مع هولندا وانجلترا فلا سبيل أمام لويس الرابع لاستعراض العضلات، فقرر عندئذ حرق المدينة.

قامت فرنسا بإعداد حملة بقيادة الأميرال دوكين أو دوكسين في مراجع أخر ى، وقد غادرت فرنسا يوم12 جويلية 1682ووصلت مدينة شرشال، يوم 25 من الشهر نفسه وسميت حملته بدوكين الأو ل، وبدأ بقنبلة المدينة، حيث تمكنت من إغراق سفينتين جزائرتين ثم انتقل الأسطول إلى مدينة الجزائر يوم 29 جويلية لإنذار الجزائريين من أجل قبول المطالب الفرنسية، وهذه المطالب تتمثل في إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، وتقديم اعتذار رسمي إلى ملك فرنسا، ولما رفضت الجزائر الإنذار قصف الأسطول الفرنسي المدينة يوم 26 أوت بحوالي 200 سفينة، لكن الخسائر كانت خفيفة ورجع الأسطول إلى فرنسا يوم12 سبتمبر من نفس السنة، غير أن دوكين رجع صائفة1683 ، وزاد على مطالبه التزام الجزائر بدفع نفقات ومصاريف الحملة وأنه لن يغادر مرسى الجزائر ألا بعد تنفيذ جميع مطالبه.، وخلال هذه الفترة عقد صلح بين البلدين حيث وافق الداي على عقد الصلح مع دوكين، وقام بإطلاق سراح 57 فرنسي، ولكن دوكين قصف المدينة مرة ثانية في جويلية1683 م كما تم اغتيال بابا حسن الذي اتهم بالضعف لإطلاقه سراح الأسرى الفرنسيين دون مقابل،، وكذلك وقعت معاهدة سلام وصداقة بين الحاج حسين ومورنو، وتورفيل يوم 25 أفريل 1684 تخص تبادل الأسرى والامتيازات الجمركية وقررت مدة سير هذه المعاهدة مئة سنة.وفي سنة 1686 م طالبت الجزائر اطلاق سراح الأسرى الموجودين بفرنسا، والذين لم يتسن للمبعوثين الجزائريين إحصاءهم، لأن أصحاب السفن الفرنسية كانوا يخفونهم عن الأنظار، كما اشتكى الداي في رسالة بعث بها إلى لويس الرابع عشر في قنصله الموجود في الجزائر لكذبه وعدم نزاهته كونه يضخم الأمور ويزيد في عدد الأسرى الفرنسيين بالجزائر ومن هنا أطلقت فرنسا عدد من أسرى عساكر الاوجاق، وتبادل الطرفان الهدايا عند أواخر سنة1686 .

وعادت العلاقات إلى التوتر من جديد بين الفرنسيين سنة1687 بسبب حجز سفينة مشبوهة قرب ساحل العاصمة، من طرف أميرال فرنسي، والتي كانت تتجسس على الجزائر، فقامت فرنسا بإرسال عبارة ضخمة رست في ميناء الجزائر أواخر جوان1687 ، بقيادة روشري تطالب بامتيازات أكثر، وبدأ القصف بالقنابل منذ أول جويلية من نفس السنة لكنها لم تحقق أي نتيجة، بل أدت إلى تمديد الأسطول الجزائري حصاره للسواحل الفرنسية ومهاجمتها بغارات منفصلة مما دفع الفرنسيين إلى طلب الصلح.

نلاحظ هنا أن الجانب الفرنسي قد نقض أهم بنود معاهداته مع الجزائر، ألا وهو عدم الإسراع في استخدام القوة لحل الخلافات الحاصلة بين الطرفين قبل اللجوء إلى الحلول السلمية وهذ ا ما كا ن يؤدي إلى تعقيد الأمور.

قام الداي الحاج شعبان بإرسال رسالة الى لويس الرابع عشر في 23 جويلية1691 كشف فيها مناورات الفرنسيين وتحايلهم وعدم تطبيقهم للمعاهدات، وبين فيها الصعوبات التي تواجه الصلح الدائم بين البلدين، وبعدها مباشرة تلقى "فيهل تسيو" مبعوث فرنسا بالجزائر تعليمات تحثه على إنهاء كل القضايا المتعلقة بين الطرفين.

ولكن منذ عام1727 بدأ التوتر يعود من جديد، فقد تم اسر سفينة جزائرية، واسر 23 جزائري من طرف القراصنة المالطيين الذين سلموهم الى فرنسا، ورغم أن المعاهدة تنص على إطلاق سراحهم وإرسالهم إلى الجزائر،، لكن الفرنسيين عمدوا إلى إخفاء أمر هؤلاء الأسرى ولكن نبأهم وصل إلى الجزائر، فطالبت بهم لكن فرنسا رفضت تسليمهم كلهم باستثناء 19 أسير فقط واحتفظوا بالباقي،.كما قام التجار الفرنسيون بحجز شحنة من الصوف كان قد بعث بها الداي الى مرسيليا لتباع، لكن هؤلاء اعتبروا الركب والشحنة لأحد التجار الفرنسيين المقيمين بالجزائر، وكرد فعل استولت الجزائر على أربع مراكب فرنسية على السواحل الإسبانية، كما اتهم الداي بابا حسن الفرنسيين عام 1744 بالتحالف مع فرسان مالطة ضد الجزائر، فقام بإغلاق مؤسساتهم التجارية بالقالة وعنابة لمدة عام كامل...

و في سنة 1753 وقعت حادثة كادت أن تؤدي إلى القطيعة، فقد فكرت فرنسا جديا في شن حرب على الجزائر، والسبب يعود إلى رفض أحد المراكب الفرنسية التوقف للتفتيش قرب مدخل مضيق جبل طارق فأطلقت عليهم النيران، مما أدى إلى نشوب معركة قتل فيها إحدى عشرة جزائري، واخذوا المركب وصادروا كل الشحنة واسر ملاحيها وجلد الربان حتى الموت، وعلى الرغم من كل التجاوزات فان العلاقات بين البلدين لم تتأثر، كما لم تتأثر كذلك بسوء معاملة الأسرى الجزائريين في فرنسا.و في عام 1763 عمدت فرنسا إلى إرسال مبعوث لها إلى الجزائر للاتفاق على ترتيبات جديدة تمنع من تكرار حوادث البحر، وفي 16 جانفي 1764 توصل الطرفان إلى تسوية جميع القضايا المتعلقة بالاتفاق مع إضافة سبعة بنود جديدة لمعاهدة السلم القائمة بينهما، وفي سنة 1774 اعتلى العرش الفرنسي لويس السادس عشر، الذي بادر بتثبيت كل المعاهدات المبرمة بين البلدين،، ونظرا للاعتداءات التي كانت تتم في المياه الإقليمية الفرنسية على التجارة الجزائريين أوفدت فرنسا مبعوثا إلى جزائر في جانفي .1790 وحدد اجل الصلح الى مائة عام أخرى أي في عام 1887 م..

5.1--عودة العلاقات إلى الانقطاع من جديد:

عندما علمت الدولة العثمانية بخبر المعاهدة للصلح الجديدة التي أبرمت مع فرنسا وذلك في يوم23 سبتمبر 1800 م تشددت مع الجزائر، وأمرتها بإعلان الحرب على فرنسا، وهددتها بسوء المصير للبعثة التي أرسلت برئاسة وكيل الخرج وللرعايا الجزائريين في إسطنبول، فاجمع الديوان يوم: 22 جانفي 1801 وابلغ القنصل تانفيل بقطع العلاقات بين البلدين معطية له الحرية في الخروج من الجزائر مع كل أفراد العائلة.

وفي رسالة سرية بعث بها الداي مصطفى إلى القنصل الأول " نابليون بونابرت " أكد له فيها حزنه العميق على قطع

العلاقات، وانه مجبر على تنفيذ أوامر السلطا ن.

و ما يلاحظ هنا أن فرنسا حالما تخلصت من الضغط الأوربي، بدأت توجه أنظارها إلى الجزائر وتتحين الفرصة لتهجم عليها، حيث استغل نابليون بعض الحوادث لافتعال الأزمة مع الجزائر، فخلال جوان1802 ، قام الرايس علي بأسر قائد سفينة فرنسية، وقتله لأنه رفض التفتيش واحتجاز المركب، على الرغم من أن ركابه يحملون جوازات موقعة من طرف بونابرت نفسه، فهذه الأعمال اعتبرتها الجزائر سرقة، فاستغلت فرنسا هذه الحوادث لتصعيد الموقف مع الجزائر وذلك برفض نابليون القاطع بدفع الإتاوة، وطالب بإعدام الرايس الجزائري.

بدأ الفرنسيون بإعداد التقارير حول مختلف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة الجانب العسكر ي، وفي يوم 5 أوت 1802 م، أرست سفينة بحرية فرنسية فى مرسى الجزائر، تحمل مبعوث الجنرال بونابرت لدى الجنرال مولان، ولقد زود الفرقة بتعليمات تقضي فرض الحصار على الميناء في الحين والبدء في عمليات عدائية من الجزائر في حالة رفض الداي للمطالب الفرنسية فرفض الداي في البداية هذه المطالب وأكد بأنه يفضل حرق المدينة على الاستسلام.و لكن في يوم 7 أوت 1802 م استقبل الداي مبعوث بونابرت الذي سلم له الرسالة، التي كان يحملها، فتفاجأ الجميع بقبوله ترضية جميع مطالب فرنسا، وحتى عدم دفع الإتاوة ومعاقبته الرايس علي بالقتل، فلا توجد أي معلومات عن أسباب هذا التحول المفاجىء، ودعا الحاج يوسف الخبير بالشؤون السياسية الذي أكد أن هذا العمل يؤدي إلى منع الأزمة تتوسع: ولا يمكن اعتباره استسلاما يشكل مساسا بكرامة الدولة وسيادتها.و بالرغم من انتهاء الأزمة وتسويتها بالتراضي، فان الجزائر لم تعد مطمئنة الى جانب فرنسا بل بقيت تشك في نواياها الحقيقية، وما يؤكد هذا الشعور بالقلق تلك الجهود التي كان يبذلها الداي مصطفى باشا عقب هذه الأزمة لتقوية استحكامات العاصمة وتطويرها في انه يقضي معظم وقته إلى جانب العما ل، كما أعطى التعليمات إلى كل المقاطعات للاستعداد في أي وقت.

6.1- لقطيعة وإعلان الحرب.

قام الداي مصطفى بإرسال رسالة إلى المديرية التنفيذية يشتكي من التجاوزات الفرنسية، حيث استولت البحرية الفرنسية على سفينة دانمركية، تحمل البضائع وتجهيزات موجهة للجزائر، وتماطل فرنسا أيضا في تسديد ديون التاجرين بكري وبوشناق، كما طلب الداي بتسديد مبلغ القرض المقدر بمليون فرنك، مؤكدا على وجوب احترام السفن الجزائرية، كما قام بتوجيه رسالة أخرى باللغة الفرنسية في 17 سبتمبر1798 ، بعدما علم أن رسالته الأولى لم تفهم.وذلك بسبب جهلهم باللغة التركية، وبسبب سوء النية، ملحا برد الحقوق لأصحابها في أقرب الآجال، ولكن فرنسا اتبعت سياسة المماطلة الى ما نهاية، ولما بدأت الحملة الفرنسية على مصر سنة1798 وصل مبعوث السلطات العثمانية الى الجزائر، ومعه فرسان يطلب من الداي إعلان القطيعة مع فرنسا والدخول في حرب ضدها. وفي صباح يوم 23 ديسمبر1798 .أعلنت الجزائر الحرب ضد فرنسا و، تم اعتقال القنصل ومعه 28 فرنسيا، كانوا مقيمين في مدينة الجزائر، كما أرسلت تعليمات الداي إلى باي قسنطينة فأمره بغلق مراكز الوكالة الإفريقية في كل من عنابة والقالة، وحجز ممتلكاتها، غير أن هذه الإجراءات كانت شكلية فقط، حيث أفرج عن الجميع بمجرد رجوع البعثة العثمانية التي قد طلبت منه ذلك، ويبدو أن هناك

شخصيات من السلطة لم تكن مقتنعة بالموقف الذي اتخذته ضد فرنسا، ويأتي في مقدمتهم الخز ناجي، ووكيل الخراج، بل وحتى الداي مصطفى باشا نفسه، فالقرار اتخذ من طرف الديوان وهو يستجيب للاتجاه العام السائد لدى الناس الذين يمقتون فرنسا.

و من الظاهر أن هذه الآراء نابعة من العلاقات التي تربطهم بالتاجرين اليهوديين: بكري وبوشناق الذين لها مصالح واسعة مع فرنسا، فلا يلائمها قطع العلاقات معها، وخاصة إن ديونها عليها لم تسدد بعد، وكرد فعل أصدرت فرنسا في 15فيفري 1799 قرارا يقضي هذا القرار بقيام السفن الفرنسية بمهاجمة كل سفينة حربية كانت أم تجارية تحمل الراية الجزائ رية وتوقيف رعاياها، ومصادرة كل الممتلكات ومن نفس الوقت بسبب ما أعلنته فرنسا، وبعد مساعي حثيثة من الدا ي ومن يعقوب بكري المقيم بفرنسا، رفعت القيود المشروطة نهائيا وذلك في أواخر سنة 1799 . وفي ماي 1800 توجه قنصل جديد إلى الجزائر يدعى "شارل ديبو تانفيل " من اجل إعادة العلاقات بين الدولتين وإبرام الصلح، حيث التقى مع الداي مصطفى وتطرق معه إلى عدة مواضيع منها: التنديد باحتلال مصر، ومسألة تسديد الديون الخاصة بالتاجرين اليهوديين، وكذلك مطالبة فرنسا بدفع إتاوة مقابل الصلح وذلك لسببين مهمين أحدهما امتناع فرنسا عن تقديم الهدايا القنصلية للدا ي وكذا احتلالها لمصر، وبعد عدة مفاوضات قبلت فرنسا بدفع مبلغ مئتي ألف قرش اسباني(مليون فرنك بدل ست ملايين فرنك فرنسي حيث اتفق تانفيل مع وزير العلاقات التجارية تاليران بدفع تسبيق للتاجرين من أجل ان يطمئن لكن في نفس الوقت، يؤكد على ضرورة عدم تصفية ديونها. غير انه بعد انقطاع صلح اميان سنة 1803 واندلا ع الحرب بين فرنسا وانجلترا، غيرت فرنسا سياستها اتجاه الجزائر، واستبدلت التحرش بالمهادنة من اجل تهدئة العلاقات.

ومنذ سنة 1812 م أصبح كل بلد يطبق الإجراءات التي تراعي مصالحه فقط، فالفرنسيون يستولون على السفن التي ترتاد موانئهم ويحتجزون ممتلكات الجزائريين في أراضيهم، والجزائريون بالمقابل يستولون على الغنائم التي يسوقها القراصنة الفرنسيون بموانئهم، ونلاحظ هنا سياسة تتبناها الجزائر قبل الحروب الجارية في أوربا التي حاولت كسب الجزائر في صفها ولكنها لم تنجح، وعشية سقوط نابليون وعودة آل بوربون إلى عرش فرنسا، رضيت الجزائر بالنظام الجديد في فرنسا، حيث رد الداي الحاج علي باشا، رسالة إلى لويس الثامن عشر، بان الجزائر تعمل بكل صدق وإخلاص من اجل دوام الصداقة بين البلدين.

أزيح القنصل القديم بتعيين بيير دوفال في منصب القنصل العام للجزائر، وخلال هذه الفترة عمدت فرنسا إلى محاولة تحسين وضعها بالجزائر، بترضية الحكومة الجزائرية حول المطالب المالية والاستعداد لتسوية مسألة الديون للتاجرين، وبعد سنة 1818 م وفي أعقاب فشل مبعوثي مؤتمر إيكس لاشابيل، رفض الداي لمساعيهما في إيقاف أعمال البحرية الجزائرية، وفي أواخر شهر جانفي 1825 طرح دوفال مسألة التصالح مع البابوية، وعبثا انتظر قدوم مبعوث من طرفها ما يزيد عن عام ونصف، ولما لم يأت احد اعتبر أن البابوية قد تراجع ت عن إبرام مثل هذا الصلح، لذلك استولت البحرية الجزائرية على سفينتين تابعتين للبابوية يومي18 و 20أوت1826 .و في أكتوبر 1826 قدم دوفال بمعية قائد العبارة البحرية

الموجودة بالمرسى، مذكرة احتجاج وتصعيد للحكومة الجزائرية، مطالبا باحترام الراية البابوية ومنح تعويضات لها عن المركبين الذين استولت عليها الجزائر، رفضت الجزائر هذه التهديدات، وقررت فرنسا فرض حصار يجري عليها عند نهاية سنة 1826، غير أن الوقت كان شتاء لذلك أجلت إلى الربيع المقبل..

في هذه الظروف وقعت حادثة المروحة، عشية عيد الفطر الذي صادف يوم 27 افريل1827 ، أين استقبل الداي حسين باشا القنصل دوفال الذي جاء لتهنئته بالعيد كما جرت العادة بمحضر جميع أعضاء ا لديوان، وتطرق الداي حسين إلى مسالة عدم رد حكومة القنصل على برقياته العديدة الخاصة بالديوان، فكان جواب دوفال في منتهى الوقاحة، لقوله " إن حكومتي لا تتنازل في حماية رجل متكلم" .

لم يتمالك الداي نفسه من الغضب فلوح أمامه بمروحته مشيرا له، بالخروج من المجلس فاستغل القنصل هذه الحادثة، لتبليغ قادته بالإهانة العظمى التي لحقت به وبفرنسا وأعلنت فرنسا الحرب على الجزائر في 16 جوا ن 1827م.[1]

ومنه خلال ما سبق يمكننا القول ان العلاقات الجزائرية الأوربية تميزت بمايلي:

أ – ا لصر اع العسكري خلال القرن 17م[2] قصفت البحرية الفرنسية الجزائرسنة1683 ردا على نشاط البحرية الجزائرية.[3].

ب. الاحتلال المباشر 1830:احتلت فرنسا الجزائر بعد حادثة المروحة، وانهرت الدولة الجزائرية.[4].،

ثانياً– علاقات المغرب الاقصى مع الدول الاروبية:

انتهج السعديون، خاصة خلال حكم أحمد المنصور الذهبي، الذي رسم سياسة

خار جية جديدة لطبيعة العلاقات التي تربط المغرب بالدول الاخرى ابان القرن 16م حيث أصبحت هذه العلاقات

---

(1) – لمزيد من التفغاصيل ينظر –مولاي بلحميسي، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر** رسالة لنيل شهادة ماجستير1998 ومولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية ووضعيتها العالمية قبل 1830** دار البحث قسنطينة. ط1 و محمد جمال قنان: **العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 1830 –)**، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1994.

–جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا1830 – 1619**)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

–يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوروبا**. المطبوعات الجامعية. الجزائر.دون سنة.

–بفايفر اسيمون: **لمحة تاريخية عن الجزائر مذكرات سمون بفايف**، تقديم وتعريب، أبو العيد الشركة الوطنية للنشرالتوزيع، الجزائر.

–حمدان بن عثمان خوجة: **المراة تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر**___.1980

(2) –حيث تسببت كثرة الانتهاكات والتجاوزات للسفن الأوربية من طرف السفن الجزائرية خاصة خلال القرن 17م الى ابرام معاهدات سلم وتجارة مع الدول المغاربية وكانت تفصل بين المعاهدة والمعاهدة حالة من التوتر بل ان كثير من المعاهدات كانت تبرم استعمال الدول الأوروبية للقوة. منها معاهدة 25نوفمبر 1665م ومعاهدة 28جوان 1672م ومعاهدة اوت 1665م ومعاهدة 23 جوان 1699م وقد وردت نصوص هده المعاهدات بدراسة بلانتيتplantet التي تزخر بنصوص معاهدات واتفاقيات بين دايات الجزائر وملوك فرنسا من جهة وبين هؤلاء وبايات تونس من جهة أخرى كما عقدت عدة اتفاقيات مع مدينة الجزائر نذكر منها التي عقدت في 12 مارس 1619م وفي 19 سبتمبر 2861م ثم 24سبتمبر 1689م وهي المعاهدة المعروفة بصلح مئة عام لمزيد من التفاصيل ينظر دلندة الارقش، عبد الحميد الارقش، جمال بن طاهر، **المرجع السابق**، ص –ص 312-314

(3) – مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب**، 1965، ص234 .

(4) – عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، ص156 .

تتسم بالاحترام المتبادل والاعتراف بالمكانة الدولية ويمكن تقسيمها الى ثلاث أنواع:

أ- **علاقات متينة:** تطورت الى درجة التحالف وقد كانت بريطانيا هي الدولة الأوربية الوحيدة التي ظفرت بهذا النوع من العلاقات بسبب اشتراكها مع المغرب في معاداة اسبانيا.

1- العلاقات مع الانجليز: كانت بداية العلاقة بين المغرب الأقصى والانجليز في القرن 16 حيث اتسمت بالطابع التجاري وقد عمل السعديون على الارتقاء بها الى أحلاف عسكرية[1]، كان لدى الانجليز املا بأن تدخل القوى المغربية الى جانبهم في محاربة الاسبان اذ بانضمام المنصور يضمنون حصولهم على قواعد استراتيجية قريبة من الاراضي الاسبانية ويضمنون جبهة جديدة ضد "فليب الثاني" مما يضمن لهم الانتصار على الاسبان؛ كما يحقق لهم التدخل في البرتغال لإعادة الامير دون أنطونيو الى عرشه بلشبونة ورغم تدخل الانجليز لدى السلطان العثماني للضغط على المنصور ودفعه لمحاربة الاسبان الا انه لم يتدخل ولم يغير موقفه ا.[2]

2--**علاقات حسنة:** ارتبطت بها المغرب مع الدولة العثمانية وهولندا أما فرنسا فلم تتحسن علاقاتها مع المغرب الا بعد معاداتها لإسبانيا وبعد وفاة المنصور.[3]

3- **علاقات حرب وعداء:** وهذا النوع ساد بين المغرب واسبانيا بسبب استيلاء هذه الاخيرة على طنجة وسبتة ومزغان وايوائها لبعض اللاجئين السعديين المناوئين لنظام الحكم [4].بعد معركة واد المخازن أبلغ فليب تشكراته للمنصور على ارجاع جثة دون سبستيان وأنه قدم له باسم الملكة كمية من الحجارة الكريمة تدليل على المودة لا كجزية وسارع البرتغاليين النصارى لفك أسراهم ودفعوا أموالا طائلة للدولة السعدية[5]

ومما سبق يمكننا القول انه لم يكن للمغرب علاقات مباشرة مع الدول الأوربية الى بعد معركة واد المخازن ؛فبعد هذا الانتصار أخذت الدول الأوربية تتوافد على البلاط المغربي لكسب صداقة المغرب وعقد المعاهدات التجارية[6].

ثالثاً:-علاقات طرابلس الغرب بالدول الأوربية:

ارتبطت علاقاتها بأوروبا عن طريق القرصنة البحرية والمعاهدات، خاصة في العهد القرمنلي حيث عمل احمد القرمنلي على ربط العلاقات مع مختلف الدول الأوربية منها:

1-علاقات طرابلس وفرنسا: كانت فرنسا من الدول الأوربية الأولى التي حصلت على امتيازات عديدة في طرابلس وذلك بسبب المعاهدة التي عقدها معها السلطان سليمان حيث وضعت هده المعاهدة الأساس لنظام الامتيازات حيث

---

(1) حركات ابراهيم، **المرجع السابق**، ص 200

(2) - **المرجع نفسه**، ص 200

(3) - **المرجع نفسه**، ص 200

(4) - ميمونة يسنوسي، **الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي**، علوم انسلنية جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2017 مذكرة، ص13

(5) - حركات ابراهيم، **المرجع السابق**، ص 200

(6) -ميمونة سنوسي، **المرجع السابق**، ص ص14، 15.

منحت فرنسا امتياز الحق القنصلي واعفاء رعاياها من الضرائب ووضع رسوم جمركية محددة وقد فرضت هذه الاتفاقية على طرابلس منذ 1685م وكان يشرف على تطبيقها القناصل الفرنسيون المتوجهون الى طرابلس، ولكن في بعض الأحيان تتأزم العلاقات بين البلدين مثلما حدث سنة 1713م حين تم الاستيلاء بالقرب من سواحل افريقيا الشمالية على سفينة فرنسية محملة بزيت الزيتون وفي السنة التالية وصل اسطول بقيادة القبطان ديوكين ابن الاميرال الفرنسي الشهير فقصفت المدينة بالقنابل ولم يتوصلوا الى الصلح بين ايالة طرابلس الغرب وفرنسا الا سنة 1720م[1].

وقد كان أحمد القرمنلي كثير الاعجاب بالدول الأوربية ويسعى بكل ما لديه ليقيم معها علاقات السلام الا ان عمليات القرصنة البحرية كثيرا ما كانت تقوم بالإغارة على السفن التجارية الفرنسية، مما أدى في كثير من الأحيان الى خرق المعاهدات ففي سنة 1725مثلا نهبت سفينة فرنسية مسجلة باسم مارسيليا مما تسبب في فساد العلاقات أكثر من مرة بين البلدين ولم يتوصلوا الى معاهدة السلام حتى سنة 1729م، والتي سمحت للفرنسين بفرض الرقابة على القراصنة الليبيين كما توصلوا مع أحمد القرمنلي الى اطلاق سراح السفن الفرنسية المحتجزة والتعويض عن الخسائر اللاحقة بها [2].

2-أما بالنسبة لعلاقتها مع لانجلترا:

اكدت هي الأخرى سنة 1716 على فعالية معاهدة 1662م بين البلدان وقد صادق الاميرال كاوينديش عام 1730 على المصادقة على المعاهدة من جديد بين طرابلس وانجلترا.

3- **علاقتها مع هولندا:** هده الأخيرة كانت تهتم بالتجارة في البحر المتوسط لذلك ابرمت معاهدة سلام وصداقة مع طرابلس الغرب، ثم ان ازدياد نشاط العلاقات التجارية بين الدولتين أثار الهولنديين سنة 1703 الى تأكيد فعالية معاهدة 1681م وفي 1712م قدمت هولندا الى ولاية طرابلس ثلاث سفن هولندية بقيادة بيترسون الذي قدم الى أحمد القرمنلي 100وزنة من البارود وأربعة مدافع برونزية هدية مما جعلها تأكد على علاقات الصداقة والود بين البلدين، وفي سنة 1728م أبرمت ولاية طرابلس الغرب وهولندا معاهدة سلمية جديدة وقد قام الوفد المرسل من طرابلس الى هولندا الى تأكيد مشاعر الود بين البلدين[3].

4-كما اقامت طرابلس علاقات دبلوماسية مع نمسا عام 1726 بوساطة من الباب العالي حيث ابرمت معاهدة سلم ضمنت سفن النمسا بموجبها سلامتها من هجمات قراصنة طرابلس وقد كان جوزيبي مير اول قنصل نمساوي في طرابلس عام 1729م

وقد استمر محمد باشا القرمنلي بنفس سياسة والده الخارجية بربط علاقات قوية مع مختلف الدول الأوربية، غير انه في عهده قام قراصنة طرابلس بالانقضاض على سفن المملكة وكان هدفها اجبار نابولي على دفع اتاوة سنوية كبرى لقاء حرية الإبحار في البحر الأبيض المتوسط، كما قام قراصنة طرابلس باختراق معاهدة النمسا لعام 1748م فصارت سفنها

---

(1) -نيكولاي ايليتش بروشين، **تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، ترجمة وتقديم عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط2، 2001 بنغازي ليبيا، ص 115، 116

(2) – نيكولاي ايليتش بروشين، **المرجع السابق**، ص 117

(3) نيكولاي ايليتش بروشين، **المرجع السابق**، ص 118

تتعرض للنهب ولم يتوصلوا الى إقرار السلم بين الدولتين سنة 1749م الا بجهود ممثل غرتسوق توسكانا الاعظم[1].

كما قامت العديد من الدول الاروبية بابرام معاهدات صلح مع طرابلس الغرب في عهد محمد باشا القرمنلي ففي 29 سبتمبر 1751م ابرمت إنجلترا مع محمد باشا معاهدة سلمية ضمت 28 بند ضمنت إنكلترا حرية التجارة في جميع موانئ الايالة على أن تستوفي على البضائع التي تأتي بها رسوم جمركية في حدود 3 بالمئة أما الأسلحة والبارود وأخشاب السفن وأخشاب السواري والقمح وكثير من البضائع الأخرى فلم تكن تخضع المرسوم الجمركية [2]

ومما سبق نستنتج أن العلاقات الليبية–البندقية تميزت بما يلي:

-التجارة والقرصنة(القرن 16):تبادل تجار طر ابلس والبندقية السلع رغم حروب القرصنة.[3]

رابعا– علاقات تونس مع الدول الاروبية:

ارتبطت علاقة تونس بأروبا من خلال المعاهدات تفصل بين المعاهدة والمعاهدة حالة من التوتر بل ان كثير من المعاهدات كانت تبرم باستعمال الدول الأوروبية للقوة.، منها التفاوض مع عثمان الداي سنة 1502م والحصول على اتفاق مبدئي يقضي باحلال السلم بين تونس وفرنسا كما وقع تجديد تلك الاتفاقية عبر ابرام معاهدات أخرى نذكر منها معاهدة 25نوفمبر 1665م ومعاهدة 28جوان 1672م ومعاهدة اوت 1665م ومعاهدة 23 جوان 1699م وقد وردت نصوص هده المعاهدات بدراسة بلانتيتplantet التي تزخر بنصوص معاهدات واتفاقيات بين دايات الجزائر وملوك فرنسا من جهة وبين هؤلاء وبايات تونس من جهة أخرى كما نسجت القوى الأوربية الأخرى على نفس المنوال حيث قامت هولندا على سبيل المثال من عقد معاهدة سلم وتجارة مع تونس والجزائر سنة 1662م [4]

وتميزت العلاقات التونسية بما يلي:

أ. التجارة الصراع(القرن:18م) تعامل تجار صفاقس مع تجار صقلية رغم الغارات البحرية المتبادلة.

ب .الحماية الفرنسية(1881م) :فرضت فرنسا الحماية على تونس بعد إعلان عدم قدرتها على سداد الديون[5]..

الخاتمة

من خلال ماسبق نستخلص أن العلاقات المغاربية-الأوروبية تميزت بالانتقال التدريجي من التكافؤ النسبي إلى التبعية والهيمنة، ما جعل المعاهدات وسيلة لاختراق السيادة، ومهّد الطريق للاستعمار، وقد تميزت العلاقات بانتقالها من حالة التكافؤ النسبي خلال القرن16-19م المتمثل في التبادل التجاري الى الصراع العسكري المتوازن إلى حالة التبعية خلال القرن19 والتدخل الأوربي وفرض المعاهدات غير المتكافئة للأسباب التالية:

---

(1) – **المرجع نفسه**، ص 120، 121

(2) – **المرجع نفسه**، ص 122

(3) – علي عبد الله منتصر، **تاريخ الطب في ليبيا وعلاقتها بإفريقيا**، دار الثقافة، بنغازي، 1985، ص125 .

(4) – دلندة الارقش، عبد الحميد الارقش، **مرجع سابق**، ص –ص 312-315

(5) – محمود قابادو، **احداث تونسية**، دار الجنوب، تونس، 2005، ص ص85 – 78

-عسكرية :تفوق القوة العسكرية الأوروبية.

-اقتصادية :الثورة الصناعية الأوروبية وانهيار الاقتصاد التقليد ي للمغرب العربي.

-سياسية :ضعف الدولة العثمانية والانقسامات الداخلية.

المحاضرة 11: الحياة الاجتماعية في بلدان المغرب الحديث خلال الحكم العثماني

مقدمة:

شهدت بلدان المغرب الحديث، منذ القرن السادس عشر إلى غاية بدايات القرن التاسع عشر، تحولات اجتماعية عميقة ارتبطت بتطور الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية، خاصة بعد انضمامها إلى الدولة العثمانية، بما فيها المغرب الأقصى وتأثره بالأوضاع خلال الفترة الحديثة ضمن الحكم السعدي والعلوي إضافة لتعرض البلدان المغاربية للضغوط والتدخلات الأوروبية.

وتُعد دراسة الحياة الاجتماعية خلال هذه المرحلة مدخلًا أساسيا لفهم طبيعة المجتمع المغاربي، وآليات تنظيمه، وأشكال التعايش بين مكوّناته المختلفة، إضافة إلى إدراك أثر العوامل الطبيعية والسياسية في تشكيل البنية الاجتماعية

وتهدف هذه المحاضرة إلى إبراز ملامح الحياة الاجتماعية في بلدان المغرب العثماني بما فيها الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة، من خلال دراسة البنية الاجتماعية، وأنماط العيش، والمؤسسات الاجتماعية، وأشكال التعايش والتحولات التي عرفها المجتمع في الفترة الحديثة.

إشكالية المحاضرة:

إلى أي مدى أسهم الحكم العثماني في تشكيل البنية الاجتماعية للمجتمع المغاربي، وما حدود الاستمرارية والتغير في الحياة الاجتماعية خلال هذه المرحلة؟

أولًا– العوامل المتحكمة في بنية المجتمع المغاربي خلال العهد العثماني

1– العامل الديمغرافي والصحي:

عرفت ولايات الجزائر وتونس وطرابلس فترات من النمو السكاني، خاصة في القرنين 16 و17، نتيجة الاستقرار النسبي، ونشاط التجارة، وتوسع العمران، غير أن هذا النمو عرف **تراجعًا حادًا ابتداءً من أواخر القرن 18** بسبب:

- انتشار الأوبئة، وعلى رأسها الطاعون.
- تكرار المجاعات الناتجة عن الجفاف.
- تدني مستوى المعيشة.
- الضغط الجبائي والحملات العسكرية على الأرياف.
- الهجمات البحرية الأوروبية على المدن الساحلية.

وقد سجّل المؤرخ **ناصر الدين سعيدوني** تراجعًا ديمغرافيًا واضحًا، خاصة في الجزائر وتونس وطرابلس، بسبب الأوبئة المتكررة التي أدت إلى انهيار سكاني ملحوظ. وعرفت فترات من الانكماش الديمغرافي والتي صحبها انتشار الامراض والاوبئة وحدوث المجاعات وانخفاض مستوى المعيشة كما سبق ووضحنا [1]. أما بالنسبة للكثافة السكانية فحسب سعيدوني فقد توزعت كالتالي حيث عرفت عواصم الولايات المغاربية مناطق كثافة بشرية وانتشر العمران بفحوصها فأصبحت مناطق سهل متيجة ومرتفعات الساحل القريبة من الجزائر تحوي ما يقارب 2000منزل ريفي حسب وصف بايسونال؛ كما تحولت مراكز البليدة والقليعة وشرشال الى مراكز عمرانية هامة ؛ كما أصبح التوسع العمراني الطابع المميز للجهات الشرقية والشمالية الشرقية للبلاد التونسية ونفس الظاهرة عرفتها طرابلس التي أصبحت منطقتها رغم ضالة سكانها تشتمل على اهم التجمعات السكانية كطرابلس والخمس وسرت ومصراتة وفي الغرب تجمعات زوارة ونزور والزاوية..الخ[2].

غير أنه نهاية القرن الثامن عشر تغيرت الأوضاع وانكمشت الحواضر وقل سكان الريف وتناقص السكان، ليتحول الامر الى انهيار ديمغرافي لأسباب عديدة منها الحالة الصحية وتدني المستوى المعيشي بسبب الضغط الجبائي والحملات العسكرية على الأرياف وكذلك بسبب التمردات ضد مظالم الحكم وتعدد هجمات الاساطيل الاروبية على السواحل خاصة الجزائر طرابلس تونس.

–إضافة الى انتشار القحط أثناء مواسم الجفاف والمجاعات والاوبئة والذي تعتبر من المسببات الرئيسية للتراجع الديمغرافي، منها وباء الطاعون الذي انتشر بشكل رهيب بسبب اهمال السكان لشروط قواعد الصحة وعدم الأخذ بنظام

---

(1) – ناصر سعيدوني، ناصر الدين سعيدوني، " الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر تونس طرابلس الغرب) في القرن **10هـ** الى 14هـ /16 –19م، حوليات الاداب والعلوم الاجتماعية"، **المجلة لحولية** الحادية والثلاثون 2010م، جامعة الكويت، ص 46

(2) – ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص47

الوقاية الصحية المعروف بالكرانتينا المطبق في الموانئ الأوروبية، ماعدا بعض الباشوات الذين حاولوا الحد من أخطار هذه الأوبئة أمثال حمودة باشا بتونس طبقه في 1783م ؛وصالح باي في 1787م بقسنطينة، وبسبب هده الأوبئة والظروف الصحية تراجع النمو الديمغرافي ببلاد المغرب وفي منتصف القرن 17م وقد ازدادت في نهية اقرن 18 والربع الأول من القرن 19 عشر كما اسلفنا الذكر[1].

من أشهر الأوبئة التي انتشرت في الجزائر عام 1661م-1664م، 1652-1657، 1816-1819م، 1794م، 1800-1807م كما انتشرت كثير من الأوبئة في تونس منها وباء 1657-1663م، 1688-1692م، 1701-1706م، 1785-1763م، 1803-1805...الخ، والتي تسببت حسب ما أشار اليه الرحالة بايسونال في انتشار الأمراض في المجتمع التونسي والمتمثلة في الحمى الخبيثة بكل أنواعها، إضافة إلى إصابة السكان بالفتق وفساد الدم والجرب وبعض الأمراض الجلدية[2]، وهذا يتماشى مع ما ذكره "الحشائشي" في إنتشار لمرض الحمى والجرب إضافة إلى التيفوئيد ومرض الشلل داخل المجتمع التونسي[3].

وتعود أسباب هذه الأمراض الوبائية إلى المياه الملوثة المتواجدة في البرك الراكدة وفي الخزانات المائية والتي تشرب منها قطعان الماشية والحيوانات، ممّا يؤدي إلى إصابتها ببعض الأمراض الوبائية لتنقلها بدورها إلى السكان[4]، هذا ما أكده "توماس شاو" في رحلته إلى تونس والجزائر في قوله "أن مياه الأمطار التي تصنع مجموعة من البرك وتملئ بدورها الأبار والصهاريج الموجودة تسقى منها المواشي كالماعز هذه الأخيرة وبسبب المياه الملوثة"، تساهم في نشر الأمراض للسكان[5].

أشار «بيسونال» بعد حديثه مع أحد المقربين الذي أخبره أنه سبق وأن ضرب البلاد التونسية وباءا فتاكا وهذا خلال سنتي 1690م و1705م، كانت حصيلة وفاة عدد كبير من السكان[6]، ولم يكن الوباء هو الأخير فنجد "لوسيت فالنسي" قد تطرقت هي الأخرى إلى وجود عدة أوبئة إجتاحت البلاد التونسية من بينها وباء سنة 1784م تخطته بعد عام ثم عودة وباء أخر سنة 1790م و1791م، بحيث هذا الأخير هو نفسه وباء 1705م الذي تحدث عنه «بيسونال» سابقا[7].

كما عانت طرابلس هي الأخرى من انتشار العديد من الأوبئة في طرابلس 1675-1691م، 1784-1786م،

---

(1) - **المرجع نفسه**، ص 48

(2)- محمد بن عثمان الحشائشي، **الهدية في العادات التونسية**، تق. تح: أحمد الطويلي، محمد العنابي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 2002، ص 124.

(3)-**المصدر نفسه**، ص 201

(4) J.J Marcel ،Op.cit ،P 41

(5) Tomas Shaw ،**Voyage Dans Plusieurs Provinces De La Barbarie et du devant** ،T.1 ،contenant des observations géographiques ،physiques ،philologique ،sur les royaumes d Alger et de Tunis ،sur la Syrie ،l' Egypte et l 'Arabie ،traduits de l 'Anglais ،1830 ،p p 257 258

(6)-أندريه بيسونال، **المصدر السابق**، ص 127.

(7)-لوسيت فالنسي، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر (1790-1830)**، ط1، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1980، ص 28.

1826-1827م [1]، حيث ذكر القنصل الفرنسي فاليير ان طرابلس بعد سبع سنوات من القحط قد تضاعف عدد الموتى بها والمهاجرين منها قبل ان ينتشر الطاعون وتتحول الى شبه صحراء مقرفة، كما ذكر سعيدوني ان عدد السكان المغاربة كان في تراجع ملحوظ بسبب تردي الحالة الصحية والمعيشية في مختلف الولايات المغاربية [2].

2-العامل السياسي:

شهدت الحياة الاجتماعية في المغرب الحديث تحولات كبرى خلال القرنين16-19م، حيث تأثرت بالعوامل السياسية(الحكم العثماني، السعديين، العلويين)، ويمكن تفصيلها كاتالي:

- سيطرة النخبة العسكرية العثمانية على مفاصل الحكم.
- اعتماد السلطة على **جماعات المخزن** في الريف.
- التمييز الاجتماعي بين الفئات الحاكمة والمحكومة.

3- العامل الاقتصادي: كما تحكمت في الحياة الاجتماعية في المغارب الوضعية الاقتصادية(تجارة الصحراء، التبادل التجاري مع أوروبا)، وتتمثل في:

-ارتباط المجتمع بالزراعة والرعي.

-ازدهار التجارة البحرية والصحراوية.

-تأثير الضرائب على استقرار السكان، خاصة البدو والفلاحين

ثانيًا- البنية الاجتماعية في بلدان المغرب العثماني

1- التركيبة السكانية: (البنية الاجتماعية):

يتميز الواقع الاجتماعي لولايات المغرب العثمانية بوجود فئات مهيمنة وطوائف عرقية بالمدن وعشائر وجماعات قبلية بالريف حافظت على ترابطها الاجتماعي بفعل التقاليد المتوارثة والوظائف الموكلة اليها، وقد تحكمت فيها طبيعة علاقتها بالسلطة الحاكمة وكذلك علاقتها ببعضها البعض[3]. حيث ان ارتباط تونس بالدولة العثمانية منذ سنة 1574م، حوّل تونس إلى قبلة ومحطة لسفر الأتراك واستقرارهم هناك، خاصة وأن المناصب العليا في الحكم كانت تحت أيديهم، وانطلاقا من هذا السياق فقد جمع المجتمع التونسي داخله العديد من الفئات، تمثلوا في البدو والبربر والزنوج، والأتراك واليهود وغيرها من الأجناس، حيث نجد أن هناك تفاوتا في الطبقات الاجتماعية من فئة إلى أخرى[4]، ومنه فقد شهدت الإيالة التونسية من نهاية القرن السادس عشر إلى بداية القرن السابع عشر ميلادي مجموعة من التغيرات والأحداث البارزة على مختلف الأصعدة والجوانب خاصة السياسية منها، والتي أثرت بدورها على الحياة الاجتماعية في البلاد، فمنذ اعتلاء الاسرة المرادية

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 48.

[2] - **المرجع نفسه**، ص 50.

[3] - ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 52

[4]-خليفة شاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ**، ج3، مكتبة الجامعة، تونس، 2005، ص5، ينظر أيضا:

Ahmed saadoui ،**les temps modernes(1534-1881)** ،sud editios ،Tunis ،2010 ،p144.

مقاليد الحكم سنة 1631م بقيادة "مراد باي"، استطاعت أن تخلق قاعدة اجتماعية واسعة تدعمها الهياكل الدينية التي توضح شرعيتهم في الحكم، هذا ما ساهم في ربط علاقات جديدة مع القبائل الموالية وإخضاع القبائل الكبيرة لتجعلها مخزنية، بحيث تستعملها للسيطرة على الجماعات المحلية الأخرى في الجنوب والغرب [1].

وهدا التقسيم هو نفسه في مختلف الايالات العثمانية فالمجتمع التونسي قسمه بعض الرحالة في القرن 18م إلى ثلاث فئات أو طبقات، فنجد في الطبقة الأولى فئة الأتراك، في حين يأتي الأهالي كطبقة ثانية وهم سكان المدن، وفي الطبقة الثالثة نجد كل من البدو إضافة إلى فئة الأندلسيين[2]، ممّا يعني أن البنية السكانية للمجتمع التونسي تضم خليطا من الأجناس والأعراق، لكن الاختلاف بينهم يكمن في مدى ارتباط سكانها وانسجامهم مع بعضهم داخل إيالة تونس، وفي هذا الصدد يقول "وليام شالر" "بأن سكان المدن طبقة تضم العرب والبربر وبقايا الأجناس من الأتراك والأندلسيين"[3].

وفي نفس المنحى صنفت رحلة «بيسونال» فئة الأتراك على أنهم من النبلاء، من منطلق أنهم يتقلدون مناصب إدارية عليا في البلاد، أي أنها من صناع القرار داخل الإيالة[4]، باعتبارها إحدى العناصر التي تدخل في التركيبة الإجتماعية للمجتمع، وهذا منذ أن أصبحت البلاد التونسية إيالة عثمانية[5].

كما عرف سكان طرابلس تنوع في البنية السكانية بعد انتصاب الحكم العثماني بها عام 1551م حيث انقسم سكان ليبيا الى حضر وبدو يسكنون الخيام ويشتغلون برعي الاغنام يتنقلون طلبا للكلأ والماء وقد أثرت هذه الحياة على الوضع الاجتماعي بليبيا وخلقت بينهم عصبيات متضادة، بالإضافة الى قدوم العثمانيين ومجموعة من التجار والصناع والموظفين المدنيين الذين استوطنوا البلاد وكونوا طبقة تعرف بالأتراك ؛ اظافة الى طبقة الرقيق وهم خليط من شعوب افريقيا وأسرى الحروب البحرية من شعوب اروبا ولم يكن لهذه الطبقة كيان مستقل بل كان أفرادها يلتحقون بمن يملكهم ويعتقهم، كما كان هناك العديد من الجاليات يقطنون طرابلس الغرب مثل:الجالية الإنجليزية ؛الفرنسية؛ والاسبانية ؛الايطالية وبعض اليهود وتتمتع هذه الجاليات باحترام الاهالي ولا تتعرض لأي اعتداء حتى في حالات اضطراب الامن[6].

وقد أخد التنظيم الاجتماعي في كل من الجزائر وتونس وطرابلس نتيجة لتحكم القوة العسكرية والاقتصادية ترتيبا تفاضليا من الامتيازات والمكانة الاجتماعية فهو أشبه شيء بهرم اجتماعي مقلوب تحتل قمته العريضة الشرائح المحظوظة من فئات المدن وجماعة المخزن بالريف والتي لا تتجاوز نسبتها 8 الى 10 بالمئة على الرغم من استحواذها عل جل الامتيازات

---

(1)–عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2011، ص 146

(2)–أندريه بيسونال، **الرحلة إلى تونس 1724**، تر: محمد السنوسي، شاطرن مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص 56

(3)–وليام شالر، **مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)**، تع وتح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 54

(4)–أندريه بيسونال، **المصدر السابق**، ص 63

(5)–أحمد بن تيشة، **الحياة السياسية والإجتماعية الثقافية في تونس خلال العهد العثماني _الأسرة الحسينية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، إشراف الدكتور مكحلي محمد، سيدي بلعباس،، 2020/ .2021، ص 125

(6)–مسعود محمد أعواج، **ليبيا في العصر الحديث**، ط1، 1433هـ/2012م، ص42.

بينما يحتل أسفل الهرم اغلبية السكان بالمدن والارياف، ويمكن تقسيمه كاتالي:

أ–فئات المدن: تتكون من الاتراك والاعلاج والكرا غلة والحضر واليهود والدخلاء والبرانية.

ويقطن سكان الايالات المغاربية الى قسمين، تتمثل في سكان الحواضر وسكان الريف

1– سكان المدن: وتتشكل من مجموعات متنوعة تتمثل فيمايلي:

أ.–الأقلية التركية: وتتركز في عواصم الولايات والمدن يصل في مدينة الجزائر 8000 فرد سنة 1808 م وبولاية تونس وصل عدد الاتراك الى 4000 اغلبهم يقيم بمدينة تونس وفي طرابلس وصل عددهم الى عدة الاف أغلبهم يشتغل في الاجهاز الإداري والمؤسسة العسكرية[1]، ورغم أقليتها فهي تؤلف أساس القوة العسكرية والتنظيم الإداري فقد كانت نسبة الأتراك داخل المجتمع التونسي كبيرة، وهذا ما ينطبق أيضا على المرتدين (مثل الأعلاج....) الذين أسلموا واتبعوا نفس طريق الأتراك[2]، وفي نفس المنحى يضيف "ناصر الدين سعيدوني" أن " عدد الأتراك يصل حوالي 4000 عنصر تركي يتمركز معظمهم في مدينة تونس"[3]، وهذا ما يتوافق إلى ما ذهب إليه "هنري دونون" أيضا بقوله أنه "كان هناك حوالي 4000 من الإنكشاريين بتونس، بالإضافة إلى كبار الضباط ورؤساء الإنكشارية، والذين كانوا يمثلون سادة البلاد المطلقين"[4]، كما أن عدد الأتراك العثمانيون في تونس منخفض مقارنة بالفئات الأخرى المتمثلة في الأندلسيين[5].

يتضح لنا ممّا سبق أن الفئة التركية بمختلف عناصرها المكونة لها، تتمتع بمكانة هامة في البلاد، وهذا من خلال احتكارهم لمناصب الحكم في إيالة تونس مع تهميشهم للعنصر المحلي، للإشارة فإن الفئة التركية تتنوع في بنيتها الداخلية، والمتمثلة في الأعلاج والكراغلة والإنكشارية، وهم:

ب– طائفة الاعلاج[*]: ومدلول كلمة "العلج " يعني أسير حرب، حيث أصبح عثمانيا بحكم وظيفته التي يتقلدها[6]،

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر. تونس . طرابلس الغرب) من القرني العاشر الى الرابع عشر الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع 31، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت، 2010، ص 53

[2]–اندري بيسونال، **المصدر السابق**، ص 55.

[3]–ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية** ...**المرجع السابق**، ص53

[4] Henry Dunant ،**Notice Sur La Régence De Tunis** ،IMPRIMERIE DE JULES-G FICK ،GENEVE ،1858 ، P 19

[5]–محمد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس 1505–1957 التاريخ.الأثار.السكان وسلوكاتهم**، ط2، دار نقوش عربية، تونس، 2021، ص 342

[*] –وهم عناصر أوروبية مسيحية أغلبهم من الرجال وبعضهم من النساء جلبوا عن طريق الاسر وقد ارتبط وجودهم بالنشاط البحري بأنهم المسيحيون الذين اعتنقوا الدين الإسلامي ومعظمهم أوروبيون، ويعتبرون دخلاء على المجتمع التونسي ارتبط وجودهم بنشاط البحرية ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني**...، المرجع السابق، ص 54

[6]–محفوظ رموم، **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائر خلال العهد العثماني (1519–1830)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف كمال فيلالي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002، ص 55

وهؤلاء تم أسرهم في الغارات والحروب، ثم تمّ بيعهم للأعيان[1] وأصحاب المناصب بهدف خدمتهم، غير أنهم اندمجوا داخل مجتمعات الايالة العثمانية[2]، حتى وصل ببعض الأعلاج إلى اعتناق الإسلام، وكوّنوا جماعة مميزة لعبت دورا بارزا في شتى مجالات الحياة داخل المجتمع[3]، وقد حاولت الارتقاء داخل المجتمع، من خلال التحول من الأعمال البسيطة في الحقول والتجديف وخدمة بيوت الأتراك إلى الانخراط في البحرية[4]، وقد أطلق عليهم"دييغو دو هايدو" لقب أتراك بالمهنة ومسيحيين بالقرابة والدم [5]. حيث وصل عددهم في الجزائر 25000 شخص وفي تونس ناهز عددهم حوالي 4000 شخص عام 1634م وزاد نفودهم عندما وصل الى السلطة مراد الذي استعان ب 300 علج للقضاء على ثورة الجند التركي عام 1637م، فقد قدّر عدد فئة الأعلاج في مدينة تونس العثمانية خلال القرن السابع عشر ميلادي ب 4000 شخص وصار لهم نفود كبير داخل الإيالة، لكن الملاحظ بأن عددهم بدأ بالتراجع خلال القرن الثامن عشر ميلادي، بسبب تراجع البحرية العثمانية في هذه الفترة.[6]

ج –الكراغلة: تعني هذه الفئة حرفيا "إبن العبيد"، وهو عبارة عن نتاج تزاوج بين العنصر التركي مع نساء البلاد المحلية[7]، أي هم نتاج من أب تركي وأم تونسية [8]، لكن الملاحظ أنها في نمو مستمر في إيالة تونس منذ نهاية القرن 16[9]، وتمكنت هي الأخرى من الوصول إلى مناصب هامة في إدارة مختلف الإيالات المغاربية [10]، وقد استوطنت فئة الكراغلة المدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط كالمنستير، المهدية، غار الملح وبنزرت، حيث أعادوا بناء هذه المدن وشكلوا معظم سكانها[11].

قدمت لهذه الفئة مجموعة من الامتيازات والتسهيلات من طرف الحكام العثمانيين، وهذا راجع إلى روابطهم العائلية

---

(1)–جون وولف، **الجزائر وأوروبا**، تر: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 163، 164

(2)–ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 220

(3)–بستي محمد، **محاولات الأعلاج تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني 1535–1688**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 2، ع 2، جامعة تيارت، أكتوبر 2019، ص 139

(4)–محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي**، ط2، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، 1979، ص 93

(5)–فراي دييغو دو هايدو، **طوبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر**، تر. وتع: لخضر بوطبة، ط1، دار الباحث للنشر، برج بوعريريج، الجزائر، 2022، ص 45

(6)–ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني**...، المرجع السابق، ص 54 ؛ كوثر العايب، **العلاقات الجزائرية التونسية.خلال عهد الدايات (1711–1830)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، إشراف محمد السعيد عقيب، جامعة الوادى، السنة الجامعية 2013_2014، ص 24

(7) G.G Marcel ،**Histoire De Tunis** ،Description Par Louis Frank ،Imprimeurs de L'institut De France ،Paris ، P 106.

(8)–محمد الهادي الشريف، **ما يجب أن تعرفه عن تاريخ**..، المرجع السابق، ص ص 69، 70

(9)–ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 92

(10)–عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر (1700–1830)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، إشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص 16

(11)–حفيظة بوتوقوماس، **الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني، 1117هـ/1705–1251هـ**–، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2011/2010، ص 133

معهم [1]، حتى أن بعض الكراغلة فتح لهم المجال للوصول إلى مناصب عليا في السلطة خلال القرن الثامن عشر ميلادي، بسبب قلة العنصر التركي في هذه الفترة وتراجع نفود الأعلاج أيضا [2]، فوصل بعظهم الى مناصب حكام المقاطعات (البايلكات) كما هو الحال في الجزائر وارتقى البعض الى حكم الايالة كما هو الشأن بالنسبة لاحمد القرامنلي واسرته بطرابلس [3].

د-الحضر:

يصنف الأندلسيين ضمن فئة الحضر الذين يقطنون المدن، والذين قدموا من الأندلس[4] وعرفوا باحتكار بعض الوظائف الهامة في الدولة على سبيل المثال التعليم والقضاء[5]، وهؤلاء الأندلسيين كما هو معروف قد فروا من سواحل المغرب، وذلك بعد إصدار فيليب الثالث ملك إسبانيا (1596-1621) قرارات تعسفية ضدهم[6] بعد تطبيق محاكم التفتيش الجهنمية.

تحدث الرحالة «بيسونال» في رحلته عن المجتمع التونسي، حيث أشار إلى مدينة سليمان، بأنها تقطنها بعض العائلات الأندلسية المسلمة، والقادمة من إسبانيا بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين هناك، واستقرارهم في شمال إفريقيا وخاصة الجزائر وتونس.

استقرت اعداد كبيرو من الاندلسيين في بلاد المغرب وقد ساعدها الكثير من الحكام مثل الداي عثمان بتونس فانتشر مالايقل عن 50000اندلسي من مجموع 80000غادروا الاندلس سنة 1609م بجهات الوطن القبلي ونواحي مجردة السفلى كما كان لهم حي خاص في تونس قرب الحلفاوين يعرف بحومة الاندلس، كما ان الهجرة الاندلسية لم تنقطع في الجزائر بفعل تشجيع الحكام الاتراك وقد وصل عددهم حوالي 30000نسمة سنة 1611م ولهم بها احياء خاصة كمدينة شرشال وتلمسان وتنس وعنابة...الخ وفي نفس الاتجاه يبلغ عدد الأندلسيين في مدينة سليمان التي يعيش بها حوالي 300 مئة عائلة أندلسية قادمة من إسبانيا[7]، كما توجه البعض منهم الى طرابلس حيث ظلت درنة بإقليم برقة محافظة على طابعها الاندلسي منذ استقرار الاندلسيين حوالي عام 1630م وكان لهم تأثير واضح على حياة المغاربة ورغم اندماجهم ظلوا يتميزون بمستواهم الراقي ومهاراتهم التجارية والحرفية من هذه العائلات ذات النفود ابن المبارك والشريف الزهار بالجزائر

---

(1)-A.Guellouz Et autres ،**Histoire Generale De La Tunisi** ،T III ،Les Temps Modernes (1534- 1881) ،Sud Ed ،Tunis ،(S.D) ،P 108

(2)-ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس(1512-1543)**، ط1، شركة الاصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 55

(3)-ناصر الدين سعيدوني، **مرجع نفسه**، . 54-55

(4)-أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج6، تح:إحسان عناس، دار بيروت، لبنان، 1988، ص 280

(5)-كمال السيد، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الاسكندرية، 2003، ص 220

(6)-ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني...**، **المرجع السابق**، ص ص 61، 62، 63

(7)-أندريه بيسونال، **المصدر السابق**، ص100

وابن عياد والجلولي بتونس وابن غلبون والورشفاني وابن الفقيه بطرابلس [1].

وأشار «بيسونال» إلى أن هذه الفئة القليلة، تتمتع ببعض الامتيازات التي منحت لها، فعلى سبيل المثال إعفاء الأندلسيين من دفع الجزية من طرف "عثمان داي "[2].

ويمكننا القول ممّا سبق أن هذه التسهيلات المقدمة للعنصر الأندلسي، تصب في هدف واحد، يتمثل في تشجيعه على العمل لأنه يملك خبرات عديدة في شتى المجالات خاصة الفلاحية منها، يستطيع المجتمع الاستفادة منه.

وهذا ما يؤكده "**إبن أبي دينار** "في كتابه " **المؤنس**" بأن الأندلسيين جاؤوا من بلاد النصارى خاصة في عهد "عثمان داي" واستقروا بمدينة سليمان وتوسعوا في البلاد ثم استوطنوا عدة مناطق وعمروها من خلال ممارسة النشاط الفلاحي مثل: غرس الزيتون والكروم وإنشاء البساتين ممّا يعني أنهم يحاولون الاندماج مع أهل البلاد[3]، إن هذا الطرح الذي ذكره "ابن أبي دينار" يتفق أيضا مع الرأي الذي ذهب إليه" شارل أندري جوليان" بخصوص استقبال البلاد التونسية للوافدين من إسبانيا والذين حظوا بترحاب من طرف الداي "عثمان " [4] الذي شجع الوافدين على الاستقرار والمساهمة في تطوير البلاد التونسية.

هـ–اليهود: اصبح اليهود يشكلون تجمعات كبيرة خلال القرن 16 حتى 19م بالمدن الرئيسية مثل تلمسان والجزائر وقسنطينة وسوسة وطرابلس قدرت في أوائل القرن 19 مابين 20000و 30000 بالجزائر وازيد من 30000بتونس و2000 بطرابلس[5]، في حين يذكر الباحثون بأن اليهود يبلغ عددهم في الإيالة ما بين 30 و40 ألف يهودي حسب كتب الرحالة "ديسفونتان "، ومن بين الأماكن التي استقر فيها هذا العنصر خلال القرن 18 نذكر: باجة، صفاقس، سوسة، جربة [6]، والجدير بالذكر أن عنصر اليهود متحكم في المعاملات المالية والمبادلات التجارية في إيالة تونس، وذلك بفضل المكانة التي وصل إليها منذ هجرة أعداد كبيرة إلى تونس منذ القرن السادس عشر ميلادي[7]، حيث تركزت في المناطق الساحلية وخاصة جزيرة جربة، بحيث وصل عددهم خلال القرن 18م حوالي 12000 نسمة بكامل الإيالة منهم حوالي 9000 او 10000 نسمة، و نجد أن هناك أنواعا مختلفة من العنصر اليهودي في ايالة تونس، فمنهم اليهود التوانسة وهم اليهود القدامى الذين سكن أجدادهم في العصور القديمة البلاد التونسية، إضافة إلى يهود قرانة (ليفورنا)، يختلف فيما

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني**.....**المرجع السابق**، ص 57–58

[2]–أندريه بيسونال، **المصدر السابق**، 101

[3]–أبو عبد الله إبن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، ط3، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1993، ص 228.

[4]–شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية، تونس الجزائر المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م**، تح: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 356

[5]– ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني**.....**المرجع السابق**، ص ص 58–59

[6]–رضا بن رجب، **يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1655_1857)**، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2010، ص ص 73، 74

[7]–**المرجع نفسه**، ص 101

بينهم من ناحية اللباس، فيهود التوانسة لباسهم يشبه الأتراك أما يهود قرانة فلباسهم يماثل اللباس الأوروبي[1].

تمتعت فئة اليهود باستقلالية إدارية ودينية، بحيث سيطرت على مختلف الأنشطة الصناعية والتجارية، فكان معظمهم صناع وتجار، لكن طبقت عليها الضرائب مثلها مثل السكان المحليين[2]، وشكّل عنصر اليهود في بلدان شمال إفريقيا وتونس طيلة العهد العثماني عنصرا مميزا بفضل مهاراته التجارية ومعاملاته مع الأسواق الأوروبية من خلال ربطها مختلف العلاقات مع الطبقة الحاكمة للإيالة التي اعتمدت عليهم في المعاملات المالية والأنشطة التجارية بتسويق مختلف المنتوجات خارج البلاد[3].

د–البرانية والاغراب: وقد قدموا الى المدن من المدن الداخلية للإقامة والعمل، وقد فاق عددهم بمدينة الجزائر ستة الاف نسمة سنة 1830م ويعرفون بطرابلس وتونس بالجرابة وقد عرف افرادها بمهاراتهم في الاعمال التجارية البسيطة.

و–جماعة العبيد: الوصفان واغلبهم من السودان، وصل عددهم بمدينة الجزائر 10000 وبتونس 7000و3000 بطرابلس في أوائل القرن 19م[4]

ي–الجالية الاروبية: تتألف في الغالب من التجار ورجال الدين والقناصل وبعض الرحالة والأطباء والصيادين؛ يقيمون في الغالب بمراكز الايالات كالجزائر وطرابلس وتونس ولا يتجاوز عددهم عدة مئات وغالبا منعزلون عن بقية السكان، وقد حظيت هذه الجاليات بامتيازات ومكانة خاصة خولتها لهم الامتيازات والمعاهدات التي ابرمتها دولهم مع حكام الايالات سواء تونس والجزائر او طرابلس [5]، حيث عرفت تونس إبان الحكم العثماني توافد عدد كبير من المسيحيين الذين أسروا في مناطق البحر الأبيض المتوسط، وكان أغلبهم من إسبانيا إيطاليا نظرا للقوة البحرية التي كانت تتمتع بها الإيالة التونسية وسيطرة الأتراك على البحر [6].

بالرغم من أن العديد من المصادر الأجنبية تؤكد بأن بعض المسيحيين يطلق عليهم اسم "المرتدين"، من منطلق أنهم فروا من أوروبا ومن سيطرة الكنيسة، حيث وصفهم "دييغو هايدو" بأن "المسيحيين بالدم والنسب أصبحوا أتراكا "[7] بسبب الظروف التي مروا بها.

وقد تمركز أغلب المسيحيين خلال القرن الثامن عشر في تونس العاصمة بعد أن كانت للإيالة التونسية مجموعة من

---

[1]–صالح بن مصطفى، محمد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس 1505–1957، التاريخ.الاثار.السكان وسلوكاتهم**، ط2، نقوش عربية 2021، ص 354

[2] A.Guellouz Et autres ،**op.cit** ،p 142

[3]–ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني**...، المرجع السابق، ص ص 59، 60

[4] ناصرر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص ص 60–61

[5] – **المرجع نفسه**، ص 61

[6]–حفيظة بوتوقوماس، **الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني، 1117هـ/1705–1251هـ**–، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2011/2010، ص 135

[7] Fray Diego de Haédo ،**Topographie et histoire General d 'Alger** ،traduit: MM le Dr: Monnereau et A.Berbrugger ،imprimer ،a valladlid ،1870 ،p 48

العلاقات التجارية مع مختلف الدول الأوروبية متمثلة في فرنسا، إنجلترا والنمسا وغيرها من الدول الأوروبية الأخرى، إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولعبت هذه الفئة دورا دبلوماسيا في تمثيل بلدانهم داخل البلاد التونسية كقناصل تقدم مختلف التسهيلات لرعاياها المتواجدين في تونس أو القادمين لها كزوار[1]، إلا أن عددهم قليل مقارنة مع اليهود[2]وقد استطاع المسيحيون خلال القرن 18م من تأسيس حيّ أوروبي في تونس، وأصبحت لهم الحرية في ممارسة الشعائر الدينية.[3]

وكما هو معروف أن الأسرى المسيحيين لديهم الحق في القيام بمختلف الشعائر الدينية مثل الاحتفال بميلاد المسيح على مستوى حانة السجن، وأيضا في يوم العيد يقدم هؤلاء الأسرى قرابين مقدسة.

انطلاقا من هذا السياق ذكر "بيسونال " تلك الحرية التي منحت للأسرى الأوربيين في السجون، وذلك فيما يتعلق بإقامة الشعائر الدينية، والتي أهمها كما نعلم ميلاد المسيح، عيد الفصح، يوم العيد، لكن نقله الإيجابي للمعلومات بدقة مهم جدا فيما يتعلق بحياة الأسرى الأوربيين داخل الأسر، حيث كشف المعاملة الحسنة التي يحظى بها [4]، وهي مخالفة تماما لما يروج له رجال الدين، من صورة سلبية عن سوء معاملة الأسرى[5]..

أما التركيبة السكانية في المغرب الأقصى فتعرضت هي أخرى لتطورات خلال الفترة الحديثة حيث تشكل المجتمع المغربي من أجناس مختلفة حيث تأثر المجتمع المغربي بالانفتاحات الخارجية خلال القرن 16م بسبب توافد عناصر بشرية انصهرت تدريجيا داخل المجتمع المغربي منهم الأندلسيين واعداد من الاتراك العثمانيون في اطار المساعدات العسكرية أو عناصر أوربية اضافة الى أعداد كبيرة من الاسرى التي عرف المجتمع المغربي تأثيرات حضارية متنوعة من لباس وعادات وتقاليد وموسيقى ولغة، إضافة للعبيد السودانيين الذين توافدوا على المغرب بعد فتح المنصور للسودان، حيث تكاثر عددهم حتى أصبحوا يشكلون القوة العاملة للمغرب، إضافة لليهود الذين توافدوا مع الهجرة الأندلسية الى المغرب الأقصى وقد عاشوا في أحياء خاصة، كما تميزوا بلباسهم الخاص منذ عهد ابي يوسف كما ورد في الاستقصاء"... ثياب كحلية وأكمامهم مفرطة السعة تصل الى قريب من أقدامهم وبدلا من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ الى تحت أذانهم فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب..."، وقد ترك المنصور لليهود حرية ممارسة طقوسهم الدينية ومارسوا التجارة عن طريق المعاملات التي كانت تتم بين المغرب والدول الأوربية واعتمادا على تقرير بعثه الانجليز من مراكش لجورج طومسون geirge (tomson) سنة 1600م فان المنصور كان مستشاره الخاص يهودي وهو أبراهام بن واش[6]

---

[1]–صالح بن مصطفى، **المرجع السابق**، ص 351

[2]–ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني**....، المرجع السابق، ص 61

[3]–صالح بن مصطفى، **المرجع السابق**، ص، 352

[4]–أندريه بيسونال، **ولا**، ص 49.

[5]–إن مهمة رجال الدين في مختلف الإيالات العثمانية تتمثل في مساعدة الأسرى المسيحيين روحيا، وتولي مهمة الافتداء مع الإيالة، إضافة إلى السهر على تطبيق الشعائر الدينية الخاصة بهم من خلال إقامة مراكز للعبادة، للمزيد ينظر: جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص 214، وخديجة حالة، **الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني 1700–1830**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والإسلامية، قسم التاريخ، إشراف عبد الكريم بوالصفصاف، جامعة أدرار، 2013/2012، ص 16.

[6]–ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ مرجع سابق**، ص137.

تنوعت العناصر السكانية بالمغرب خلال عهد السعديين ضمن مجموعة من الاعراق والتي امتهنت عدة مهن اختلفت حسب مجال تخصصهم من بينهم:

-الاتراك والأوربيين: اقتصرت مهامهم على المجال العسكري

- السودانيون: عملوا في القصور وورش البناء ومعاصر السكر

- الاندلسيون: عملوا في القصور وورش البناء ومعاصر السكر

- الاندلسيون: عملوا بالتعليم والطب ووظائف متنوعة في القرن ومارسوا الزراعة.

2- سكان الريف:

-تعتمد العلاقة في الريف تحكم عشائر المخزن وتبعية جماعات الرعية وعلى تعامل يخضع للظروف مع القبائل الممتنعة او المتعاونة سواء عن طريق التبادل المنافع او محاولة فرض التبعية بالقوة [1]، فمثلا ينقسم المجتمع التونسي الى قسمين في أواخر القرن 17 وبداية القرن 18 فالقسم الأول يطلق عليه المجتمع الحضري الذي يضم السكان الأصليين، وأيضا بعض الفئات الوافدة، أما القسم الثاني فهو المجتمع الريفي[2]، حيث يصنف فئة البدو "العرب": ضمن الطبقة الثالثة في المجتمع التونسي، بحيث تعيش في مخيمات عادة ما تكون متنقلة يتم تغيير موقعها عندما يرون بأن الوقت مناسبا أي مع بداية كل موسم حصاد[3]، كما أن هذه الفئة تتواجد في المناطق الداخلية الوعرة من حيث ظروف العيش والمناخ أيضا[4]، وتكون هذه القبائل البدوية دائما غير مستقرة في مكان إقامتها، والسبب يرجع إلى الجيش الذي يلاحقهم وسياسة الحكام العنيفة التي يستخدمونها من أجل تحصيل الضرائب [5].

ما يمكن تحصليه في شأن السكان البدو أو الأرياف أن هذه الفئة عبارة عن عناصر متنقلة في مختلف أرجاء البلاد يتحكم فيها توفر الكلأ والأراضي الرعوية لتوفير المأكل للماشية، وكذلك لاستغلال الأراضي في الأنشطة الزراعية، بغض النظر عن تهربهم من النظام الضريبي المفروض عليهم من طرف الحكام والسياسة القمعية التي ينتهجونها في تحصيل الضرائب.

ومنه انقسم المجتمع المغاربي الى فئتين فئة ذوي الامتيازات وقد شملت رجال الحكم وزعماء القبائل واحتكرت التجارة والصناعة واستفادة من مجموعة من الامتيازات على شكل عطاءات واقتطاعات وفئة شملت الفلاحيين الصغار والعمال في الفلاحة مما أدى الى تمرد القبائل والسكان نتيجة التفاوت الطبقي الكبير واثقالهم بالضرائب لا سيما بعد الكوارث الطبيعية مما أدى الى تضرر هذه الفئة الاجتماعية الصغيرة.[6] حيث قسم المجتمع المغربي الى فئتين هما:

---

(1) - ناصر الدين سعيدوني، الدخول العثماني.....**المرجع السابق**، ص 64

(2)-حفيظة بوتوقوماس، **الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني، 1117هـ/1705-1251هـ**-، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2011/2010، ص 128.

(3)-أندريه بيسونال، **المصدر السابق**، ص 69

(4)-أحمد بن تيشة، **المرجع السابق**، ص 128

(5) Henri Duveyrier ،**La Tunisie** ،LIBRAIRE HACHEETTE ET Cie ،BOULEVARD SAINT- GERMAN ، Paris ،1881 ،P29

(6)- عبد الكريم الكريم، **مرجع سابق**، ص 277.

سكان المدن: وهي تمثل الاقلية لان عدد المدن قليل

سكان الريف: ويمثلون الاغلبية[1]

ثالثا– مظاهر الحياة الاجتماعية

1–لأسرة والزواج

كانت الأسرة نواة المجتمع، وتخضع في تنظيمها للشريعة الإسلامية والأعراف المحلية:

- الزواج يتم غالبًا داخل الجماعة أو القبيلة.
- تعدد الزوجات موجود لكنه محدود.
- للمرأة دور مهم داخل الأسرة، خاصة في تدبير الشؤون المنزلية.
- المحاكم الشرعية لعبت دورًا مهمًا في تنظيم شؤون الأسرة (زواج، طلاق، ميراث).

2–الطابع العمراني المدينة العثمانية:

- تتكون من أحياء (حومات) قائمة على القرب العائلي والمهني.
- وجود القصبة كمركز سياسي وعسكري.

- **الريف:**

- سكن قبلي يعتمد على التضامن العشائري.
- يعكس العمران طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة على القرب والتكافل.

–حيث تميز الطابع الفني والمعماري لليبيا مثلا بما يلي: يحتوي على رسومات هندسية مختلفة على الخشب والحجارة إضافة الى النقوش التي تجدها في كثير من المساجد والمنازل بمدينة طرابلس[2].

3–الاحتفالات الدينية:

–الأعياد، المولد النبوي، المواسم.

–المناسبات الاجتماعية: وتتمثل في الأعراس، الختان، الجنائز.

–اللباس التقليدي يعكس الانتماء الاجتماعي والمهني.

–كما تأثر المطبخ المغاربي بالتبادل الثقافي العثماني.

4– التداوي والتطبيب بالأعشاب من مختلف الأوبئة والامراض

حيث أشار «بيسونال» في هذا السياق أنه توجد عدة طرق ينتهجها سكان تونس في علاج الأمراض، حيث يتداوون بآيات من القرآن الكريم، ويعلقون حروزا على أقدام المرضى وأكفافهم وأيديهم[3]، بالرغم من علم التطبيب في الفترة

---

[1]– ابو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى/ج5**، ص 236.

[2] – مسعود محمد أعواج، **ليبيا في العصر الحديث**، ص39

[3]–أندريه بيسونال، **المصدر السابق**، ص 125

العثمانية، قد عرف تقهقرا وتدهورا ملحوظا، فكان الأطباء يعتدون على الأعشاب مع تداخلها بالخرافات والحروز، كما يرى البعض بأن العلوم الطبية اختلطت بالشعوذة منذ دخول العثمانيون إلى شمال إفريقيا، واصطبغت بروح التصوف، فانقسم الأطباء إلى من استعمل الطلاسم[1]، والبعض الآخر انتهج الطب النبوي.

أصدر "بيسونال" حكمه بخصوص الأمراض المنتشرة بتونس، أن السكان جاهلين لأنهم لا يتعالجون، بل يظلون في الفراش، ويربطون الشفاء بالأكل وقدر الله [2]، والموت تكون مشيئته من دون التحرك للعلاج، مع الإشارة بأن الأمراض المزمنة مستبعدة في هذه الفترة.

انتقد "الرحالة" طريقة علاج المجتمع التونسي بالقرآن وقراءة الآيات الشرعية، وتعليق الحروز في قدم المريض ورقبته، ومن بين الأمراض المنتشرة أيضا، نجد الصرع فيفسرون الاهالي ذلك بأن المرضى هم سجناء للشياطين أي الجن، ومن خلال الرقص وتحريك الرأس يشفى هذا المريض.

كما نجد أن «بيسونال» أيضا قد أدرج بعض الطرق التي ينتهجها السكان في التداوي ضد لسعات العقارب، والمتمثلة في إسالة الدم حول المنطقة الملسوعة ثم ربطها بالساق بإحكام حرصا على عدم انتشار السم في أجزاء الجسم، وبعدها وضع مرهم على الجرح وهذه الطريقة فعالة في الاستشفاء من لسعات العقارب[3]. ويشترك السكان المغاربة في مختلف الطرق والوسائل العلاجية حيث يشتركون في مختلف الموروثات الحضارية.

خاتمة

خلصت التجربة العثمانية في بلدان المغرب إلى مجتمع يتميز بالتنوع والاستمرارية، حيث

اتسمت بتنوع اجتماعي وعرقي كبير. تفاوت حاد بين الفئات.وهيمنة النخبة العسكرية.

حيث حافظت البنى الاجتماعية التقليدية على تماسكها، رغم التغيرات السياسية والاقتصادية،.وقد مهدت هذه التحولات الطريق للمرحلة الاستعمارية، التي ستحدث قطيعة عميقة في الحياة الاجتماعية المغاربية.

---

[1]-محفوظ رموم، **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف كمال فيلالي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002، ص 169

[2]-أندري بيسونال، **المصدر السابق**، ص 124

[3]-أندريه بيسونال، المصدر السابق، ص 74

المحاضرة 12: الحياة الاقتصادية في بلدان المغرب العربي في العصر الحديث (القرن 16–19م)

مقدمة

تميزت الحياة الاقتصادية في بلدان المغرب العربي خلال القرنين السادس عشر إلى التاسع عشر الميلاديين بطابع مركب، جمع بين **الاقتصاد التقليدي** القائم على الزراعة والرعي والتجارة الصحراوية، وبين **تفاعل متزايد مع الاقتصاد الأوروبي**، وهو تفاعل تطور تدريجيًا من التبادل التجاري إلى الهيمنة والتبعية الاقتصادية، خاصة مع حلول القرن التاسع عشر. وقد تأثرت هذه الحياة الاقتصادية بجملة من العوامل الطبيعية والبشرية والسياسية، وباختلاف الأقاليم المغاربية.

أولًا– القطاعات الاقتصادية التقليدية

1– الزراعة والرعي

اعتمد اقتصاد بلدان المغرب العربي أساسًا على النشاط الزراعي والرعوي، حيث انتشرت زراعة **الحبوب (القمح والشعير)** في السهول الخصبة، وزراعة **النخيل** في الواحات، إلى جانب **تربية المواشي** في المراعي الطبيعية[1].

وقد أشار الرحالة **بايسونل** في رسالته الثالثة المؤرخة في 24 جوان 1724م، والتي كتبها في شكل تقارير أثناء رحلته، إلى ملامح المجال الاقتصادي في الإيالة التونسية، لا سيما الريف التونسي، مبرزًا أهم أنواع المزروعات السائدة، الإنتاج الصناعي والنشاط الفلاحي، وهو ما أسهم في تحسن الأوضاع وانتشار الرخاء وازدهار الحياة الاجتماعية[2]، ويظهر ذلك جليًا في تنوع الزراعات بالمدن والقرى التونسية خلال العهد العثماني، مثل زراعة النخيل في **قرية الحامة** التي تمتاز بوفرة

---

[1] – أحمد بن خالد الناصري، **مصدر سابق**، ص89

[2]–محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعليق محمد شاوش ومحمد عجينة، ط3 ، دار سلسلة للنشر، تونس، 1993، ص 73، 75

المياه، إضافة إلى **منطقة الجريد** وخاصة واد توزر، وكذلك **مدينة قابس**[1]. وقد كانت تونس مصدرًا لزيت الزيتون والحبوب[2]

أما في **ليبيا** خلال الحكم العثماني، فقد عرفت هي الأخرى عدة نشاطات اقتصادية جعلت الزراعة المورد الرئيسي للسكان، الذين كان أغلبهم من الفلاحين. وساعد على ذلك توفر الظروف الطبيعية من مياه وأراضٍ خصبة، إلى جانب ممارسة السكان للنشاط الزراعي[3]،. وتنوعت المحاصيل الزراعية، وأهمها القمح والشعير المرتبطان بعامل التساقط، إضافة إلى التمور لانتشار أشجار النخيل في الواحات، والزيتون في مناطق زليتن وجبل نفوسة وسهل الجفارة، فضلًا عن أشجار التين والخروب والرمان في شرق برقة، في حين اشتهرت **منطقة توجرة** بزراعة الفواكه كالرمان واللوز والحوامض[4].. وقد اشتهرت ليبيا بتصدير **الصوف والتمور**، [5].

وفي **المغرب الأقصى**، انتعش النشاط الزراعي بفضل البادية المغربية، حيث توفرت الإمكانيات البشرية والأراضي الخصبة، خاصة في منطقة **زرهون** وناحية **تارودانت** التي عُرفت بتنوع مغروساتها من كروم وزيتون وفواكه وخضر، فضلًا عن كثرة المراعي المخصصة لتربية الخيل والإبل. [6].

وقد أولى السلطان **أحمد المنصور الذهبي** اهتمامًا خاصًا بزراعة **قصب السكر** وصناعته، فوسّع مزارعه وأنشأ مصانع لتصفية السكر وجهزها بأحدث الآلات، حتى أصبح السكر المغربي مطلوبًا في إفريقيا وأوروبا، [7] ومن أشهر مراكز إنتاجه وتصديره **مدينة شيشاوة** جنوب مراكش. كما اهتم بزراعة الحبوب (القمح، الشعير، الذرة)، وتربية النحل لإنتاج العسل، واحتلت تربية الماشية الصدارة. [8]ويتجلى اهتمام المنصور بالأراضي من خلال تنظيم الزراعة، والاعتناء بالماشية، والاهتمام بالري عبر استغلال الأودية، وتوزيع الأراضي الزراعية على القبائل. [9]، ورغم كون الفلاحة النشاط الرئيسي للسكان، إلا أنها اتسمت بمحدودية الانتشار واعتماد تقنيات تقليدية، مع تركيز واضح على زراعة قصب السكر المخصص للتبادل مع أوروبا، إلى جانب زراعات الحبوب وتربية الماشية، وتنوع المغروسات كالزيتون والفواكه والخضر، رغم بدائية الوسائل المستعملة. [10].

2- الحرف والصناعات التقليدية

---

[1]-الحسين بن محمد الورتلاني، المصدر السابق،، ص ص 155، 156.

[2]- عبد الرحمن الجبرتي، **مصدر سابق**، ص312

[3]-مكيديا الموسوعة الحرة

[4]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع ط2، 2009، ص526.

[5]- عبد الرحمن الجبرتي، **مصدر سابق**، ص312

[6]- ميمونة سنوسي، الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي، علوم انسانية، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة2017، ص21.

[7]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 195

[8]-ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص 183.

[9]- ميمونة سنوسي، الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي 986هـ-1012هـ/1578م-1605م، مذكرة تخرج، علوم انسانية، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة2017، ص21.

[10]- عبد الصمد فروات، "الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي"، مواضيع وابحاث سياسية، 2016

1- الصناعة الحرفية

اشتهرت مدن مغاربية عدة بصناعات حرفية متميزة، حيث عُرفت **فاس** بصناعة الجلود والدباغة، و**تلمسان** بالنسيج الحريري، و**الجزائر** بصناعة السفن. وواحة فزان التعدين واستخر اج الملح، ونقله إلى السودان عبر طرق القوافل[1]

كما اشتهرت **تونس** بصناعة الشاشية التي كان لها سوق خاص بتونس العاصمة عُرف بسوق الشوشين، حتى غدت تونس خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر من أهم مصدري الطرابيش في الدولة العثمانية. ويشير **ابن أبي الضياف** إلى الثروة الواسعة التي حققتها هذه الصناعة. [2]وقد شهدت فترة **حمودة باشا** انتعاشًا ملحوظًا في الحركة التجارية وتنشيط الصناعات الحرفية، خاصة الشاشية، **مما** أدى إلى تكوين طبقة من التجار الكبار حول الباي. وتنشيط الصناعات الحرفية ولاسيما قطاع الشاشية وبذلك تكونت طبقة من التجار الكبار حول الباي واستفادت الدولة من خبرة الجالبة اليهودية وبالاعتماد على طبقة الأعيان المحليين ولا سيما فئة القياد اللازمة أمثال الجلولي وبن عياد[3].

أما **طرابلس الغرب**، فقد اعتمدت على الصناعات المحلية المتنوعة، خاصة بين سكان الحضر، مثل الحدادة وصناعة الأواني النحاسية، ودباغة الجلود، وصناعة الفخار، والأبواب الخشبية، والحلي الذهبية، حتى أن بعض المناطق، كالأحساء، اشتهرت بتصدير الأواني النحاسية إلى شبه الجزيرة العربية. [4]

وفي **المغرب الأقصى**، عرف النشاط الحرفي والصناعي انتعاشًا كبيرًا، قائمًا على تحويل المواد الأولية الفلاحية والمعادن المحلية. وتنوعت الصناعات بين الأقاليم، فاشتهرت **سوس والأطلس الصغير وتافيلالت** بالصناعات النحاسية، و**دكالة** بالصناعات الصوفية. كما طور السعديون صناعات جديدة بالاستفادة من خبرات الموريسكيين والأوروبيين[5]، وعلى رأسها صناعة السكر وقد شكل قطاعا حيويا للرفع من مداخيل الدولة[6] وحتى يتمكن من تصنيع هذه المواد أوجد العديد من المصانع منها:

-مصنع الأسلحة: تركزت معظمها في القصبة الملكية بمراكش.

- دور صناعة السفن والتي حرص المنصور على تأسيسها بالموانئ المغربية.

-كما عمل أحمد المنصور على احداث دار صناعة الاسلحة وكانت محادية للقصبة وشيد لجوارها دار لنخزين البارود تسمى حصن البلد ونظرا لأهمية السلاح فلم يكتفي المنصور بما يصنعه بل حرص على استيراده لا سيما من انجلترا هذه

---

(1)- محمد المنوني، **مرجع سابق**، ج2 ، ص201 .

(2)-أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3 ، ص78 ، رشاد الإمام، **سياسة حمود باشا الحسيني بتونس**، المجلة التاريخية المغربية، ع 6، تونس، 1997م، ص286 ؛ ينظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية، الجزائر، تونس، طرابلس، الغرب**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 44.

(3) – دلندة الارقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، تونس، د:ط، 2003م، ص ص66، 67.

(4) – ويكيبديا الموسوعة الحرة.

(5) – عبد الكريم كريم، **المرجع السابق**، ص 335.

(6) –ابو العباس الناصري، **الاستقصاء في أخبار المغرب الاقصى**، ص247.

الأخيرة التي كانت تصدر السلاح للمغرب مقابل حصولها على ملح البارود[1].

3- التجارة في المغرب العربي:

لعبت التجارة الصحراوية دورًا محوريًا في الاقتصاد المغاربي، حيث نقلت القوافل التجارية من **تمبكتو** الذهب والعاج والعبيد إلى بلدان المغرب، مقابل الملح والمنسوجات والكتب..[2]وكانت **سجلماسة** مركزًا هامًا لتجارة الذهب، حيث كان يُبادل بملح مناجم تاغا زا.[3].

وفي تونس، أشار **الورثيلاني** إلى وجود أسواق متعددة لمختلف السلع في مدن مثل **قابس** و**تونس العاصمة**، حيث تباع الصناعات التي جلبها الأندلسيون، كصناعة الشاشية ونسج الحرير ونقش الرخام والجبس والزليج، وقد نقل أهل البلاد أصول هذه الحرف حتى أتقنوها. [4]كما وصف **جزيرة جربة** بأنها تضم سوقًا واسعًا ومنظمًا وعددًا كبيرًا من التجار.[5]

أما في ليبيا، فقد قامت التجارة على تصريف المنتجات المحلية من سمن وجلود ومنسوجات وصوف وتمر وأنعام، مقابل السلع التي تحتاجها البلاد. واعتمدت ليبيا كذلك على تجارة العبور من وسط إفريقيا إلى المدن الساحلية عبر ثلاث طرق رئيسية:

1. من طرابلس إلى مصراتة ثم غات في السودان.
2. من طرابلس إلى مصراتة ثم سوكنة فمرزق إلى السودان.
3. من شمال برقة إلى جالو في الكفرة ثم إلى السودان. [6]

وقد اعتمدت هذه التجارة على قوافل الإبل، وكانت الأسواق العامة في المدن دائمة، في حين كانت أسواق القرى أسبوعية.

أما في **المغرب الأقصى**، فتميز النشاط التجاري بازدهار التجارة الداخلية والخارجية، خاصة في عهد أحمد المنصور، بفضل الأمن والاستقرار وسهولة المواصلات، مما أسهم في ربط المدن والأقاليم المختلفة. [7]

ثانيا- التفاعل مع الاقتصاد الأوروبي

1- التبادل التجاري

شهدت بلدان المغرب تبادلات تجارية مع موانئ أوروبية مثل **مرسيليا** و**ليفورنو**، حيث صُدّرت الصوف والجلود مقابل

---

(1) - ميمونة سنوسي، **المرجع السابق**، ص، ص22.

(2) - عبد الرحمن السعدي، **مرجع سابق**، ص 184 -

(3) - أبو القاسم الزياني، **مصدر سابق**، ص234

(4) الحسين بن محمد الورتلاني، **مصدر سابق**، ص 751

(5) الحاج ابن الدين الأغواطي، **رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال أفريقيا والسودان والدرعية**، تر وتح :أبوال قاسم سعد الله، المعرفة الدولية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 101.

(6)-ناصر الدين سعسدوني، **دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني**، ص، ص529، 530.

(7) - ميمونة سنوسي، **الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي، مرجع سابق**، ص23.

الأسلحة والمنسوجات الأوروبية. وقد اهتمت تونس خلال العهد العثماني بتطوير المبادلات التجارية، دون تحقيق فائض تجاري، بسبب ركود الإنتاج الحرفي، وتراجع المحاصيل الزراعية، وصعوبة المواصلات الداخلية، وتحول تجارة السودان نحو الموانئ الأطلسية الإفريقية المرتبطة مباشرة بأوروبا. [1]

وفي المغرب الأقصى، تطورت العلاقات التجارية مع **إنجلترا**، حيث استورد المغرب الأسلحة وملح البارود، وصدّر السكر والذهب والجلود والشمع والتمر واللوز وريش النعام وغيرها. [2]وقد بلغ الرواج التجاري ذروته في عهد أحمد المنصور، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.. [3].

فقد أدى توقيع المعاهدات التجارية، خاصة **المعاهدة المغربية–البريطانية سنة 1856م**، إلى فرض رسوم جمركية محددة، مما أفقد المغرب جزءًا من سيادته الاقتصادية، ومهّد للانتقال من التبادل إلى التبعية[4]

ثالثا–النظام المالي والضرائبي

1 –العملة:ضُربت العملة (الدرهم والدينار) في **دار السكة** بكل من فاس وتونس، واعتمد في سكّها على الذهب الإفريقي[4].

2–الضرائب

فُرضت الضرائب على المحاصيل (العشر) والتجارة (الزكاة)، إضافة إلى ضرائب غير شرعية في فترات الضعف[5]. وقد ركز البايات المراديون والحسينيون في تونس على توسيع النظام الجبائي لزيادة موارد الدولة، في حين عجز حكام الجزائر وطرابلس عن إخضاع جميع الأراضي الزراعية للنظام الجبائي. [6]

خاتمة

يمكن تلخيص ملامح الحياة الاقتصادية في بلدان المغرب العربي خلال العصر الحديث في النقاط الآتية:

- الاعتماد على الاقتصاد التقليدي (الزراعة، الرعي، التجارة الصحراوية).
- التفاعل المتزايد مع أوروبا، والتحول التدريجي من التبادل إلى التبعية.

التأثر بالتحولات السياسية، وضعف الدولة، والتوسع الاستعماري.

---

(1)– لويست فالنسي، **المرجع السابق**، ص 107 ؛ ينظر أيضا:

Rosseau ،A ،**Annales Tunisiennes** ،ou apercu historique sur la regence de tunis ،Alger ،Bastid ،1864 ،p 437-438

(2)– ميمونة سنوسي، **الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي، المرجع السابق**، ص23.

(3) – عبد الصمد فروات، " **الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي"، مواضيع وابحاث سياسية**، 2016

(4) – علي عبد الله منتصر، **مرجع سابق**، ص125

(5) – محمد حجي، **مرجع سابق**، ص210

(6) محمود علي عامر، **تاريخ المغرب العربي الحديث الجزائر وتونس**، المرجع السابق، ص18 .

المحاضرة 13: العلاقات الثقافية بين البلدان المغاربية
خلال القرنين 16–19م

مقدمة

شهدت بلدان المغرب العربي خلال العصر الحديث (القرنين 16–19م) تفاعلات ثقافية عميقة، فرضتها وحدة المرجعية الدينية والمذهبية، وتشابك الطرق العلمية والصوفية، وحركة العلماء والطلبة بين الحواضر الكبرى، رغم التعدد السياسي واختلاف الأنظمة الحاكمة.

وتعد الرحلات، والمؤسسات العلمية، ورعاية الحكام للعلم، من أهم العوامل التي أسهمت في ترسيخ هذه العلاقات الثقافية المغاربية.

المحور الأول– الأوضاع الثقافية في إيالة تونس خلال الفترة العثمانية

1–الحواضر العلمية ودورها الثقافي

برزت إيالة تونس كإحدى أهم الحواضر العلمية في المغرب العربي، خاصة **حاضرة تونس** التي وصفها الرحالة الورتلاني "بأنها من قواعد تونس ومدينة العلم ومدينة متميزة بالفهم، يجتمع فيها العديد من علمائها وصلحائها وفضلائها"[1].

2– المؤسسات العلمية والتعليمية:

شكل جامع الزيتون[2] ؛القلب النابض للحياة العلمية، وقد أشاد به الورتلاني من حيث مكانته العلمية والدينية، واعتبره جنة للعارفين وخلوة للمتعبدين. إذ يقول" :ما أحسنه من جامع...فهو جنة العارفين وخلوة للمتعبدين الناسكين ومزارة للراغبين" [3]، ويشير الورثيلاني إلى وجود مدرسة ومسجد في كل منطقة يمر بها، مثل منطقة توزر التي تحتوي على

---

[1]–الحسين بن محمد الورتلاني، **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار**، تحقيق محمد أبي شنب، مج2 ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص 771.

[2]–الحسين بن محمد الورتلاني، مج 2، **المصدر نفسه**، ص 771؛ الطيب يوسفي، **العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب االتونسي أنموذجا**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الزائر، 2020/2019، ص 84؛ صالح بوسليم، محمد عائشة، **من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني (1519–1830) هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع19، جامعة الوادى، ص 59

[3]–الحسين بن محمد الورتيلاني، المصدر السابق، ص 753، 755.

مسجد، كما تحتوي قابس على مساجد كثيرة، إضافة إلى جربة التي بها مدرسة عظيمة [1]، فالصغير بن يوسف ذكر بأن "حسين بن علي" قام ببناء العديد من المدارس كالمدرسة التي بناها في صفاقس، وأخرى في قفصة نسبها لعبد القادر الكيلاني، وجدد المدرسة التي تقع بجزيرة جربة، هذا بالإضافة إلى بناء المساجد وخصص تعيين ت ومرتبات لطلبة والعلماء[2].

وقد انتشرت المدارس والمساجد في مختلف المناطق:

*توزر: وجود مسجد علمي.

*قابس: كثرة المساجد.

*جربة: مدرسة عظيمة.

*صفاقس وقفصة: مدارس بناها حسين بن علي. فالصغير بن يوسف ذكر بأن " حسين بن علي" قام ببناء العديد من المدارس كالمدرسة التي بناها في صفاقس، وأخرى في قفصة نسبها لعبد القادر الكيلاني، وجدد المدرسة التي تقع بجزيرة جربة، هذا بالإضافة إلى بناء المساجد وخصص مرتبات لطلبة والعلماء[3].

في هذا المنحى يضيف محمود مقديش بأن حسين بن علي كانت له مباني عظيمة منها المدرسة الحسينية بصفاقس، ومسجده الأنور ومدرسة بمدينة تونس، كما قام باحياء العديد من المدارس وأوقف عليها أحباس وخصص مرتبات للأهل العلم[4].

3-دور الحكام في دعم الحياة الثقافية

أشار الورثيلاني إلى أن السلاطين والحكام التونسيين أولوا رعايتهم بالعلم والعلماء، حيث قاموا بإنشاء المدارس وتحفيز العلماء وتشجيعهم على طلب العلم وبفضل هذه المجهودات تقدمت البلاد وازدهرت وعم العلم والمعرفة في كل المدن والقرى التونسية. ويتبين لنا من خلال حديث الورثيلاني الذي أشاد بحكام تونس وأمراءها الذين ركزوا مجهوداتهم على دعم العلماء وتعزيز العلم في قوله" :إن سلاطين تونس وأمراءها وأصحاب الدولة فيها، صرفوا همهم إلى العلم وأقاموا منائر عزه، فبنوا المدارس، وأوقفوا الأحباس، وأعزوا العلماء، وأغنوا للدرس الجلاس، فأسهموا كلا على قدر همته واشتغاله... "[5]، فبعد الاستقرار السياسي تصبح الظروف ملائمة للحكام لكي يهتموا بالعلماء والعلوم، وهذا ما يؤدي إلى ازدهار البلاد ثقافيا وعلميا وتصبح لها مكانة هامة.

وقد أشارت بعض الرحلات بشكل مباشر إلى مساهمة الحكام في الحياة الثقافية في تونس، وهذا راجع إلى الدور

---

(1)-أبو راس الناصري، **نبأ الإيمان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، تق وتح :بن عمر حمدادو، تونس، 2012، ص 83 ينظر أيضا:الحسين بن محمد الورتيلاني، المصدر السابق، ص 753، 755، 756.

(2)-الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد تركي**، تح: أحمد الطويلي، مج1، ط1، تونس، 1998، ص 20، 22.

(3)-**المرجع نفسه**، ص 20، 22.

(4)-محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح:علي الزواوي ومحمد محفوظ، مج 2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص ص 157، 158 ؛ أحمد الطويلي، **تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ط1، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2002، ص 107.

(5)-الحسين بن محمد الورتلاني، مج 2، **المصدر السابق**، ص، ص 763، 764.

الذي قاموا به، حيث اهتموا بالعلم والعلماء وأولوه عناية خاصة، والجدير بالذكر أن الفترة الحسينية الأولى كانت مرحلة عصيبة مرت بها البلاد التونسية، إلا أن السياسة الثقافية للبايات الحسينيين اتصفت بالاستقرار[1]، حيث اعتنوا بالثقافة وشجعوا على العلم، فقد كانوا من النخبة المثقفة من رجال العلم والأدب لذلك كانوا حريصين على نشر العلم والاعتناء بالعلماء [2]، ومن مظاهر اهتمام الحكام بالحركة الفكرية والثقافية كثرة العلماء، وتمتعهم بمكانة مرموقة نظرا لعلاقتهم[3].

خيث كان محمد باي ابن حسين بن علي له محبة للعلماء، فكان يعظمهم ويجالسهم ويباسطهم ويحث على مسامرتهم، ويستدعي أهل المجلس الشرعي وغير من العلماء للضيافة في بستانه ويحتفل لإكرامهم ويدور معهم ممتزجا بهم امتزاج الأصحاب[4].

5- الرحالة الجزائريون ودورهم الثقافي:

والجدير بالتنويه أن الرحالين الجزائريين كانوا يستغلون فرصة نزولهم بإيالة تونس للقاء بالعلماء والفقهاء والتحاور معهم وحضور مجالسهم العلمية للاستفادة والإفادة من علمهم، ففي حديث الورثيلاني عن مدينة صفاقس ذكر بعض المجالس العلمية التي حضرها وهي مجلس في علم الكلام[5].

أما أبو راس الناصري هو الآخر حضر المجالس والمناظرات مع العلماء التونسيين بجامعها الأعظم إذ يقول: "فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة والمسائل الخفية "...كما أنه اجتمع مع حمودة باشا الذي طرح عليه العديد من الأسئلة [6] أما أبو راس الناصري تحدث في رحلته عند اقامته بتونس عن العلماء والفقهاء الذين تحاور معهم وتناقش معهم، منهم صالح الكواش الذي قال عنه بأنه إمام في المعقول والأصول والبيا ن[7]، كما لم يغفل عن ذكر الشيوخ الذين درس عليهم في تونس فذكرهم بالاسماء وهم محمد بن قاسم المحجوب الذي مدحه مدحا خاصا، وكذلك مفتي الحنفية بتونس محمد بيرم فقد أشاد أبو راس الناصري بالتعريف به[8].

6- .تونس وطرابلس والجزائر كجسر ثقافي مغاربي

---

(1)-فوزية لزغم، **بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية1705-1814**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3 ، ع 2، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2020، ص 208

(2) ا-فوزية لزغم، **المرجع السابق**، ص 211.

(3) أحمد زاوي، رشيد مياد، **الحركة الأدبية بتونس خلال العهد العثماني**، مجلة المعيار، مج27، ع4، مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور، الجزائر، جوان 2023، ص 632.

(4) أحمد ابن أبي ضياف، **فتح الإله ومتنه في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبو راس الذاتية والعلمية**"، تح وتع :محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،، ص 157.

(5) الحسين بن محمد الورتيلاني، **المصدر السابق**، ص 756.

(6) أبو راس الناصري، **فتح الإله...، المصدر السابق**، ص 115.

(7) أبو راس ا لناصري، **المصدر السابق**، ص 109.

(8) أبو راس الناصري، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص ص 51، 52.

تعتبر إيالة تونس محطة عبور لعلماء المغرب العربي أثناء رحلات الحج، ومركزًا لطلب العلم، خاصة في ظل ضعف الوضع الثقافي نسبيًا في الجزائر خلال بعض مراحل العهد العثماني، مما جعلها مقصدًا علميًا بارزًا.، من أجل توسيع آفاقهم العلمية والمعرفية واكتساب ملكات جديدة [1]

المحور الثاني –الوضع الثقافي في ليبيا:

لم تعرف الحياة الثقافية في ليبيا خلال العهد العثماني ازدهارا وتطورا، مثلها مثل الأقطار العربية الأخرى التي كانت تخضع للحكم العثماني" [2] فقد غلب على الجانب الفكري والأدبي التقليد والنسخ وألقي على التعليم [3]، ظل الإهمال لعدم اهتمام السلطة بتطويره، ولكن كانت هناك بعض الاستثناءات المتمثلة في قيام بعض الحكام بإقامة مساجد وإلحاقها بالمدارس كما أوقفوا الأوقاف عليها، لذلك بذل الشعب الليبي جهوده من أجل النهوض بالتعليم من خلال رصد الأوقاف في سبيل المؤسسات التعليمية المتمثلة في المساجد الكتاتيب، الزوايا والمدارس، حيث كان التعليم السائد بالبلاد الليبية آنذاك هو التعليم التقليدي) العربي الإسلامي (الذي لا يخرج عن إطار هذه المؤسسات المذكورة [4]، وعلى الرغم من الركود الثقافي الذي عرفته فترة ما قبل القرمانليين إلا أن هذه الأسرة اهتمت به مما أدى إلى ازدياد عدد المدارس والزوايا والمساجد [5]، تركزت أغلب المدارس في مدينة طرابلس، فاشتهرت منها مدرسة عثمان باشا الساقزلي التي شيدت في سنة 1654 م، مدرسة أحمد باشا المشيدة في سنة1738 م، ومدرسة الكتاب التي بنيت سنة 1760م[6]، أما الكتاتيب اعتبرت بمثابة اللبنة الأولى لتعليم الأطفال في ليبيا، ومن أشهرها كتاب مدرسة الكاتب وكتاب جامع الدروج[7].

وبالنسبة للمساجد فقد شيدت العديد منها في الفترتين العثمانية والقرمانلية منها جامع مراد آغا الذي شيد في سنة 555م، جامع شائب العين، جامع درغوث باشا المشيد سنة 1554، جامع أحمد باشا الذي بني سنة1738 [8].

وعرفت الزوايا هي الأخرى انتشارا في البلاد الليبية، وكان لها أثر كبير في نشر التعليم، كما ساهمت هذه المنارات في إخراج الآلاف من العلماء وحفظة القرآن، والمشايخ ومن هذه الزوايا نذكر زاوية البازة وزاوية الباقول [9].

---

[1] رحمة قليل، **حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الثقافي، قسم العلوم الانسانية، كلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2020، ص 84.

[2]–ليلى غويني، **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011/2010، ص 117.

[3]–مسعود عبد الله مسعود، **ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر الحكم العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911**، المجلة الجامعة، مج 3، العدد 15، 2013، ص 120.

[4]–نجم الدين غالب الكيب، **المرجع السابق**، ص ص 101، 102.

[5]–ليلى غويني، **المرجع السابق**، ص 117.

[6]–مسعود عبد الله مسعود، **المرجع السابق**، ص 120.

[7]–نجم الدين غالب الكيب، **المرجع السابق**، ص 56، 60، 61.

[8]–مجموعة من المؤلفين، **معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا**، دار الكتب الوطنية، ط1، القاهرة، مصر، 2008، ص 252، 256

[9]–محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تح: محمد الشاوش، (د.ط)، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 76.




المحور الثالث: الوضع الثقافي في المغرب الأقصى خلال العهد السعدي والعلوي

1- .الحركة الثقافية في العهد السعدي: أولت الدولة السعدية بعد قيامها اهتماما بالحركة الثقافية في المغرب من خلال حركة التجديد التي قامت بها بدءا من منطقة تارودانت حيث شمل هذا التجديد المدارس والمساجد والمواد المدرسة لتشمل الحساب والهندسة والمنطق [1]، ويعود ازدهار الحركة الفكرية في المغرب إلى عهد المنصور الذهبي الذي عرف بتشجيعه للعلم والعلماء، بالإضافة إلى تزايد مراكز العلم بالمغرب كالكتاتيب [2] والمساجد مثل جامع القرويين [3] وجامع الشرفاء في مراكش .[4]

2- الزوايا والقضاء: شهد المغرب ظهور الزوايا التي اختلف دورها من ديني إلى علمي أو سياسي ونذكر منها الزاوية الدلائية وزاوية أولاد خزار وزاوية تمكروت، أما فيما يخص القضاء، فكان هذا الأخير يقوم على أساس ثقافة فقهية واسعة ونجد من رتبه منصب قاضي الجماعة ومنصب صاحب المظالم [5].

3-الاستمرارية الثقافية في العهد العلوي: ومما يلاحظ على النهضة الثقافية التي بدأت مع العهد السعدي أنها استمرت خلال الفترة التي تعنينا من العهد العلوي وذلك بتطور واتساع العلوم والآداب وبروز علم التاريخ والتراجم [6]، كما عرف عن الملوك العلويين تشجيعهم للعلماء مثلهم مثل الحكام السعديين، وكذا تشجيعهم لحركة ترجمة الكتب إلى اللغة العربية[7] حيث" تدفقت على الناس العلوم ودانت صعاب الفنون حتى عاد صغار الطلبة يعرفون فنونا عديدة، وقد تخرج في هذه الدولة السعيدة جماعة من الأعلام لهم القدم الراسخ في العلم وألفوا تآليف حسنة"[8] ؛ وعرف الوقف في هذه الدولة اهتماما بالغا أكثر من غيرها من الدول التي حكمت المغرب الأقصى [9].

كما عرف هذا العهد ظهور مراكز تعليمية جديدة تمثلت في المدارس مثل المدرسة العبدلاوية التي تأسست سنة

---

(1)-محمد حجي، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني**، تق: محمد العيادي، (د.ط)، (د.د.ن)، (د.س)، ص 40، 42

(2)-شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)**، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1119، ص 330.

(3)-علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 77.

(4)-عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، جمعية المؤارغين المغاربة، الرباط، 2006، ص 316.

(5)-إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ط2، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 342، 345.

(6)-محمد الأخضر مبرز السربون، الحياة الأدبية في المغرب في عهد الدولة العلوية، ط1، دار الرشاد الحديثة، 1977، ص ص 75، 76.

(7)-أحمد شوقي بنبين، المرجع السابق، ص ص 96، 97.

(8)-عبد الرحمان ابن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، (د.ط)، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1937، ص 35.

(9)-السعيد بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، ج1، (د.ط)، مطبعة فضالة، المغرب، 1996، ص 13

1732م، ومدرسة الشراطين[1]، أما المساجد فنجد جامع الباشا وغيره، وفيما يخص الزوايا نجد زاوية سيدي الحاج علي البركة المشيدة في سنة 17008 م، وزاوية بن مرزوق التي بنيت عام 1726 م[2].

4.-المؤسسات التعليمية

- المدارس: العبدلاوية (1732م)، الشراطين
- المساجد: جامع الباشا
- الزوايا: زاوية سيدي الحاج علي البركة (1708م)، زاوية بن مرزوق (1726م)

المحور الرابع: العلاقات الثقافية بين البلدان المغاربية:

شكلت العلاقات الثقافية بين أقطار المغرب العربي خلال القرنين 16-19م نسيجا متصلا عبر شبكات علمية ودينية وتجارية، رغم التغييرات السياسية التي شهدتها المنطقة.

أولا: روابط الوحدة الثقافية

1. **الإطار الفكري المشترك**
   - المذهب المالكي
   - المنهج الأشعري
   - تشابه مناهج التعليم (القيروان، فاس، تلمسان) [3]
2. **اللغة والأدب**:: انتقلت المؤلفات الأدبية بين الأقطار
   - تداول المؤلفات الأدبية
   - تدريس مؤلفات مثل مقامات الرياحي التونسي بالمغرب[4]

ثانيا: مجالات التبادل الثقافي

1. تنقل العلماء والطلبة بين:
   - زوايا الجزائر
   - مدارس فاس
   - جامع الزيتونة كما حملوا الاجازات العملية بين الأقطار [5].

---

[1]-عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، ط2، (د.د.ن)، (د.س)، ص 274.

[2]-جون لوي ميج وآخرون، **تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية**، تر: مصطفى غطيس، ط1، (د.ن)، طنجة، المغرب، 2002، ص 47

[3] – أحمد بن خالد الناصري، **مصدر سابق**، ص 91

[4] – عبد الرحمن الجبرتي، **مرجع سابق**، ص312

[5] – محمد حجي، **مرجع سابق**، ص210

2. تبادل المخطوطات عبر القوافل التجارية، واشتهرت مكتبة القرويين بمخطوطات من جميع الأقطار.[1]

3-الطرق الصوفية كجسر ثقافي (القادرية، التيجانية) في كل الأقطار، ووحّدت الزوايا المشهد الثقافي [2].

ثالثا: عوائق التفاعل الثقافي

1-التعدد السياسي (العثمانيون – السعديون – العلويون) أضعف التبادل الثقافي رغم وحدة المنهج[3]

2-الاضطرابات الأمنية والأوبئة: أثرت المجاعات والأوبئة على حركة العلماء، مثل طاعون1818 الذي عطل الرحلات العلمية [4].

رابعا: مظاهر التأثير المتبادل

التأثير المعماري بين فاس وتونس تشابهت عمارة المساجد والقصور بين فاس وتونس وطرابلس والمغرب، ونقل المهندسون التصاميم بين الأقطار.[5]

انتقال الأدب الشعبي (سيرة بني هلال): انتقلت الملاحم الشعبية(مثل سيرة بني هلال)بين البلدان عبر الرواة.

خاتمة

يتضح أن المغرب العربي حافظ على وحدة ثقافية راسخة خلال القرنين 16–19م، رغم التحديات السياسية والأمنية، وذلك بفضل:

- شبكات علمية موحدة
- مرجعيات فكرية مشتركة
- قنوات تواصل مستمرة عبر الرحلات والزوايا والقوافل

---

(1) – محمد المنوني، **مرجع سابق**، ص201

(2) – علي عبد الله منتصر، **مرجع سابق**، ص125

(3) – أحمد بن خالد الناصري، **مصدر سابق**، ص152

(4) – عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، **تاريخ السودان**، ترجمة هوداس باريس، ص18

(5)– أبو القاسم الزياني، **مصدر سابق**، ص234

المحاضرة 14: الاستعمار في بلاد المغرب الحديث *(القرن 16م – القرن 19م)*

مقدمة

شهدت بلاد المغرب خلال العصر الحديث تحولات عميقة ارتبطت بتنامي الأطماع الأوروبية في المنطقة، خاصة منذ القرن السادس عشر الميلادي كما سبق وأشرنا، حيث أصبحت السواحل المغاربية مجالًا حيويًا للتنافس الدولي بفعل موقعها الجغرافي الاستراتيجي، وثرواتها الطبيعية، ودورها في التجارة المتوسطية.

حيث شهد القرن التاسع عشر تصاعدًا ملحوظًا في التوسع الاستعماري الأوروبي، في ظل التحولات الاقتصادية والسياسية التي عرفتها القارة الأوروبية، خاصة بعد الثورة الصناعية. وقد شكّلت بلاد المغرب العربي إحدى أهم مناطق التنافس الاستعماري، نظرًا لموقعها الجغرافي الاستراتيجي، وقربها من أوروبا، وإشرافها على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي.، ولم يكن إخضاع المنطقة نتيجة عامل واحد، بل حصيلة تفاعل بين **تنافس أوروبي حاد** و**أوضاع داخلية هشّة**، استُغلت لفرض السيطرة الاستعمارية بأشكال متعددة ولم يكن إخضاع المغرب العربي نتيجة تدخل عسكري مفاجئ، بل جاء ثمرة **تنافس استعماري منظم** بين القوى الأوروبية، استند إلى آليات دبلوماسية ومؤتمرات دولية، كان أبرزها مؤتمرَا برلين، اللذان وفّرا الغطاء القانوني والشرعية الدولية للتوسع الاستعماري في إفريقيا عامة، والمغرب العربي خاصة؛ وتتمحور إشكالية المحاضرة:

كيف أسهم التنافس الاستعماري الأوروبي، المدعوم بالشرعية الدولية، في إخضاع بلاد المغرب العربي؟

وتسعى هذه المحاضرة إلى دراسة ظاهرة الاستعمار في بلاد المغرب الحديث، من خلال تحليل دوافعه، ومراحله..

أولًا–مفهوم الاستعمار والسياق التاريخي:

يُقصد بالاستعمار سيطرة دولة قوية على أراضي دولة أو شعب أضعف، سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، واستغلال موارده لصالح الدولة المستعمِرة. وقد ارتبط الاستعمار الحديث بتطور الرأسمالية الأوروبية، وقيام الدول القومية، وازدهار الثورة الصناعية

وقد عرف اصطلاحا بأنه ظاهرة سياسية واقتصادية وعسكرية أ ما سياسيا هو استعمار بلد من البلدان لاستغلال ما فيه من ثروات وفي معظم اللغات الغربية يعني استغلال الأرض ليس لغاية وفائدة أهلها ولكن لفائدة

الطارئينُ عليها لاستنزاف ما فيها من كنوز وخيرات ولإقامة القواعد العسكرية[1].

ويعرف الشهابي الاستعمار موافقا لما جاء في المعجم الوسيط بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة. [2]

وقد تزامن التوسع الاستعماري الأوروبي في بلاد المغرب، مع ضعف الدولة العثمانية، وتراجع البنى السياسية والاقتصادية المحلية، مما سهّل عملية التدخل الأجنبي، سواء بوسائل سلمية أو عسكرية.

ثانيا–الشرعية الدولية للتنافس الاستعماري:

ارتبط التوسع الاستعماري الأوروبي بظهور الإمبريالية، التي سعت إلى فرض السيطرة على مناطق جديدة بهدف استغلال مواردها البشرية والطبيعية. وقد تزامن ذلك مع ضعف الدولة العثمانية، التي كانت بلاد المغرب العربي تُعدّ من أطراف نفوذها الاسمي ففي سنة 1587 تحولت ليبيا وتونس والجزائر، بقرار من الباب العالي، إلى ثلاث" إيالا ت"، مدمجة في الدولة العثمانية، ثم انتزعها الاستعمار الغربي من العثمانيين بعد ذلك .وكانت المدة الإجمالية التي فقدت فيها الأقطار الثلاثة استقلالها تربو على أربعمائة عام.[3]

وهو ما فتح المجال أمام التدخل الأوروبي تحت ذرائع مختلفة وقد اعتمدت الدول الأوروبية في تنافسها على مبدأ **تقاسم مناطق النفوذ** بدل المواجهة العسكرية المباشرة، وذلك من خلال الاتفاقيات الثنائية والمؤتمرات الدولية، التي حوّلت الاستعمار إلى عملية ''قانونية'' في نظر القوى الكبرى.، التي سعت إلى بسط نفوذها خارج القارة الأوروبية، بحثًا عن الأسواق والمواد الأولية ومجالات الاستثمار.

واعتمدت الدول الأوروبية في تنافسها الاستعماري على أدوات دبلوماسية وقانونية، مثل المعاهدات والمؤتمرات الدولية، لتجنب الصدام المباشر فيما بينها، وتنظيم عملية اقتسام مناطق النفوذ. وتنظيم عملية التوسع الاستعماري. وقد أضفت هذه المؤتمرات طابعًا ''شرعيًا'' على الاستعمار، وحوّلت تقسيم إفريقيا إلى مسألة قانونية دولية.

1– المؤتمرات الدولية كآلية لتنظيم التوسع الاستعماري:

عرفت القارة الأوربية خلال القرن التاسع عشرة سلسلة من الأحداث والتطورات التي كان لها بالغ الأثر في قلب موازين القوى، أدت إلى ظهور قوى جديدة على الساحة الدولية واضمحلال وإنهيار امبراطوريات.

1 –التحالفات والمؤتمرات:

قامت الدول الأوربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر بعقد سلسلة من المؤتمرات والتحالفات كان الهدف الأول من ورائها هو الحفاظ على السلام داخل أوروبا عن طريق تسوية النزاعات بين القوى الكبرى ومن جهة البحث عن

---

(1) – عبد الوهاب بن خليف: **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دزاير إنفو، ابعزائر، 2013، ص 41

(2)– انظر: **المعجم الوسيط** (627/2)، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص (51)، محاضرات في الاستعمار، مصطفى الشهابي، ص (23).

(3)– فادية عبد العزيز القطعاني، " الحركة الوطنية المغربية 1912–1937م"، **المجلة الجامعة**، العدد16، المجلد الأول فبراير 2012

مناطق نفوذ[1]

أ- مؤتمر فيينا 1814م:وقد كان مؤتمر" فيينا "المنعقد سنة 1815 هو البداية، وقد ضم المؤتمر سبعة دول لكن أربع دول هي التي كانت سيدة القرار وهي بريطانياو النمسا وروسيا وبروسيا وفرنسا التي انضمت فيما بعد، [2].

وقد جاء مؤتمر" فيينا "للتخفيف من وقع الثورة الفرنسية المادية والمعنوية والحروب النابليونية والتي استمرت ربع قرن وكتكملة للترتيبات المتبقية عن مؤتمر" باريس الأول "المنعقد في 20 ماي 1814 كما كان مؤتمر" وستفاليا"1648 والذي أعاد تنظيم أوروبا بعد حرب الثلاثتين عام(1618-1648) .م [3]

فقد فكر المؤتمرون في اقامة جهاز دولي يكون بمثابة مجلس مديرين أوربيون لتنفيذ المعاهدات، ورد الأعمال العدوانية لأي دولة. انعقد المؤتمر من أجل وضع أسس ووسائل تسوية الأوضاع في أوربا وبشكل يضمن توازن القوى، كإعادة رسم الخارطة الأوربية، ومن أبرز ما توصل إليه المؤتمرون هو" إقامة جدار عازل من االمناطق المحيطة بفرنسا لمنع تسرب الأفكار الثورية إلى باقي أوربا"[4]

ب مؤتمر إكس لا شابيل 1818 م:لقد كان بنجاح مؤتمر" فيينا" نسبي فلم يحقق كل الأهداف المسطرة وخاصة المتعلقة بإعادة بناء أورربا من جديد، على أساس توازن القوى لذلك سعت الى عقد مؤتمر جديد ألا وهو مؤتمر" إكس لاشابيل "في 20 نوفمر1818م حيث عقد للفصل في موضوع جلاء الحلفاء من فرنسا قبل المدة المتفق عليها كالمحددة بخمس سنوات في معاهدة باريس، كما ناقش المؤتمر مجموعة من القضايا المطروحة والتي من بينها الشكاوي المقدمة من طرف بعض الدول كالدانمارك والسويد كما ناقش المؤتمر قضية بتجارة الرقيق، وأعمال القرصنة البحرية، خاصة وأن هذه النقطة أثيرت في المؤتمر السابق، لكن االمؤتمر لم يتوصل إلى حلول واكتفى بقبول التعهدات الدولية بعدم ممارسة تجارة الرقيق والعمل من أجل القضاء على القرصنة.[5]ولقد كانت انظار االمؤتمرين تتوجه نحو انشاء بعثة دولية لمراقبة السواحل التي تمارس فيها القرصنة البحرية خاصة في شمال إفريقيا، لكن الاقتراح باء بالفشل بسبب تصادم الآراء ووجهات النظر بين القوى الكبرى خاصة انجلترا وروسيا.[6]

وتعتبر قرارات مؤتمر فيينا (1815) ومؤتمر إكس لاشابل1819) القاضية بإنهاء القرصنة في البحر المتوسط، والتخلي عن سياسة الجهاد البحري، ومنع رجال البحر من المغاربة من الاحتكاك بالسفن المسيحية .وقد اذعن السلطان سليمان لقرارتها وقام ببيع سفنه إلى الجزائر وطرابلس، وجرد ما بقي منها من أدوات الحرب، كما فرض العزلة على المغرب،

---

[1]- محمد علي القوزي:**العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والدعاصر**- ، دار النهضة العربية، ط1 ، بتَيروت، لبنان،، 2002ص 50

[2]- عمر عبد العزيز عمر:**تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، 1815-1919** . د ار المعرفة الجامعية، 2000، ص33

[3] - جمال محمود حجر:**من قضايا التاريخ الأوربي في القرنين** (19-20م)، دار المعرفة الجامعية،، 2003ص101

[4] - محمد علي القوزي: **المرجع السابق**، ص50

[5] - **المرجع نفسه**، ص 50

[6] - جمال محمود:**المرجع السابق**، ص125

وحدد للتجار الأوروبيين موانئ للإقامة فيها، ومنعهم من دخول المغرب، وذلك[1]

ولتنظيم عملية التوسع الاستعماري جاءت سلسلة من المؤتمرات من أجل ذلك والتي كان من بينها مؤتمري برلين ول ومؤتمر برلين الثاني1884-1885 ، فعقب تحقيق ألمانيا لوحدتها دخلت معترك الصراع على مناطق النفوذ، وقد تم استغلال مجموعة من الأوضاع والظروف داخل القارة الأوربية لتحمل راية السلم، حيث أستغل المستشار الالماني" بسمارك" اشتداد التنافس بين القوى الاوروبية والنزاعات الداخلية والتي كانت بمثابة الشرارة الاولى للتكالب الاستعماري وهي أزمة البلقان للدعوة الى عقد مؤبتمر برلين الاول1878 الذي كان لها عدة تأثيرات على القارة الاوربية والدولة العثمانية والعالم أجمع.

ليأتي وفي مرحلة ثانية مؤسس برلين الثاني 1884-1885 والذي يعد نقطة مهمة في الصراع الاستعماري على القارة الافريقية عامة والمغرب العربي بالخصوص فقد وضع أسس تقسيم القارة، كما يعد اعتِّراف دولي أعطى الصبغة الشرعية للحركة الاستعمارية، حيث تم عقد المؤتمر في مدينة برلين الالالمانية دون حضور بممثلي القارة الافريقية، فقد كانت النية مبيتة حول مواقف القول الاستعمارية. ويمكن تلخيص نتائج المؤتمرين فيما يلي:

1- .مؤتمر برلين الأول (1878):انعقد مؤتمر برلين الأول في سياق تسوية نتائج الحرب الروسية—العثمانية، وكان مرتبطًا بالمسألة الشرقية. ورغم أن إفريقيا لم تكن موضوعه الرئيسي، إلا أن:

- نتائجه شجعت على تسريع التوسع الاستعماري.
- كشف ضعف الدولة العثمانية.
- مهّد الطريق للتكالب الأوروبي على ممتلكاتها، بما فيها شمال إفريقيا.

.3مؤتمر برلين الثاني) 1884–1885(يُعد مؤتمر برلين الثاني نقطة تحول حاسمة في تاريخ الاستعمار، إذ:

- نظم عملية تقسيم القارة الإفريقية.
- أقر مبدأ ‘‘الاحتلال الفعلي.’’
- منح الشرعية الدولية للاستعمار.
- تجاهل كليًا الشعوب الإفريقية والعربية.

وقد انعكست مقرراته مباشرة على المغرب العربي، حيث تسارع إخضاع تونس، وتكريس الاحتلال في الجزائر، والتمهيد لفرض الحماية على المغرب[*]، ثم احتلال ليبيا لاحقًا.

---

[1]- فادية عبد العزيز القطعاني، " الحركة الوطنية المغربية 1912-1937م"، **المجلة الجامعة**، العدد16، المجلد الأول فبراير 2012، ص 33-

(*)- 1860كما سنرى -حدث تطور في العلاقات الأوروبية المغربية، -حرب تطوان1859 وصار في استطاعة أي جيش أوروبي، مهما كانت قوته، أن يتوغل في قلب المغرب، دون أن يجد من يصده، إلا بتهديد من دولة أوروبية أخرى، كما سبق أن رأينا تهديد إنجلترا لفرنسا .ومع ذلك فقد كانت المؤشرات تشير إلى أن فرنسا هي المرشحة الأكثر حظاً في احتلال المغرب،

نائب منطقة وهران في، Eugene Etienneوذلك بحسب ما ورد على لسان أوجين إتيان البرلمان الفرنسي، حين قال" :إن لفرنسا في المغرب حقوقاً وواجبات

ثالثا – دوافع الاستعمار الأوروبي لبلاد المغرب

رغم أن الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا، بدأ في القرن15 إلا أنه خلال النصف الثاني من القرن 19 وأوائل القرن 20 م تجددت النزعة الاستعمارية واشتد المد الاستعماري بدرجة واسعة لعدة اعتبارات وأسباب منها:

أ–الدوافع الاستراتجية: حيث احتلت بلاد المغرب العربي موقعًا بالغ الأهمية في الحسابات الاستعمارية الأوروبية، نظرًا إلى:

- إشرافها على البحر الأبيض المتوسط.
- تحكمها في مضيق جبل طارق.
- قربها الجغرافي من السواحل الأوروبية.

وقد جعل هذا الموقع من المنطقة نقطة ارتكاز لحماية الطرق التجارية، وتأمين المصالح البحرية، ومنع المنافسين من السيطرة عليها

ب– الدوافع الاقتصادية:

ارتبط الاستعمار الأوروبي الحديث أساسا بالثورة الصناعية التي غيرت وجه العالم في ظل تزايد الصناعة والإنتاج الصناعي مما نتج عنه حاجة الدول الأوروبية للأسواق لتصريف فائض المنتوجات خارج القارة الأوروبية، كظهور طبقة جديدة من الرأسماليين الذين عملوا على استثمار رؤوس أموالهم في البلاد االمتخلفة كما يدعون، كإنشاء السكك الحديدية وناء االمصارف، وظهرت اابالحاجة لتسويق وتصدير السلع والمنتجات إلى مناطق خارج أوروبا وما وراء البحار[1]

ج – الدوافع السياسية:

و تتمثل في تنافس الدول الأوربية على توسيع ممتلكاتها فيما وراء البحار لتدعيم نفوذها الدولي وإنشاء إمبراطوريات تسعى وترضى بالنزاعات الاستعمارية، خاصة الدول القومية الجديدة التي ظهرت في ميدان الاستعمار كإيطاليا وألماانيا كما أدى ظهور طبقة من السياسيين وكبار الموظفين لزيادة الأمر، خطورة الذين راو في الاستعمار وسيلة لبرير وزيادة نفوذهم والذين ساهموا في دفع دولهم للاستعمار وتأثير بعض المغامرين الذين يذهبون لمناطق نائية وإغراء سكانها بدا في بلدانهم

تفوق ما لغيرها من الدول الأخرى، وإن الأساس الأول لحقوقنا هو الجزائر، فالجزائر قادتنا إلى تونس، وينبغي أن تقودنا إلى المغرب .وهذا ما يسمح لفرنسا بأن تبسط نفوذها على الزاوية الغربية من الشريط الساحلي الجنوبي للبحر المتوسط .ومن الجانب التجاري، جعل المجهود الفرنسي منطقة وهران مستودعاً للبضائع الفرنسية الموجهة للمغرب، مع ربط المنطقة بالموانئ الفرنسية، وخاصة مدينة مرسيليا لقد مثلت هزيمة إيسلي نقطة مفصلية في تاريخ المغرب، فبسببها دخل المغرب في نفق التنازلات وضياع الهيبة .وهذا ما حدث عندما وقع صدام بين المغاربة والأسبان في مدينة سبتةاحتلال المغرب الأقصى:عرف المغرب مرحلة جديدة من التدخل الأوروبي بعد هزيمته في إيسلي1844 ، وفي 27نونبر1912: اكرويض حسن، "توقيع معاهدة التقسيم الاستعماري بين فرنسا واسبانيا حصلت بموجبه اسبانيا على نفوذ بالمنطقة الشمالية، **مجلة الأرض والحياة**.عدد 23 /ماي 1996/يوليو 27، 2013

[1] – عبد العزيز سليمان نوار، عبد العزيز النعينعي: **تاريخ أوروبا المعاصرة من الثورة الفرنسية إلى غاية الحرب العالمية الثانية** ببيروت لبنان،.ص 307

من رخاء الذي يمكن الحصول عليه من وراء الاستعمار وبسط نفوذهم على هذه الدول[1]..

د – الدوافع العسكرية:

لقدعرفت الأساليب العسكرية تطورا كبتًا حيث استخدمت في االحرب البرية والبحرية كالسكك الحديدية وظهور البواخر المحملة بالمدفعية التي كانت تقوم بقصف الموانئ وشهدت دول الشرق ضعفا كبيرا في هذا المجال مما ساعد على نجاح الحركة الاستعمارية، بالإضافة للبحث عن قواعد لتزويد بواخرها بالوقود، لذلك اتجهت الدول الأوروبية للسيطرة على المناطق الاستراتيجية من أجل إنشاء قواعد عسكرية على أراضيها، ومثال ذلك سيطرة بريطانيا على المراكز والمناطق الواقعة على طول الطريق المؤدية إلى الهند [2]

هـ – الدوافع الحضارية:

كانت سببا قويا في التوسعات الأوربية إذ ادعت أوروبا إنها حاملة رسالة حضارية نبيلة وإنسانية تؤديها نحو العالم بالقضاء على العبودية وتجارة الرقيق في إفريقيا وبتحسين مستوى الشعوب القديمة، وأيد وهذا الاتجاه الديمقراطي الذي نادوا بتفوق الرجل الأبيض وأشادوا بالحركة الاستعمارية كما هو حال المستعمر الفرنسي في الجزائر الذي زعم نشر الحضارة من خلال رسالة أليكسيس دوت كوفيل، الذي قال:"عندما... يكون قد تعرفنا على اللغة والأحكا م المسبقة وتقاليد. .العرب وبعدما نكون قد ورثنا احتًرام الرجال. ..يكون متاحا لنا أن نعود شيئا فشيئا إلى عاداتنا "[3]

و– الدوافع دينية:

اتخذت الدول الأوروبية من الدين كذريعة للتوسع والتوغل في إفريقيا وآسيا بدعوى نشر المسيحية في المستعمرات وبذلك قاموا بتحقيق أطماع المستعمرين ودولهم، وكانت البعثات التبشترية تحصل على المساعدات والإرشادات من الدول الاستعمارية والشركات التجارية والرأس مالين الصناعين، كما اتخذ المبشرون من الطب والتعليم وسيلة لنشر التوسع[4]

رابعا– مراحل التغلغل الاستعماري في بلاد المغرب

1–مرحلة الاتصال والتبادل التجاري

تميزت هذه المرحلة بتكثيف العلاقات التجارية، ومنح الامتيازات للأوروبيين، وفتح الموانئ أمام الشركات الأجنبية، مما أدى إلى اختلال التوازن الاقتصادي.

2–مرحلة الضغط السياسي والدبلوماسي

- فرض المعاهدات غير المتكافئة.
- التدخل في الشؤون الداخلية.
- استغلال الديون كوسيلة للهيمنة.

---

(1) – إياد علي االهاشمي: **تاريخ أوربا الحديث**، ط1 ، دار الفكر عمان، الأردن2010 ،، ص198

(2) – عبد العزيز سليمان، نوار وعبد العزيز النعينعي: **المرجع السابق**، ص310

(3) – العزيز سليمان نوار، عبد العزيز النعينعي: **المرجع السابق**، ص310

(4) – عبد العزيز زوزو: **تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا وآسيا**، ديوان لمطبوعات االجامعية، الجزائر، 2009، ص.22

3- .مرحلة الاحتلال العسكري المباشر:

- التنافس الإيطالي والإسباني حيث سعت إيطاليا لإثبات وجودها الاستعماري باحتلال ليبيا سنة 1911.

-إسبانيا ركزت على مناطق في شمال المغرب:.

-الجزائر سنة 1830.

-تونس سنة 1881.

المغرب: على الرغم أن المغرب ظل وحدة مستقلة في المنطقة، ولكن تحت جدلية السلام والحرب أحياناً ضد العثمانيين، إما دفاعاً عن وحدة ترابه، أو ضد الاستعمار الغربي، دفاعاً عن استقلاله .وهكذا لم يعرف المغرب بدوره تجربة الاحتلال الأجنبي إلا متأخراً في بدايات القرن العشرين، فقد كان مثارا للأطماع العديدة والمنازعات من أجل بسط النفوذ على هذه الرقعة جغرافياً[1]، حيث دخل المغرب الأقصى منذ القرن 17 في سلسلة من المعاهدات كان المخزن يتصور أنها كفيلة بتأمين استقلاله، في حين أن كل معاهدة منها كانت تدفع به خطوة الأمام نحو الهاوية، ليجد نفسه في 30 مارس 1912، وقد فقد كل قدرة على المناورة، ليوقع وثيقة تجرد المغرب من استقلاله ليدخل بدلك ضمن عالم المستعمرات والمحميات الأوروبية والبريطانية [2].

خامسا-أشكال الاستعمار في بلاد المغرب

اتخذ الاستعمار في المغرب العربي أشكالًا مختلفة:

1- الاستعمار الاستيطاني :كما في الجزائر، حيث تم جلب المستوطنين الأوروبيين ومصادرة الأراضي، حيث صودرت الأراضي واستُجلب المستوطنون. احتلال الجزائر سنة 1830 كنقطة انطلاق.

ففي عام 1827م أعلن الملك شارل العاشر اعتزام فرنسا إنشاء مستعمرة ذات شأن في شمال أفريقيا، وزحفت الجيوش الفرنسية لاحتلال الجزائر عام 1830م، حيث يقول الجنرال الفرنسي بهذا الشان: " إن رجاله وجدوا التسلية في جز رقاب المواطنين من رجال القبائل الثائرة في بلدتي الحواش وبورقيبه "، ويخط الماريشال سانت أرنو إلى زوجته بعض ما صنعه وجنوده في الجزائر فيقول: " إن بلاد بني منصر بديعة، وهي من أجمل ما رأيت في أفريقيا، فقُراها متقاربة، وأهلها متحابون، لقد أحرقنا فيها كل شيء، ودمرنا كل شيء... أكتب إليك يحيط بي أفق من النيران والدخان، لقد تركتني عند قبيلة البزار فأحرقتهم جميعاً، ونشرت حولهم الخراب، وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق أوسع "..كما يقول مونتياك في كتابه " رسائل جندي " وهو يصف إحدى المذابح التي حضرها: "لقد كانت مذبحة شنيعة حقاً، كانت المساكن والخيام في الميادين والشوارع والأفنية التي انتشرت عليها الجثث في كل مكان، وقد أحصينا في جو

---

[1] - فادية عبد العزيز القطعاني، " الحركة الوطنية المغربية 1912-1937م"، **المجلة الجامعة**، العدد16، المجلد الأول فبراير 2012، ص 33-

[2] -ألبير عياش:المغرب والاستعمار **حصيلة السيطرة الفرنسية**.ترجمة عبد القادر الشاوي ونورالدين سعودي.مراجعة وتقديم إدريس بن سعيد وعبد الأحد السبتي.سلسلة معرفة الممارسة.دار الخطابي للطباعة والنشر.الطبعة الأولى.ابريل 1985

هادئ بعد الاستيلاء على المدينة عدد القتلى من النساء والأطفال فألفيناهم ألفين وثلاثمائة، وأما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر لسبب هو أننا لم نترك جرحاهم على قيد الحياة ".

وقد بلغ عدد القتلى في مدينة سطيف في مايو 1945م ما يقرب الأربعين ألفاً.

ويعبر الكونت هيريسيون على هذه القبائح التي لا مبرر لها فيقول: " فظائع لا مثيل لها، أوامر الشنق تصدر من نفوس كالصخر يقوم بتنفيذها جلادون قلوبهم كالحجر... في أناس مساكين جُلُّ ذنبهم أنهم لايستطيعون إرشادنا إلى ما نطلب إليهم أن يرشدونا إليه ".

- وقد تفنن المستعمرون في طرق إبادة هذه الشعوب، ومما أبدعوه في هذا الباب طريقة يسمونها "جهنم" حيث يتبع الجنود الهاربين من النساء والأطفال والرجال إلى الكهوف فيشعلون عند باب الكهف ناراً عظيمة، فيموت من بداخله حرقاً أو خنقاً ". [1]

2-نظام الحماية :في تونس والمغرب:

. فمن أشكال الاستعمار أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما يتناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبه سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون تديرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار.

1.2-فرض الحماية على تونس سنة 1881:حيث وقعتا معا معاهدة حماية في 1881/5/12م، ثم جددت في 1883/6/8م، وبموجب بنود هذه الحماية فقدت تونس سيادتها الخارجية وحقها في التمثيل الدبلوماسي المستقل، كما سلبت حق إبرام المعاهدات الخارجية، وعينت فرنسا آلاف الموظفين يرعون مصالحها يرأسهم المقيم العام. وما حصل في تونس كررته فرنسا في مراكش بموجب معاهدة 1912/3/30م وفعله الإنجليز في مصر خلال احتلالهم لها بين عام 1914 - 1922م. [2]

3-الاستعمار العسكري المباشر :في ليبيا 1911، مع قمع شديد للمقاومة.

خاتمة:

---

[1]- انظر هذه الفظائع وغيرها: ينظر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، **الاستعمار**. ص 175.

[2]- لمزيد من التفاصيل ينظر مصطفى الشهابي، **محاضرات في الاستعمار**، ص-ص 15 – **20**.

يتضح أن التنافس الاستعماري على بلاد المغرب العربي لم يكن وليد الصدفة، بل نتيجة تفاعل عوامل اقتصادية وسياسية دولية، استُخدمت فيها المؤتمرات الدولية، خاصة مؤتمَري برلين واكس لاشابيل، لإضفاء الشرعية على الاستعمار، حيث شكّل الاستعمار في بلاد المغرب الحديث مرحلة قاسية من تاريخ المنطقة،، وتبقى دراسة هذه المرحلة ضرورية لفهم التحولات السياسية والاجتماعية التي عرفتها بلدان المغرب العربي.

خاتمة

من خلال ما تم عرضه نخلص الى النتائج التالية:

يمثل تاريخ المغرب العربي فضاء لإعادة القراءة والفهم، وتعتبر الفترة بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر مرحلة مفصلية في تاريخ المنطقة المغاربية، اتسمت بتشابك التحولات الداخلية مع المتغيرات الإقليمية والدولية، وبانتقال المغرب الإسلامي من موقع الفاعل المؤثر في المجال المتوسطي إلى وضعية التراجع النسبي أمام صعود القوى الأوروبية الحديثة خاصة اسبانيا والبرتغال.

فقد شهدت هذه المرحلة إعادة تشكّل أنماط الحكم وبُنى الدولة، في ظل توسع النفوذ العثماني في الجزائر وتونس وطرابلس، مقابل حفاظ المغرب الأقصى على استقلاله السياسي في ظل الحكم السعدي والعلوي، وهو ما أفرز تباينًا في النظم الإدارية والعسكرية وأساليب تسيير المجال والمجتمع.

وخلصنا من خلال الدراسة المعمقة لهذه الفترة أن الدولة المغاربية لم تكن كيانًا جامدًا أو معزولًا، بل عرفت دينامية داخلية تمثلت في محاولات مستمرة لبسط السلطة المركزية سواء العثمانية في المغرب الأدنى تونس وطرابلس بمختلف أشكاله سواء الحكم المباشر أو من خلال حكم الاسرة المرادية والحسينية في تونس والاسرة القرمنلية في طرابلس الغرب، وكذلك حكم الدولة السعدية و العلوية بالمغرب الأقصى من خلال ضبط المجال الجبائي والعسكري، وتنظيم العلاقات مع القوى المحلية من قبائل وزوايا وحواضر حضرية، كما لعبت المؤسسات الدينية والعلمية، وعلى رأسها الزوايا والعلماء، دورًا محوريًا في تحقيق التوازن الاجتماعي، وتأطير المجتمع، والحفاظ على المرجعية الدينية والثقافية في ظل الأزمات السياسية والاقتصادية التي مرت به المغارب خلال هده الفترة.

أما على الصعيد الاقتصادي، فقد أبرزت هذه المرحلة حدود الاقتصاد التقليدي القائم على الفلاحة والتجارة، وتأثره بالتقلبات المناخية والأوبئة والاضطرابات الأمنية، إلى جانب اختلال ميزان المبادلات التجارية مع أوروبا منذ القرن الثامن عشر، وقد أدى هذا الوضع إلى تزايد التبعية الاقتصادية، وتراجع الموارد المالية للدولة، مما انعكس سلبًا على قدرتها في تحديث مؤسساتها العسكرية والإدارية، وعمّق الفجوة بينها وبين الدول الأوروبية التي دخلت مرحلة الثورة الصناعية وتسببت في تكالب هذه الأخير في الحصول على الامتيازات لسيطرة على مختلف المولية الأولية و احتكارها.

أما في المجال الاجتماعي والثقافي، فقد أبان المجتمع المغاربي عن قدرة واضحة على التكيّف والمقاومة، سواء عبر التضامن الاجتماعي، أو من خلال أشكال الرفض الشعبي للتدخل الأجنبي، وهو ما تجسد لاحقًا في الحركات الإصلاحية والمقاومات المسلحة خلال القرن التاسع عشر، كما حافظت الحواضر العلمية على استمرارية النشاط الثقافي والفكري، رغم مظاهر الجمود النسبي، وأسهمت في نقل المعرفة وتشكيل النخب التي لعبت دورًا بارزًا في الحياة السياسية والاجتماعية.

ومن هذا المنطلق، فإن دراسة تاريخ المغرب خلال هذه الفترة لا تقتصر على رصد مظاهر الضعف والانحطاط، بل تقتضي فهم البُنى العميقة التي حكمت تطور الدولة والمجتمع، وتحليل تفاعل العوامل الداخلية مع الضغوط الخارجية. كما تتيح للطالب إدراك أن الاستعمار الأوروبي لم يكن حدثًا مفاجئًا، بل نتيجة مسار تاريخي طويل من التحولات والاختلالات البنيوية.

وبذلك، يشكل هذا المقياس إطارًا معرفيًا ومنهجيًا أساسيًا لفهم تاريخ المغرب الحديث، ويساعد على بناء رؤية نقدية للتاريخ، تتجاوز السرد الوصفي إلى التحليل والتفسير، وتُسهم في ترسيخ الوعي التاريخي لدى الطالب، وتمكينه من استيعاب إشكالات الدولة والمجتمع في المغرب الإسلامي خلال المرحلة الحديثة.

وقد توصلنا الى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

* ارتباط التطورات التي عرفتها شمال افريقيا بشكل وثيق بسقوط غرناطة واضطرار الالاف من مسلمي الاندلس الى الهجرة لبدان المغرب العربي ما كان سببا في ظهور حركة المقاومة وتوجيه حملات لإنقاذ المضطهدين من أهالي الاندلس الذين كانوا يتعرضون لشتى الاضطهاد الديني.

*كانت تلك الأسباب الرئيسية التي شجعت البحارة العثمانيين للتوجه إ لى غرب المتوسط بغية المساهمة في الدفاع عن إخوانهم ويعد الاخوة بربروس من أشهرهم والذين عرفتهم المنطقة المغاربية وكان بروزهم في سواحل شمال افريقيا نقطة تحول في تاريخ المنطقة.

* استغلال الاسبان ضعف الدولة الزيانية والحفصية والمرينية وعجزها عن بسط نفوذ ها في المناطق التي كانت تابعة لهم فقاموا باحتلال وإخضاع جميع المدن الساحلية تقريبا.

*استناد الاحتلال الاسباني للسواحل المغاربية إلى جملة من الأسباب الدينية والسياسية والأمنية والاقتصادية فكان طرد المسلمين من الأندلس واحتلال سواحل المنطقة المغاربية أحد اهم أولويات السياسة الخارجية لإسبانيا.

* ارتباط الوجود العثماني في شمال افريقيا والبحر المتوسط بالتحرشات الاسبانية والبرتغالية على السواحل المغاربية

* استقلالية المغرب الأقصى خلال هده الفترة في ظل حكم الدولة السعدية والعلوية التي لازالت مستمرة حتى يومنا هدا رغم الصراعات الخارجية مع الدولة العثمانية وكذلك الأوربية.

* عرفت الدول المغاربية كقوة سياسية واقتصادية سيطرت على البحر المتوسط والطرق التجارية في كثير من الفترات.

*استمرارية الروابط الثقافية واللغوية بين الأقطار

.– كان للعوامل الخارجية، خاصة التوسع الأوروبي والعلاقات مع الدولة العثمانية، وأيضا الصراعات الداخلية وتراجع قوة الدولة العثمانية عامل حاسم في تشكيل المسار التاريخي للدول المغاربية ووقوعها تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية والبريطانية خلال القرن التاسع عشر.

.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (د.س

2. إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج2، دار الرشاد الحديثة، 2000/1420، .

3. إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ط2، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1994،

4. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، **من بداية المرنيين الى نهاية السعديين**، ج2، دار النشر دار الرشاد الحديثة، 2000،

5. ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972.

6. ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**، تق:هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، القاهرة، 2001، .

7. ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح:محمد مكي، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.س).

8. ابن تاريت الطبنجي، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951.

9. ابن حزم الأندلسي، **جمهرة الأنساب العرب**، عبد السلام محمد هارون، ط3، دار المعارف، مصر، 1971.

10. ابن حيان القرطبي، **المقتبس في بلد الاندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ج4، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت 2016..

11. ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج1، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط 3، بيروت 1983.

12. ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الحفصية**، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التراي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، .

13. ابو الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق: يحي بوعزيز، ج1، ط1، (1990م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت

14. أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج9، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003/1423، ..

15. أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الاعشى في صناعة الإنشاء**، ج5، دار الكتاب المصرية 1919.

16. ابو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء1954

17. ابو الفاسم يعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الاسلامي ط 1، بيروت 1998.

18. أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح: عبد الكريم الفيلالي، ط2 دار الشر المعرفة، الرباط، 1991.

19. أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تح: رشيد الزاوية، الدار البيضاء، الرباط، 2007.

20. أبو بكر بن علي الصنهاجي **البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1971.

21. أبو راس ا لناصري، **فتح الإله ومتنه في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبو راس الذاتية والعلمية**"، تح وتع : محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 الجزائر.

22. أبو راس الناصري، **نبأ الإيمان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، تق وتح :بن عمر حمدادو، تونس، 2012،

23. أبو عبد ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1960.

24. -أبو عبد الله إبن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، ط3، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1993، .

25. أبو عبد الله الأنصاري ابن الرصاع، **فهرسة الرصاع**، تح:محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.

26. أبو عبد الله محمد ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: ابن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، .

27. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح:محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966

28. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، دار الكتاب العربية، تونس 1984.

29. أبو محمد التجاني، **رحلة التجاني**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981.

30. ابي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل ليدن 1927.

31. أبي عبد الله الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح:محمد ماضوي، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

32. ابي عبد الله محمد بن محمد الاندلسي:، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق: محمد حبيب العميلة، ج2، دار الكتاب الشرقية، تونس، 1973 م، .

33. أحمد ابن أبي الضياف، **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس عهد الأمان**، الدار العربية للكتاب تونس 1999.

34. احمد اسماعيل راشد، **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية بيروت 2004

35. أحمد الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ط1 مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ، .1905م

36. أحمد الطويلي، **تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ط1، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2002، .

37. أحمد العزاوي، **الرسائل الموحدية**، ج1، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، المغرب، 1995.

38. أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج6، تح:إحسان عناس، دار بيروت، لبنان، 1988.

39. احمد بابا **التنبكتي**، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 2دار الكتاب، طرابلس 2000

40. أحمد بك النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، (د.ط)، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.س)،

41. أحمد بلعراف التكني، **إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط** تج وتع: الهادي المبروك الدالي ط1، طرابلس 2001

42. أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الاستقصاء ء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة، الدار البيضاء، الرباط، 2001، .

43. أحمد بن عامر، تونس عبر التاريخ من أقدم العصور إلى اعلان الجمهورية، ط1، تونس، 1960.

44. احمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492_1792**، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، .

45. أحمد توفيق المدني، **دخائر المغرب العربي**، دار النفائس ط1، الاردن2001.

46. أحمد توفيق، **المغرب والعالم الإسلامي في العصر الحديث**، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989.

47. أحمد زكرياء الشلق، **العرب والدول العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 – 1916**، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2002.

48. أحمد سالم، **استراتجية الفتح العثماني**، ماجستير في التاريخ كلية الاداب جامعة الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2012.

49. أحمد مختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر2008

50. اخمد شلبي، **موسوعة التاريخ الاسلامي**، جامعة القاهرة، ط7 1914

51. أسعد حومد، **مجلة العرب في الاندلس**، ط2، المؤسسة العربية للطابعة والنشر، بيروت، 1988.

52. إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**.، ط1 العبيكان للنشر السعودية 1997.

53. اسماعيل العربي، **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

54. ألبير عياش:المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية.ترجمة عبد القادر الشاوي ونورالدين سعودي.مراجعة وتقديم إدريس بن سعيد وعبد الأحد السبتي.سلسلة معرفة الممارسة.دار الخطابي للطباعة والنشر.الطبعة الأولى.ابريل 1985

55. امال مسهل، **حمودة باشا الحسيني ودوره في بعث الوطنية التونسية 1782_1814**، 2016.

56. انتوري روسي، **ليبيا من الفتح العثماني حتى 1911**، ط2، الدار االعربية للكتاب 1991م،

57. أندريه بيسونال، **الرحلة إلى تونس 1724**، تر: محمد السنوسي، شاطرن مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، .

58. أنطونيو دومينيغيث أورتيث وبيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، ط1، تر: محمد بنيابة، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2013،

59. إياد علي االهاشمي: **تاريخ أوربا الحديث**، ط1 ، دار الفكر عمان، الأردن2010 ، .

60. البارون ألفونصو روسو، **الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تح وتر محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي (د.ت) .

61. بحري احمد، **الجزائر في عهد الدايات، دراسة الحياة الاجتماعية ابان الحقبة العثمانية**، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013.

62. .بغداد خلوفي، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، مطبوعة أكاديمية موجهة الى طلبة سنة ثانية ماسنر، الجزائر 2015، 2016.

63. بفايفر اسيمون: **لمحة تاريخية عن الجزائر مذكرات سمون بفايف** تقديم وتعريب، أبو العيد الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر.

64. بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

65. التليسي خليفة محمد، **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، الدار العربية للكتاب الإسكندرية ،1999التوزيع، الجزائر.1974

66. توفيق البرشوش، **جمهورية الدايات في تونس 1675 – 1591 م**، مجموعة أيام الناس، (د.ت)،

67. توفيق علي _**العرب والاتراك** دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1975.

68. ج أوهابنسترايت، **رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1445هـ–1732)**، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013.

69. جلال يحي، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د:ط، 1999م،

70. جمال بن طاهر، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي 2003.

71. جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1830 – 1619)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

72. جمال محمود حجر،:**من قضايا التاريخ الأوربي في القرنين** (19–20م)، دار المعرفة الجامعية.، 2003

73. جون لوي ميج وآخرون، **تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية**، تر: مصطفى غطيس، ط1، (د.ن)، طنجة، المغرب، 2002.

74. جون وولف، **الجزائر واروبا 1500_1830**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

75. حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حققه اكمال الدين احسان اوغلي وبشار عواد معروف، دار النشر الفرقان للتراث الإسلامي ط1، لندن 2021..

76. الحاج ابن الدين الأغواطي، **رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال أفريقيا والسودان والدرعية**، تر وتح :أبوال قاسم سعد الله، المعرفة الدولية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

77. الحبيب ثامر، **هذه تونس**، (د.ط)، مطبعة الرسالة، مكتب المغرب العربي، (د.م)، (د.س)، .

78. حسن الحلاق، عباس صباغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية والأصول العربية والفارسية والتركية**، ط1، دار العالم للعالمين، بيروت، لبنان، 1999.

79. حسن حسبن عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط3 دار الكتي العربية الشرقية، تونس1954، .

80. حسن علي الشطاط، **نهاية الوجود العربي في الاندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

81. الحسين بن محمد الورتلاني، **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار**، تحقيق محمد أبي شنب، مج2 ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.

82. الحسين بوالقطيب، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.س).

83. حسين خوجة، **ذيل أهل الإيمان بفنوحات آل عثمان**، تح:الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975،

84. حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الاسلام**، الزهراء للاعلام العربي ط 1، القاهرة، مصر 1987.

85. حسين مؤنس، **تاريخ المسلمين في البحر المتوسط (الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية)**، الدار المصرية اللبنانية، ط، 1991، –

86. حسين مؤنس، ***تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي الى الغزو الفرنسي***، *العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت 1992* ،

87. حلمي محروس إسماعيل: **تاريخ العرب الحديث – من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى** –، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997 م..

88. حمدان بن عثمان خوجة: **المراة تحقيق محمد العربي الزبيري**، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر___.1980

89. حمودة بن عبد العزيز، **الكتاب الباشي**، قسم السيرة، ج1 ، تحقيق :محمد ماضود، الدار التونسية للنشر، تونس، د:ط، 1970. توفيق علي _العرب والأت ا رك دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1975.

90. خليفة شاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ**، ج3، مكتبة الجامعة، تونس، 2005، .

91. خير الدين التونسي :**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تقديم محمد الحداد، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ط1، 2012.

92. خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر :محمد دراج، ط1 ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

93. خير الدين شترة، **الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني**، المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج 1، دار النشر وزارة الشؤون الدينية والاوقاف. الجزائر 2011.

94. دلندة الارقش، عبد الحميد الارقش، جمال بن طاهر، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي 2003

95. رابحة محمد خيضر، "دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1500م "، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، ع2، جامعة الموصل 23-24. ماي 2007 .

96. رأفت الشيخ: **تاريخ العرب الحديث**، عن الدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، 2005

97. رشاد إمام، **سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)**، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980:.

98. رضا بن رجب، **يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1655_1857)**، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2010.

99. الرقيق القيرواني، **تاريخ افريقية والمغرب**، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، 1994..

100. روبير بريشفيك، **تاريخ افريقيا في العهد الحفصي من القرن 14 إلى نهاية القرن 15م**، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1988.

101. روجيه إديس، **الدولة الصنهاجية**، ج2، تر:حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، .

102. روجيه لي تورنو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، الدار العربية للكتاب، طرابلس، (د.س)،

103. زين العابدين شمس الدين نجم، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار العسيرةط1، عمان 2011م/1432هـ، .

104. سالم أبو القاسم محمد غومة، **تاريخ المغرب وحضارته**، ط1، دار الفكر العربي، ليبيا، 2014.

105. السعيد بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، ج1، (د.ط)، مطبعة فضالة، المغرب، 1996.

106. سيدي علي حرازم بن العربي برادة الفاسي، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمان، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971..

107.شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية، تونس الجزائر المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م**، تح: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

108.شارل بيكار جيلبار، مكثر **عبر التاريخ (1705-1755)**، تعريب **عبد المجيد** بن عمر العياري ج2، اثار وحضارة شركة فنون الرسم ونشر والصحافة 1997 صفاقص تونس

109.شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تر: وتحق: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994.

110.شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، ج1، دار صادر بيروت، لبنان، 1977،

111. شوقي الجمل، **المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي إلى الوقت الحاضر**، ط2، المكتب المصري، القاهرة، 2003.

112.شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)**، ج10، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995...

113.صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، .

114.صالح فركوس، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقيين الى خروج الفرنسيين**، .. ط1 دار العلوم، 2002

115.صالح فركوس، **تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينقي الى نهاية الدولة الزيانية**، ايدكوم للنشر والتوزيع الجزائر 2013.

116.الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد تركي**، تح: أحمد الطويلي، مج1، ط1، تونس، 1998.

117.صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**، مكتبة الانجلو المصرية، ط6، نصر 1993

118.الطاهر أحمد مكي، **دراسات اندلسية**، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987.

119.الطاهر الزاوي، **ليبيا من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي**، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت 1970.

120.عامر احمد عبد الله حسن، **دولة بني مرين تاريخها وسياسته تجاه مملكة غرناطة الاندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا** دار الفكر، دمشق 2009، .

121.العباس ابن إبراهيم **السملالي، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الإعلام**، مراجعة:عبد الوهاب بن منصور، ط2، ج8، المطبعة الملكية، الرباط، 1993..

122.عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، **تاريخ السودان**، ترجمة هوداس باريس، مطبعة برادين 1981

123.عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي** . تقديم روبان منتران، الدار التونسية للنشر ط1، 1972 تونس..

124.عبد الجليل التميمي، **دراسات في التاريخ العربي العثماني، مركز الباحثين والدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق، ط1، 1994 تونس**

125.عبد الجليل قريان، **التعليم في تلمسان في العهد الزياني**، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011..

126.عبد الحميد البطريق، **تيارات سياسية المعاصرة _1815/ 1960**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974

127.عبد الحميد حاجيات، **أبو مو موسى الزياني حياته وآثاره**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

128.عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية**، دار تير الزمان ط2، تونس 2016.

129.عبد الحي الكتاني، **التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والعملية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية**، المطبعة الأهلية، الرباط، المغرب، 1346، .

130.عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، (د.ط)، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.

131.عبد الرحمان ابن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، (د.ط)، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1937..

132.عبد الرحمان الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق :عبد الرحيم عبد الرحمن، ج3 ، دار الكتب

133.عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، .2005.

134.عبد الرحمان محمد ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق درويش الجويدي، ط2 المكتبة العصرية ،. بيروت 1996.

135.عبد الرحمن جيلالي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، ج3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983،

136.عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق :أحمد السعيد سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

137.عبد الرحمن الغافقي، ***تاريخ الأندلس: من الفتح إلى السقوط***، القاهرة: دار الفكر العربي، 1975،

138.عبد الرزاق وآخرون، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2002

139.عبد العزيز الشناوي: **الدولة العثماني دولة الإسلام المفترى عليها**، مكتبة الإنجلو مصرية، ط2، القاهرة، 1986 م.

140. عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

141.عبد العزيز الدولاتي، **مدينة تونس في العهد الحفصي**، دار سراس للنشر، تونس، 1981.

142.عبد العزيز زوزو: **تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا وآسيا**، ديوان لمطبوعات االجامعية، الجزائر. 2009

143.عبد العزيز سليمان نوار، عبد العزيز النعينعي: **تاريخ أوروبا المعاصرة من الثورة الفرنسية إلى غاية الحرب العالمية الثانية دار النهضة العربية ط، 1** ببيروت لبنان 2014، .

144.عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، .

145.عبد الفتاح حسن ابو عبلة، **تاريخ اروبا الحديث والمعاصر**، ج1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2011.

146.عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، ج 3،ج5،ج6 ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994..

147.عبد القادر حلمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، الجزائر، 1972،

148.عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، العهد التركي في تونس والجزائر**، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2005، .

149.عبد الكريم الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج3، شركة ناس الطابعة ط1، القاهرة، 2006، .

150.عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، جمعية المواغين المغاربة، الرباط، 2006...

151.عبد الكريم محمود غرايبة، **تاريخ العرب الحديث** دار لأهلية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.1984

152. عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ط 5 المركز الثقافي العربي، بيروت 1996

153.عبد الله القاسمي، ***سقوط غرناطة والنهضة الإسبانية***، بيروت: دار المعارف، 1985

154.عبد الله عبد الرزاق وآخرون، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2002.

155.عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، دار الكتب العلمية ط3 بيروت 1975

156.عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، **تراجم أعلام توات** د.م، 2013

157.عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، **حياته وآرائه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

158.عبد المجيد قدور، **مسيرة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، مكتبة اقرا ط1، الجزائر 2014.

159.عبد المنعم إبراهيم الجميعي، **موسوعة الثقافة الحضارية**، دار الفكر العربي، القاهرة

160.عبد المنعم الحقي، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، مصر، 1993.

161.عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم (عهد العلويين)**، ج9، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر 1988.

162.عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح:محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994.

163.عبد الواحد دنون طه، خليل إبراهيم السامرائي، ناطق صالح مطلوب، **تاريخ المغرب العربي**، ط1، دار **المدار الإسلامي**، بنغازي ليبيا 2004، .

164.عبد الوهاب بن خليف: **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دزاير إنفو، الجزائر، 2013، .

165.عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، (د.س)، .

166.عثمان العكاك: **موجز التاريخ العام للجزائر**، مراجعة: أبو القاسم سعد الله، البشير شنيتي، سعيدوني نصر الدين، ابراهيم نجار، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003،

167.عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ من العصور القديمة حتى 1945**، دار الامة، ط1، لجزائر 2011.

168. عز الدين عمر موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس عشر**، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2003، .

169.عزيز سامح التر، **الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، ت محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 بيروت 1998.

170.عسر احمد طه، احمد المنصور الذهبي، **أعظم خلفاء دولة الاشراف السعديين**، المغرب 2015، 2016.

171.عطاء الله شوقي، **المغرب العربي**، تونس الجزائر المغرب، تونس دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1995 .

172.عقيلة الغناي، **قيام دولة المرابطين**، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، 2008، .

173.علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

174.علي عبد الله منتصر، **تاريخ الطب في ليبيا وعلاقتها بإفريقيا**، دار الثقافة، بنغازي، 1985.

175.علي محجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، ط1، دار سراس للنشر، تونس، 1986

176.علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار القكر، دمشق 2001.

177.علي محمد الصلابي، **دولة موحدين**، مكتبة حسن العصرية، ط1، بيروت 2009.

178.علي محمد الصلابي، **صفحات مشرقة في التاريخ الاسلامي**، ج2، دار الحوزي ط1، القاهرة مصر 2007.

179.عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ 16 –م**، ج1 ، (د.ط،) دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

180.عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997..

181.عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1 ، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000

182.عمر محمد الباروني، **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في رطرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس 1952،

183.عيد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر 2002،

184.فاروق عثمان اباظة، **أثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط اثناء القرن 16**، دار المعارف، القاهرة 1987.

185.فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في أوضاع الإدارة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية**، ط1، دار الحمراء، لبنان، 2001،

186.فرانسكو كورو، **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني**، تعريب خايفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ط2، طرابلس 1984، ..

187.فراي دييغو دو هايدو، **طوبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر**، تر. وتع: لخضر بوطبة، ط1، دار الباحث للنشر، برج بوعريريج، الجزائر، 2022.

188.فيشر هر، **أصول التاريخ الاروبي الحديث**، ترجمة زينب عصمت راشد واخرون، دار الحكمة، 2001

189.فيليب حتي وآخرون: **تاريخ العرب الحديث** – مطول –، ج2، ط4، بيروت، 1965م.

190.القاضي ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحق: إحسان عباس، (د.ط)، مج 5، دار صادر، بيروت، 1978،

191.كامل علي مسعود الويبي، **الادارة العثمانية في طرابلس**، مراجعة طاهر خلف البكاء، وزارة الثقافة الليبية، ليبيا2005،

192.كريم عاتي الخزاعي، **أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع هجري**، الدار العربية للموسوعات، (د.س)..

193.كمال السيد أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2014.

194.كورين شوفاليه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510–1541**، تر:جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.س)، .

195.-لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**، ط1، دار ابن النديم للنشر، 2010،

196.لفي بروفنسال، **مؤرخوا الشرفاء**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة، المغرب، 1977.

197.لوسيت فالنسي، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر (1790–1830)**، ط1، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1980

198.ليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تح: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،

199.م.لمبارد، "**الذهب الاسلامي من القرن الثامن حتى القرن 11م**" من كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ترجمة ونشر توفيق اسكندر، القاهرة، 1966..

200.مبارك محمد بن الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج4، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

201.مجموعة من المؤلفين، **معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا**، دار الكتب الوطنية، ط1، القاهرة، مصر، 2008، .

202.محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

203.محمد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح:حمادي الساحلي، والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

204.محمد إبراهيم الكتاني، **العلاقات بيف المغرب وافريقيا جنوب الصحراء**، منشو رات كلية الآداب، الرباط، 1991

205.محمد ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق :علي المنتصر الكناني، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987

206.محمد الأخضر مبرز السربون، **الحياة الأدبية في المغرب في عهد الدولة العلوية**، ط1، دار الرشاد الحديثة، 1977.

207.محمد الأمين البزاز، **التجارة المتوسطية في العصر الحديث**، ديوان المطبوعات الجامعية د.ن، الجزائر

208.محمد الباروني، **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في رطرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس 1952،

209.محمد الطيب عقاب: **الأخوان عروج وخير الدين**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985.

210.محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1975




211.محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، .

212.محمد العيادي، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني**، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء 1996..

213.محمد القبلي، **الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل**، دار توبقال، المغرب، 1997..

214.محمد القبلي، **تاريخ المغرب**، منشورات المقصد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1؛رباط 2011.

215.محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس**، تعريب الشاوش ومحمد عجبة، ط3، دار صاراص، تونس، 1963.

216.محمد أمين الشنقيطي، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، ط1، مطبعة الروم بمصر 1339هـ/1978م

217.محمد بللو، **إنفاق الميسور في تاريخ تمبكتو**، تحقيق :محمد محمود الدوعاجي، الجزائر1985 .

218.محمد بن الخوجة، **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، تحقيق وتعليق :جيلاني بن الحاج يحي وحمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985،

219.محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، .تح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986،

220.محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، **الملل والنحل**، ج1، ط3، تح:أمير علي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1993، .

221.محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، . حققه وعلق عليه محممود اعا أبو عياد، وزارة الثقافة 2011.

222.محمد بن عثمان الحشائشي، **الهدية في العادات التونسية**، تق. تح: أحمد الطويلي، محمد العنابي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 2002.

223.محمد بن عثمان المكناسي، **الاكسير في فكاك الأسير**، حققه محمد الفاسي، منشورات ا لمركز الجامعي للبحث العلمي الرباط، 1965

224.محمد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح:ماريا خيسوس بيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

225.محمد جمال قنان: **العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1830)**، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1994..

226.محمد حجي، **الحركة الفكرية في المغرب في عيد السعديين**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1976.

227.محمد حرب، **الدولة العثمانية :عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامية بيروت، 2008..

228.محمد حسن العيدروس، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008.

229.محمد خير فلرس، محمود علي عامر، **تاريخ المغرب الحديث، المغرب الاقصى ليبيا**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2000،

230.محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، (1512–1543)**، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، .

231.محمد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس 1505–1957 التاريخ.الأثار.السكان وسلوكاتهم**، ط2، دار نقوش عربية، تونس، 2021.

232.محمد صالح مزالي، **الوراثة على العرش الحسيني ومدى احترام نظامها**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.

233.محمد طمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006..

234.محمد علي القوزي:**العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والدعاصر**– ، دار النهضة العربية، ط1 ، بيروت، لبنان، 2002.عمر عبد العزيز عمر:**تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، 1815–1919**. د ار المعرفة الجامعية، 2000، .

235.محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدول العلية العثمانية**، تحق: إحسان حقي، دار النفائس، 1981بيروت، لبنان.

236. محمد قجي، ابراهيم حلمي الغوري، اطلس التاريخ الحديث، دار النشر الشرق العربي الاصدار الاول2006.

237.محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002.

238.محمدجمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1830 – 1619)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987..

239.محمود شاكر، **التاريخ الاسلامي "التاريخ المعاصر –بلاد المغرب"** المكتب الاسلامي ط1، بيروت دمشق 1411هـ/1999م.

240.محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي في العهد العثماني**، ج 7، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، 2000، .

241.محمود شاكر، **الكشوف الجغرافية ودوافعها _ حقيقتها**، ط2، المكتب الاسلامي، بيروت، 1988

242.محمود –شيت خطاب، **قادة فتح المغرب العربي**، ط4، دار الفكر للنشر والتوزيع، ج2، (د.س)، ..

243.محمود علي عامر، **المرجع في أوضاع المغرب العربي في ظل العهد العثماني**، دون ط، جامعة دمشق، سوريا 2005

244.محمود علي عامر، **تاريخ المغرب العربي الحديث الجزائر وتونس**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، (د ط)، 1994م..

245.محمود قابادو، **احداث تونسية**، دار الجنوب، تونس، 2005،

246.محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح:علي الزواوي ومحمد محفوظ، مج 2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988،

247.محمود ناجي، **تاريخ طرابلس الغرب**، تر محمد أدهم عبد السلام، د.ط، منشرات الجامعة الليبية، 1970

248.مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية**، ج3، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009،

249.مرمول كربخال، **إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي، (د.ط)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984.

250.مريم بوعامر، **الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى ودورها في الازدهار الحضاري مابين القرن7 و9هـ/13/15م**، .دار النشر جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان الجزائر 2009...

251.مصطفى أبو ضيف، **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1960..، .

252.مفيد زايدي، **العصر العثماني**، دن، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان الاردن، 2009.

253. المقري التلمساني، ***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب***، تحقيق: إحسان عباس، ج7، بيروت: دار صادر، 1968.

254.المهدي بوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر في التاريخ " العهد العثماني "**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

255.مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع:سعد زغلول، دار دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985.

256.مؤلف مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، مكتبة رودسي بن قدور، الجزائر، 1934.

257.مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية ووضعيتها العالمية قبل 1830** ،ط1 دار البعث قسنطينة 1985.

258.ناصر الدين سعيدوني، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس(1512-1543)**، ط1، شركة الاصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

259.ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، .

260.ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع ط2 ، 2009،

261.ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2009

262.ناصر الدين، سعيدوني، **من تراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط1دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999

263.نجم الدين غالب الكيب، **مدينة طرابلس عبر التاريخ**، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978،

264.نجيب زينب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ج3، تقديم أحمد بن سودة، دار الامير ط1، بيروت لبنان1995.

265.نصر الله سعدون، **تاريخ العرب السياسي في المغرب**، دار النهضة العربية، مصر، (د.س)..

266.نمير طه ياسين، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، ط1دار الفكر، عمان، الاردن 2010.

267.نيقولاي شوف، **الفتح العثماني للاقطار العربية 1516–1574م** تر يوسف عطا الله، الفرابي، بيروت 1988.

268.نيكولاي ايليتش بروشين، **تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين .**، ترجمة وتقديم عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط2، 2001 بنغازي ليبيا، .

269.هالة عبد الرزاق، **أسواق فاس في العصر المريني(646هـ/869هـ/1248م–1465م**، مكتبة الثقافة الدينية، (د.س).

270.الهريدي فريغلي علي يتسن، **تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر الكشوف والاستعمار والاستقلال**، دار العلم والايمان للنشر، الاسكندرية، 2008.

271.هشام أبو رميلة، علاقات **الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان، الأردن، 1984،

272.وليام شالر، **مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)**، تع وتح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، .

273.ياسين نمير طه، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفكر، ط1، عمان، الاردن، 2010.

274.يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

275.يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

276.يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى ط1، الجزائر 2009م،

277.يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

278.يحي بوعزيز، **تلمسان عاصمة المغرب الاوسط**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 2007.

279.يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوروبا**. المطبوعات الجامعية. الجزائر.دون سنة.

280.يمي هريديب، **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الافريقية**، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، .

281.يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج 1، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1996، .

المصادر والمراجع باللغة الاجنبية

282. A.Guellouz Et autres, **HISTOIRE GENERALE DE LA TUNISIE**, T III, Les Temps Modernes (1534- 1881), Sud Ed, Tunis, (S.D).

283. Abun-Nasr, J.M. *A History of the Maghrib in the Islamic Period*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

284. Ahmed saadoui, **les temps modernes(1534-1881**), sud editios, Tunis, 2010.

285. Colonel magin, **la force noire**, libraire Hachette, Paris, 1910.

286. De Brevés, Relation de Voyages, Paris, 1628,

287. Fernand braudel, **les Espagnols et la Berbérie de 1492-1577**, belles-lettres, 2éme, éd, 2013.., .

288. Fray Diego de Haédo, **Topographie et histoire General d 'Alger**, traduit: MM le Dr: Monnereau et A.Berbrugger, imprimer, a valladlid, 1870.

289. G.G Marcel, **Histoire De Tunis**, Description Par Louis Frank, Imprimeurs de L'institut De France, Paris.

290. Henri Duveyrier, **La Tunisie,** LIBRAIRE HACHEETTE ET Cie, BOULEVARD SAINT- GERMAN, Paris, 1881,

291. Henry Dunant, **Notice Sur La Régence De Tunis**, IMPRIMERIE DE JULES-G FICK, GENEVE, 1858

292. Hugh Kennedy, *Muslim Spain and Portugal: A Political History of al-Andalus*, London: -Longman, 1996, -*Granada: The Last Muslim Kingdom in Spain*, London: Routledge, 2000

293. Jean Mallon, l' **influence français dans la régence de Tunis avant l 'établissement du protectorat**, publications coloniale, paris, 1931..

294. Kamen, Henry. *Empire: How Spain Became a World Power, 1492-1763*. London: HarperCollins, 2003.

295. L. P. Harvey, *Islamic Spain, 1250-1500*, Chicago: University of Chicago Press, 1990.

296. -Narcisse faucon, **La Tunisie avant et depuis l'occupation française histoire et colonisation**, 2T, libraire coloniale, Paris 1893.

297. Paradis(Venture), **Tunis et Alger au XVII Siècle**, Sind Bad, Paris, 1983-

298. Rosseau, A, **Annales Tunisiennes**, ou apercu historique sur la regence de tunis, Alger, Bastid, 1864.

299. Sayous, **le commerce du Maghreb médiéval**, actes duler congres, d.c.h.m.l, Tunis, 1979..

300. Taleb abdesselem, **l 'organisation financière de l 'empire marocain**, Emile Larose Libraire, Editeur, Paris, 1911, .

301. Tomas Shaw, **Voyage Dans Plusieurs Provinces De La Barbarie et du devant**, T.1, contenant des observations géographiques, physiques, philologique, sur les royaumes d Alger et de Tunis, sur la Syrie, l' Egypte et l 'Arabie, traduits de l 'Anglais, 1830.

302. Vitkus Daniel, Three Turk Plays from Early Modern England: Selimus, a Christain Turned Turk, and the Renegado, New York: Columbia University Press, 2013.

رسائل الدكتوراه والماجستير

303. أحمد بن تيشة، **الحياة السياسية والإجتماعية الثقافية في تونس خلال العهد العثماني _الأسرة الحسينية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، إشراف الدكتور مكحلي محمد، سيدي بلعباس، 2020-2021م.

304. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين1322هـ/2002م،

305. بلحاج محمد، **مخطوط النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاخر المناقب**، ج1، دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2008

306. جميلة المسعودي، **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ/893م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيسشر في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2000،

307. حسين تواتي، **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2013 2014.

308. حفيظة بوتوقوماس، **الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني، 1117هـ/1705-1251هـ**-، مذكرة ماجيسشر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2011/2010.

309. خديجة حالة، **الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والإسلامية، قسم التاريخ، إشراف عبد الكريم بوالصفصاف، جامعة أدرار، 2013/2012،

310. دعموش كاميلية، **قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)**، مذكرة لنيل الماجستير، جامعة وهران، الجزائر 2014/2013، ص22 سهام بن عطية، عوامل نمو الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان الزيانية أمذكرة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2001،.

311. .الطيب يوسفي، **العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب االتونسي أنموذجا**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الزائر، 2020/2019،

312. .عاشور بوشامة، **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626هـ/981م-1228م-1573م**، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 1991

313.عامر أحمد عبد الله حسن، **دولة بني مرين، تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الانداسية والممالك النصرانية في اسبانيل (668-869هـ/1269-1465م**، مدكرة ماجستير، جامعة نجاح الوطنية، فلسطين2003م.

314.رحمة قليل، **حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الثقافي، قسم العلوم الانسانية، كلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2020،

315. صالح حيمر، **التحالف الاروبي ضد الجزائر 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية**، مدكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة 2007/2006

316. عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر (1700-1830)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، إشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 2001/2000

317. عبد العزيز بلبكري في موضوع: علاقات المغرب الأقصى مع المشرق العربي بين عامي 1012 هـ/ 1603م-1246هـ/1830م من خلال الرحلات الحجازية المغربية، (الاستمداد الروحي والتواصل الفكري) " تحت إشراف الدكتور أحمد البوزيدي يوم الثلاثاء 11 مارس 2014م، نشر منذ 17يناير، 2015-

318. كمال مايدي، **علاقات تونس مع دول غرب أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية في عهد حمودة باشا من 1782-1814**، مذكرة نيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث، إشراف :عمار بن خروف، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2012/2011، ..

319. كوثر العايب، **العلاقات الجزائرية التونسية.خلال عهد الدايات (1711-1830)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجيسشر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، إشراف محمد السعيد عقيب، جامعة الوادى، السنة الجامعية 2013_2014،

320. ليلى غويني، **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011/2010

321. محفوظ رموم، **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف كمال فيلالي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002،

322. محمد بوشقيف، **العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري-الخامس عشر الميلادي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2004/2003

323. مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى ودورها في الازدهار الحضاري مابين القرن 7و9هـ/15/13م مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، اشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة ابي بكر بلقايد، 2010/2009، .

324. مصطفى مغزاوي، **التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي (6هـ-8هـ)/11م/13م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2012/2011، ص 28؛ عبد الحميد حاجيات، **ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين**، مجلة كلية الآداب، مجلد 2، تلمسان، 2000، .

325. نجيب دكاني، **الوجود الاسباني على السواحل الجزائرية ورد فعل الجزائري جلال القرن 16**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ العثماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، تحت إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني، جامعةالجزائر، 2002.

326. نضال مؤيد، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب، رسالة لنيل شهادة الماجسيتير، جامعة الموصل، العراق، 2004..

327. وهيبة بوالصباع، العلاقات التجارية بين مدينتي الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (17-18م)، ماجستير في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية حول المغرب الكبير خلال العهد العثماني، قسم التاريخ جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 2014

قائمة المجلات العلمية

328. أحمد زاوي، رشيد مياد، **الحركة الأدبية بتونس خلال العهد العثماني**، مجلة المعيار، مج27، ع4، مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور، الجزائر، جوان 2023، .

329. أسماء بلايلي، "التحرشات الاسبانية، _قراءة في الدوافع والنتائج"، مجلة روافد البحوث والدراسات، ع2، جامعة أدرار، 2017

330. بستي محمد،" محاولات الأعلاج تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني 1535-"1688، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 2، ع 2، جامعة تيارت، أكتوبر 2019، .

جويلية/ يوليو 1976 م تونس.

331. رشاد الإمام، "سياسة حمود باشا الحسيني بتونس، المجلة التاريخية المغربية"، ع 6، تونس، 1997م.

332. الشافعي درويش، "علي باي الحسيني التونسي 1759-1782، (مواقف من سياسته)،" مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والانسانية، ع 3، المركز الجامعي، غليزان، الجزائر، 2021.

333. صالح بوسليم، محمد عائشة،" من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني (1519-1830) هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع19، جامعة الوادى.

334. عبد الجبار صدقي،" التحولات الاجتماعية والاقتصادية في الغرب الإسلامي خلال مرحلة اضمحلال الدولة الموحدية"، مجلة دراسات، المركز الجامعي نور البشير، البيض، جوان 2006.

335. عمر بن خروف، " ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين " مجلة الدراسات التاريخية، ع3، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987،

336. الغالي بن هشوم، "التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، رحلة الحسن الداخل نموذجا". مجلة الرافد مجلة الكترونية ثقافية الالكترونية https.//.arrafid.ae:

337. فادية عبد العزيز القطعاني، " الحركة الوطنية المغربية 1912-1937م"، المجلة الجامعة، العدد16، المجلد الأول فبراير 2012

338. فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، "الحكم العثماني في الجزائر وتونس د ا رسة مقارنة، دورية كان التاريخية"، ع37 ، سبتمبر2017 .

405-فؤاد طوهارة، " الهجرة الاندلسية الى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي" **مجلة حوليات التراث**، جامعة مستغانم، العدد 15، سبتمبر 2015.

339. فوزية لزغم، "بايات الأسرة الحسينية بتونس تكوينهم العلمي وأثرهم في الحركة العلمية1705**–1814**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية،" مج3 ، ع2 ، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2020، .

340. كمال صحراوي، " الصراع الإسلامي المسيحي ومؤشراته في البحر المتوسط خلال القرن 16م" مجلة الحضارة الإسلامية، العدد –20–21، فيبراير 2014 وهران

341. مسعود عبد الله مسعود، **ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر الحكم العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911**، المجلة الجامعة، مج 3، العدد 15، 2013.

342. مصطفى الكثيري، "عن الأبعاد الاقتصادية في العلاقات المشرقية المغاربية»، في جلست بعنوان: «التجارة والاقتصاد في العلاقات المشرقية المغربية»، مؤتمرًا تحت عنوان: «العلاقات بين المشرق والمغرب العربيين.. ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا: رؤى في إعادة كتابة التاريخ»، وذلك في الإسكندرية، بين 24 و25 سبتمبر (أيلول) 2018م.

343. مصطفى عبيد، "طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين 1510- 1551"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، تصدرها كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015.

344. ن، تبروديل: " الإسبان والمغرب العربي"، المجلة الإفريقية، العدد الأول، 1865.

345. ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر. تونس . طرابلس الغرب) من القرني العاشر الى الرابع عشر الهجري(من الفرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع 31، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت، 2010.

346. نبيلة همار، "العلاقات المغربية المشرقية في كتب التراجم"، مجلة المعرفة، العدد ا لسادس عشر – يوني و2024،

فهرس الموضوعات

مقدمة	1
المحاضرة 1: سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغربية	3
محاضرة 2: أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م	21
المحاضرة 3: المد العثماني الى الحوض الغربي للمتوسط	43
المحاضرة 4: ظروف الحاق الدول المغاربية (طرابلس، تونس)بالدولة العثمانية	55
المحاضرة 5: تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعديين والعلويين	69
المحاضرة 6: تطور نظام الحكم في تونس	92
المحاضرة 7: تطور نظام الحكم في طرابلس الغرب 1551–1911	110
المحاضرة 8: علاقات الأقطار المغاربية الخارجية بالمشرق العربي (القرن19–16 م)	122
المحاضرة 9: علاقات الأقطار المغاربية الخارجية بافريقيا	127
المحاضرة 10: العلاقات الخارجية للأقطار المغاربية مع الدول الأوروبية(القرن 16–19م)	138
المحاضرة 11: الحياة الاجتماعية في بلدان المغرب الحديث خلال الحكم العثماني	150
المحاضرة 12: الحياة الاقتصادية في بلدان المغرب العربي في العصر الحديث (القرنان 16–19م)	164
المحاضرة 13: العلاقات الثقافية بين البلدان المغاربية خلال القرنين 16–19م	169

المحاضرة 14: الاستعمار في بلاد المغرب الحديث *(القرن 16م – القرن 19م)*	176
خاتمة	184
قائمة المصادر والمراجع	186
فهرس الموضوعات	211